

عبدالعزیز النفیصی

غُثْرَة وَ تَسْمَاغ

رواية



اهداء

الى جنتي في هذه لدنيا
الى من علمتني قراءة الفاتحة وهي الأمية
الى من باعت سيوارها 00 رأس مالها الوحيد
00 لتشتري لي هدية النجاح الأولى
الى من يعود لها الفضل الأول بعد الله في استقامة
أبنائي وبناتي وتفوقهم 00 حرصاً 00 وعناية
00 تدعو لهم في مكة 00 وتحنو عليهم في الرياض
اليك يا أغلى الناس 00
اليك يا والدتي 00 أمد الله في عمرك
اهدي رواية غترة وشماغ

خادمك المطيع



عَزِيز

-أثلة العصفور -

الخبوب -أرياف الوسط الشمالي لهضبة نجد، مفردها خب ، والخب أرض منخفضة، تحيط به الكثبان الرملية من عدة جهات ، أرضها رملية ، متشعبة بالتراب ، بعض أبارها وفيرة بالماء الحلو ، وبعضها الآخر هماج هماج هماج .



- يطلق على هذه الخبوب مسميات مطابقة لأسماء ساكنيها الأوائل ، الذين أحيوا الزراعة فيها ، خب أبو صاطي ، خب النباش ، خب الهريطقان ، وأحياناً تكنى بأحد المعالم الشهيرة بها ، خب الحمار ، خب الضب، خب القبر .

- لا يهم كيف ومتى سمي هذا الخب أو ذلك ، المهم أن لا يكون اسماً جميلاً ، كخب الشلال أو الوردة ، ولا رومانسياً كخب قيس وليلى ، أو روميو وجولييت ، فالحب والأسم الجميل ، سخر وسفاهة ، تؤدي بالمجتمع الخبي إلى الهاوية .

بيوت الخبوب متفرقة ، كقلوب بعض ساكنيها ، لكل مزرعة بيت يعيش فيه مالك المزرعة ، وبقرته ، ودجاجته ، وعنزته ، وأحياناً حماره ، وإذا تناسلت هذه الحيوانات وزاد عددها ، يُبنى لها عِشّة قريبة أو ملاصقة للبيت ، ويتم تشديد الرقابة الأمنية عليها ، خوفاً من لصوص البيض والحليب .

هندسياً بيوت الخبواب أقل تعقيداً ، مبنية بالطين المحلى بالتبن، مزارعها أشباه مزارع، هنا أثلة، وهناك نخلة ، شمال المزرعة طين ، غربها حصى . جادات الخب متعرجة وموحشة بشكل غير طبيعي ، معبدة بالرمال مع قليل من التراب الناعم ، تمر عبرها عشرات المرات ، ومع ذلك تجدها غريبة عنك، عقيمة للذكريات الجميلة، شحيحة للحظات الحنونة، باستثناء ذكريات لا تكاد تذكر، مع بعض الحيوانات الأليفة .

هنا -خب النبّاش، يُنسب لعائلة النبّاش العريقة ، العائلة التي أُطلق عليهم النبّاش نسبة لجدهم الحادي عشر، الذي تقول بعض الروايات ، أنه كان صغير السن حين توفي والده ، كان ذلك في شهر رمضان المبارك ، أتى العيد ولم يُشتر له ثوب يُعيدُ به، فذهب صباح يوم العيد لقبر والده، لنبشه والشكوى له من ظلم خاله ، خاله الذي تناساه عمداً بكسوة العيد ، وهو الوصي عليه، ولم يعامله كأبنائه، وعليه صار أهل الخبواب ينعتونه بنبّاش القبور، ومع مرور الزمن تم اختزال نبّاش القبور، لتصبح النبّاش .
التصقت هذه التسمية بأبنائه وأحفاده وأحفاد أحفاده ، اسم ينادونهم به، بشكل أصيل ، يفخرون به ، بعد أن كان معيبة ، يُعيرون بها عبر الأزمان .

هنا تحديداً -بيت حمد سليمان النبّاش - المتوفى ليلة البارحة ، رحمة الله عليك يا أبا سليمان .

مات، بعد سنين طويلة عاشها شبه معاقاً ، من أثر إصابة بليغة تعرض لها في معركة "شد لي واقطع لك" تلك المعركة التي كاد أهل الشمع الأحمر أن يجعلوها (سماء وماء)[□] ، جاهد بتلك المعركة بكل شجاعة ، شاركه

¹ يريدون جعلها تغرق 00سماء تمطر وارض ملاً بالماء

بعض إخوانه من أهل الغتر الشرفاء ، متسلحين بالإيمان بالله ، والقناعة التامة بأن الغلو هو أساس كل بلاء .

قدّر للفدائي حمد ، أن لا يستشهد بتلك المعركة الوطنية المباركة ، مات على فراشه ليلة البارحة مجدورا مدحورا كما يموت البعير .
آه ثم آه ، إنه مرض الجدري ، تمكن منه أخيرا هو ورهط من أهل الخبواب ، إنه مرض نذل ، جائر ، إذا لم يتمكن من القضاء على ضحاياه ، ترك وجوههم مشوهة .

أمراض تتردد على هؤلاء القوم وهم نائمون ، تفتك بهم وإخواننا متقبلون ، جدري ، كوليرا ، طاعون ، سل ، والجماعة يتفرجون ، جثث امتلأت منها المقابر ، والرجال يولولون ، حتى إن بعض المتساهلين من أهل العلم الشرعي ، ولماذا علينا تصنيف العلم بالشرعي ، وهل هناك أصلا في ذلك الزمان والمكان علوم غير شرعية ، هؤلاء العلماء الشرعيون المتساهلون أفتوا بجواز الصلاة في البيت والتضحية بسبع وعشرين درجة خوفا من العدوى .

والحقيقة يجب أن يقال : لقد استفادوا كثيراً من هذه الكوارث ، جعلوها تقويماً يوثقون به أحداثهم ، ولِد سنة الجدري[□] ، أعرس سنة السبلة[□] ، توفى سنة الغرقة[□] ، وسنة الرحمة[□] وأنا عمري سنة ونصف ، وهكذا .

انتشار وباء حالة اعتيادية ، يستسلم لها هؤلاء البشر ، يتفنون بممارسة الجهل في الوقاية منها ، لا أحد يحاول العمل على الحد من انتشار هذه الأوبئة ، ولو تقليدياً ، يمتنون الاعتقاد بعدم جدوى العناية الطبية ، هذا إن وجدت أصلا ، فهذه البقعة من الأرض تعيش في عزلة تامة عن المعرفة الطبية البدائية ، من ألفها ، ومن المؤكد إلى يائها ، باستثناء بعض الخزعبلات

¹ سنة انتشر بها مرض الجدري
² بتشديد السين وفتح الباء واللام وتسكين الهاء (معركة السبلة)
³ سنة كان المطر بها غزيراً
⁴ انتشار مرض الكوليرا

المنتشرة هنا وهناك، يطلق عليها، علاجات المداوي، والتي يعرفها الأكاديميون، بالطب الشعبي .

أسباب الوفاة لديهم هي الموت ولا سواه ، ليس مرضاً ، ليس سقوطاً في بئر عميقة خالية من الماء ، جميعها ليست أسباباً مقنعة تؤدي لفراق الحياة . الحياة التي يتتاغمون بعيشها بحددة 00 تكاد أن تصل إلى الصراع ، صراع قد يتطور إلى مصارعة حياتية ، تبدأ بالجولة الاولى ، وتنتهي بالفوز بالنقاط او تحسمها الضربة القاضية



-الجولة الأولى -

نحن في مجلس عزاء المرحوم بإذن الله "حمد سليمان النبّاش" المسئول الأول عن فرق العمّالة ، وهي الفرق التي تجول البلاد لجباية الزكاة من مخرجيها ، في المدن ، والهجر، والوديان ، والشعاب .

أبو سليمان هو الرجل الوحيد الذي يلبس الغترة البيضاء في الخب ، أما البقية فملبوسهم الراسخ الشماع الأحمر .

يجلس المعزّون في حجرة ليست كبيرة ، يطلق عليها اسم الديوانية ، وبعضهم يسمّيها القهّوة ، الموقع الرئيس والوحيد لاستقبال الضيوف من الرجال .

حجرة مظلمة ، في كل شيء، سواد في سواد، دخان يتطاير يمينا وشمالا ، نار تشتعل ، وسط موقد بُني من الطين قبل مئة سنة ، يسمّونه "الوجار" ، صيفا ، شتاء ، لا بد من إشعال هذه النار، صيفا لعمل القهوة ، وشتاء للتدفئة ، الجدران تتزين بتموجات سوداء ، من أثر دخانها ولا هبوب شمالها ، سقفها يتشح بالسنو ، تشعرك هذه الحجرة وأنت بين ظهرائها أنك أشد الناس حزناً ، لا يخفف من وطأة حزنك هذا النور الضئيل الذي يدخل مقننا عبر أضيق الشبابيك بالعالم ، نور يتسلل بخجل ، معطى من الله بكرم وسخاء ، يتلقاه هؤلاء المتلقون ببخل وغباء ، لو كان الوقت ظهراً والشمس في كبد السماء فنصيب هذه الغرفة من النور ضئيل ، يتسلل من فتحة صغيرة في أعلى الجدار، صممت على شكل مثلث وليس مربعاً، فالمربع تصميم قديم، أما المثلث فهو إبداع فني حديث ، أقره مدير البنائين ، وكأنه أقر عملاً للوحة جمالية، يتوقع تسجيل ماركتها الإبداعية باسمه ، يتناقلها مقلديه أصحاب الأشمغة الحمراء ، طول الزمن ، لا ضير أن تكون هذه المسماة شبابيك مفتوحة على مصراعيها للقطط والحشرات ، فليس من الضروري أن توصل بأخشاب تسمى بعد تركيبها "درايش"

يجلس الجميع على بساط خفيف السماكة ، مخطط بلونين أحمر وأزرق ، بساط ذا قيمة أعلى درجة من الحصير المصنوع من سعف النخيل ، وأقل من الزولية المصنوعة من غزل الصوف بدرجات ، نسبة النظافة الترابية في هذا المفروش رديئة ، فتتظيفها ليس منتظماً بشكل دوري ، وهناك قناعة غير معلنة ، أن نظافتها لا تعتبر من الضروريات أصلاً ، فيكفي أن يُنفض البساط بالمكان المجاور داخل البيت وليس خارجه ، فتكون عملية التنظيف قد أُنجزت.

يجلس الجميع متكئين على الجدران ، بلا مساند ، كل ملاصقاً للآخر ، أخذ وعطاء لروائح جسم غير زكية ، عنوانها رائحة الحطب ، وجوهرها إفرازات جهد جهيد لساعات النهار الكادحة ، تحت أشعة الشمس الحارقة ، الجميع يلبسون الشماع الأحمر ، هذا الشماع الذي يشترط أن يكون أحمر ، لا أخضر ولا أسود كما في الشمال أو الجنوب ، استخدامات الشماع الأحمر كثيرة ، فبالإضافة لمهمته الرئيسية في تغطية الرأس ، يستخدم كمنشفة عند التفسيل ، ومخدة عند عدم وجود مخدة ، وأخيراً وليس آخراً يستخدم كوسيلة للمداعبة ، يلعبها من تتراوح أعمارهم بين العشر والعشرين سنة ، به يضرب بعضهم بعضاً ، يقوم اللاعب بمسك الشماع من أحد أطرافه ويدفعه بسهولة نحو الخصم ، وبسرعة خاطفة يسحبه فيلسع المضروب .

جميع المعزين في أبو سليمان من أهل الشمع ، فالغتر البيضاء شبه معدومة في الخبوب ، ولا بسوها يعدون على الأصابع ، النوع المغضوب عليه في غطاء الرأس ، ينسحب هذا الغضب على لابسها بطبيعة الحال ، تبدأ الشكوك تدور حولهم ، بالتلميح تارة ، وبالتصريح تارات وتارات ، يتم بعدها تشديد الرقابة عليهم بشكل تلقائي ، لتصيد أي تقصير يبدو منهم للواجبات الشرعية والاجتماعية ، فلا بسو الغتر ، رجال غافلون ، على العرف متمردون ، وبالدين متساهلون ، وإلا ، لماذا غالبيتهم يستقلون حصان إبليس

(السيكل) □ صناعة الكافرين كوسيلة للنقل ، ويتركون المركبة المعروفة وهي الجحيشة ، هذا هو رأي صاحب الفكر النير ، أبو شماغ أحمر ، والمنادى دائماً بالداهية "عبلي"، لمن لا يعرف عبلي ، هو صاحب الرأي الجريء في إنكار لبس الساعة باليد، وحجته في ذلك : مخالفة لطريقة لبس صانعيها ، الكفار ، الجاحدين للنعم ، ولديه مبرر ليس بالمهم هو أن وضعها داخل جيب صدر الثوب مربوطة بسلسلة ، يجنبها السقوط بالساقبي ، فلا تشرب ماء .

يا لهذا الرجل المبدع ، أفكاره دوماً نيرة ، منذ خشونة أظفاره وهو يحمل لواء العرّاب الأول للعرف ، مواجهة على المكشوف ، ارتضاها لنفسه ، سعى إليها ، عنوانها الرئيس ، اللوم المزمّن ، المطلق لأصحاب الغتر البيضاء ، وحيثيات هذا اللوم واضحة للعيان ، إن أهل الغتر البيضاء ، هم من يقوم بالتشجيع المستمر لكل الظواهر البغيضة ، يتبنونها سرّاً عند الخوف ، ويمارسونها علناً عند الأمان ، إن أصحاب الغتر هؤلاء والأفكار هنا مازالت للمحاضر الفلته عبلي، يستمعون للراديو ويسافرون للكويت ويشربون القدو □ بقهاويها، فكيف لا نتوقع منهم الإفساد !! وعليه هنا بدأ إصدار الأوامر للرعاع ، لابد من هجران من يأتي من الكويت مدة ثلاثة أيام، وجُلّهم من أهل الغتر البيضاء بطبيعة الحال، وعلى هذا الأساس، لم ولن يذهب عبلي لتقديم العزاء في لبّاس الغترة حمد النباش ، الذي لا يكل ولا يمل من الذهاب للكويت ، ولم يلبس الشماغ الأحمر في حياته ، وهذه خطيئة .

^١ الدراجة الهوائية
^٢ الشيشة

مجلس العزاء لا زال منعقداً ، تأثير الوفاة ظاهر على المعزين بإفراط ،
إفراط مبالغ فيه ، يدعوك للشك أن هذا الحزن الخارجي لا أصل له
بالداخل ، البتة .

في الطرف الأيمن من المجلس يصطفِ عليّة القوم ، بينهم حدث صغير
بعقل رجل ، ينتحب من كثرة البكاء ، حزناً على أبيه ، إنه "السّلمي" ابن
المتوفى حمد النباش ، والسلمي تصغير لـ "سليمان" ، فأهل نجد يقللون من
قدر الطفل بتحجيم اسمه ، فعبدًا لرحمن ، يُنادى دحيّم ، وعبدالكريم ،
ينادى كَرِيم .

سليمان أو السلمي طفل تجاوز الثالثة عشرة من عمره ، بجسم صغير لا
يوحي بهذا العمر ، في عينيه حَوْلٌ خفيف لا يكاد يظهر إلا عند الغضب
، حَوْلٌ جميل ، جاء نتيجة العامل الوراثي من بعض ما لدى عمه "دَنقُور" من
حَوْلٌ أصيل ، حَوْلٌ أوضح من عين الشمس ، السلمي لديه ذاكرة مميزة
يشهد له بها جميع سكان الخب ، من فرط حقد أهل الشمع عليه ينادونه
دائماً بـ "أبو قلبين" ، علها تصيبه عين لا يشفى منها .

هو الوحيد بين أقرانه الذي يحفظ من القرآن الشيء الكثير ، نهل علم
بعض الأحاديث الشريفة من بعض ما لدى والده - رحمه الله - من علم
غزير ، والده الذي كان يحرص كل الحرص على كسب العلوم المعرفية
بشكل عام ، والشرعية منها بشكل خاص ، من خلال رحلاته التجارية
للكويت والزيير والبصرة قبل ان يلتحق بالعمل الحكومي ، كان والده
يحرص في كل مناسبة على تعليمه الأحاديث الصحيحة التي تبرئ الإسلام
من الغلو ، وتدعو إلى التسامح .

السلمي الابن الوحيد لحمد النباش ، يسمع القصيدة مرتين ، ثلاث ،
فيحفظ جُل أبياتها في الحال ، نبطي ، فصيح ، لا فرق ، خاصة شعر الغزل

شقيقته الكبرى اسمها "هيلة"، هيلة التي تقفز من فوقها كنية والدها دائماً لتلتصق بالسلمي ، فحمد النباش يكنى بأبو سليمان وليس بأبو هيلة . تزوجت هيلة ابن عم والدها "فايز"، رجل أطيب من الطيب نفسه ، يمارس التجارة في بيع الأرزاق¹ ، سكر، شاهي ، رز ، هيل وقهوة ، يسكن الرياض -حي الشميسي، تحديداً (حلة الفحم)، لم يغير سكناه منذ كان في ريعان الشباب ، لم يرزق بذرية ، لم يكن ضمن المعزين ، فخير الوفاة لم يصل إليه حتى الآن .

بدأت فعاليات منتدى العزاء بالفوضى البلاغية لمعاني السوائف المطروحة ، ينتقلون بالأحاديث من أفراح إلى أتراح والعكس صحيح ، أقاويل محاورها مكرره ، معانيها محدودة، قليلة الإثارة ، تجنح إلى الخيالية ، يتناقلونها أبا عن جد، دون النظر في معقوليتها، يكررون سرد أحداث بعض معارك الإخوة الأعداء في بادية نجد، ووثائقها الشعرية، مع أن الشعر ليس له نصيب في هذه المناسبة الحزينة ، اللهم ما تجود به الذاكرة الضعيفة ، من بويات حزينة ، لمراثيات مشهورة ، لشعراء نجوم، عددهم لا يتجاوز العشرين في فترة زمنية تجاوزت القرنين ، يتشابهون في الطرح، يطربون ولا يطربون ، يقلدون بعضهم البعض في المعنى ، في المفردات ، في السلالم الموسيقية ، عفوا عفوا 00 لا أقصد الموسيقى ، كنت أعني الشيلات، هجينها ومسحوبها ومجرورها.

بين حين وآخر يعود المعزون في أحاديثهم للتذكير بمحاسن المتوفى حمد النباش ، كل حسب موقفه النبيل معه ، هذا أقرضه بعض المال ، وهذا أعانه بالمزرعة على السقاية ، وهذا أعانه ببناء الحجرة الشرقية بجلب اللبن والطين والتبن .

¹ المواد الغذائية

من المستحيل جزماً التطرق لأراء أبو النباش الفكرية، لأنها ماتت معه ، قبل أن يطلع عليها من لا يفهمها ، كن حذراً أيها المفكر، أفكارك ستؤخذ عليك وليست لك ، الأفكار غير المقبولة عند الآخرين من أصحاب الشمع الأحمر وساوس الشيطان ، يجب عدم اطلاعهم عليها ، والتعوذ منها ، حتى وإن كانت تخدم الإنسانية ، وتلمس تنوير العقل المشبع بالطين ، والتبن ، هذا هو ما يجب أن يتبع لمن يحمل رؤى مختلفة .

في غفلة من الحزن، فجأة ، يقفز المعزون بالحديث إلى بعض ما يعتقدون أنها طرافة ، يبتسم الجميع ، تظهر أسنانهم التي ليست بالبيضاء ولا بالسوداء ، ليست بالمتلاصقة ولا بالمتفرقة ، ما سقط من هذه الأسنان بطبيعة الحال لن يحل محله سن آخر ، سيظل شاغراً إلى أن يموت صاحبه ، بعض المعزين يتحفظ على الابتسامة ، كي يبدو قريباً من الحزن .

يتوسط مجلس العزاء "باتل سعد الطهوري" أحد أعيان خب النباش ، يسكن في ثلاث مواقع ، متفرقة ومتنوعة ، في خب النباش عند أم زامل ، وفي خب الهريطقان عند أم لطيفة ، وفي خب ابو صاطي عند أم سلوى ، يلقب بـ "الطهوري" نسبة لجده الخامس الذي يُعير بالطهوري، تقول بعض الروايات، أن جده كان وكلما يحين وقت الصلاة ويبدأ الجماعة بالوضوء ، يعتذر عن التطهر، بقوله "أنا على طهور"، مرة، مرتين ،عشر، الرجل لا يُشاهد البتة يتوضأ ، في شتاء ، في صيف ، في بر ، في بلدة ، يردد أنا على طهور وبس ، متزوج ليلة البارحة ، متزوج ليلة قبل البارحة ، الرجل على طهور دائماً كما يدعي ، وذات يوم فضحته زوجته الصالحة ، عندما طلبت الطلاق منه لتساهله في أمور الدين ، وتحديداً عدم الوضوء والغسل قبل أداء الصلاة ، علّم الجميع بسبب طلاق زوجة طهوري ، وانفضح أمره ، من حينها وهو ينادى تهكماً بـ "على طهور" ، راح على طهور ، جاء على طهور ،

ومع مرور الوقت اختزلت العبارة لتصبح "الطهوري" ، مهنة باتل الطهوري من أسهل المهن التي تجعل منك غنياً في زمن قياسي ، أدوات هذه المهنة سهلة ، أعواد شجر الأثل -وهو شجرة من الفصيلة الطرفاوية ، طويل ومستقيم ويُعمّر -وقربة ماء -وحمار،

يقوم باتل الطهوري بغرس أعواد الأثل في أماكن متفرقة من أطراف المدينة ، يقوم بسقيها صيفاً بجلب الماء من إحدى الآبار القريبة ، بقربة يحملها على حمار ولمدة محدودة تبدأ عند بداية الغرس ، وتنتهي عندما تدب الحياة فيها ، يتناساها بقية فصول السنة والسنوات التي تليها ، يضع رأسه على المخدة ، تسقيها الأمطار شتاء ، وتتسرب شح المكنون في باطن الأرض صيفاً ، وهذه هي الخصلة الحميدة المهمة بشجر الأثل، بعد سنين قليلة تكبر أشجار الأثل ويصبح لها ظلال ، هنا يأتي ثمار جهده الزهيد ، وهو امتلاك الأرض التي بها هذه الأتلة ، بما يقارب خمسة عشر متراً من جهاتها الأربع ، وبشرعية تامة ، استناداً على الحديث الذي رواه أبو داود قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) .

هكذا أصبحت أملاك الطهوري تحيط بالمدينة من كل جانب ، وبمنتهى الشرعية ، أنى يتجه يجد له ظلالاً يستلقي تحتها ، وإن رَغبت المدينة بشعبها واقتصادها أراضي مساندة خلف السور ، عليها التفاوض مع الطهوري ، وهو ليس في عجلة من أمره ، في التصرف بهذه الأراضي ، فامتداد المدينة الطبيعي يجعل الزمن في صالحه ، والجيل الجديد من الشباب الراغب في الفلاحة والرافض للاغتراب ، يأتي إليه صاغراً ، يساومه الطهوري على إحيائها مقابل غذائه منها أو سكناه فيها و لمدة محددة ، يطلب بعدها من هذا الشاب الذي حوّل أرضه من صحراء قاحلة إلى بستان وريف ، تزويجه أخته أو ابنته ، أو حتى أمه ، فإن لم يقبل ، أنهى الاتفاق ، وعادت المزرعة إلى الطهوري ، يبدأ البحث بعدها عن محتاج

آخر، بشرط أن يكون لديه أم أو بنت أو أخت ، لذلك تجد الطهوري يتزوج بمعدل نصف سنوي وأحياناً ربع سنوي .

متصدر المجلس مكاناً ، وليس خطابة ، "وذيان ابن ذريع بن دبوچ" ، رفيق المتوفى أبو السلمي ، صديق عمر ، من أبناء البادية ، مضارب جماعته قريب من خب النباش، في طرف النفود ، عميل تجارة دائم لأصحاب الدكاكين في سوق "قبة رشيد"¹ ، يجلب السمن والإقط ، ويأخذ مقابلها التمر والقهوة والقليل جداً من الشاي ، يقوم حمد أبو السلمي رحمة الله عليه بالتوسط له عند التجار لإتمام تلك المقايضات ، كمنسق ، إن كان التاجر دائماً لوذيان ، أي كان عليه أكثر مما له يعطى مهلة للتسديد في السنة القادمة ، والضامن هنا حمد النباش ، وذيان كوميدي بالسليقة ، مؤدب متى أراد ، وسليط متى أراد ، لا يجامل أحدا ، يلبس الشماع الأحمر ، ولكن أؤكد هنا على، ولكن ، أنه شماع مختلف عن شمع أهل الخب، شماعه يربط فوقه خرقة بيضاء ، تقوم بدور العقال ، وهذا خرق لعرف لبس الشماع، لابد من التوقف عنده ، لربط هذه الخرقة فوق الشماع دلالات ، أهمها ، أن واضعها غالباً ما يكون من عليّة القوم، عنوان الزهو والتقرب من الزعامات بشكل عام وزعماء قبيلته بشكل خاص ، أما دور هذه الخرقة الأقل أهمية ، فهو حفظ الشماع من الطيران عند هبوب النسمة الغابرة ، أو الريح العابرة .

من الواضح أن وذيان ليس مهتماً بالنظافة قدر اهتمامه بالأناقة ، له عينان شاخصتان ، مكحلتان ، له لحية ، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة ، لون وجهه يميل إلى السّمار القاتم ، لا غرابة في هذا اللون لمن يقضي جُل وقته تحت أشعة الشمس الحارقة بجوار عنزته أو ناقته .

في طرف المجلس وبجوار الباب يجلس رجل كفيف اسمه "عبيد الهطّاق" ، وهو من عائلة الهطقان ، وهم قوم سمان ، أخذوا هذه السمنة جينياً من

¹ السوق الرئيس لأهل الخبوب

جدهم الأول ، ولتوضيح معنى الهطق ، فهو يجمع بين البدانة وارتخاء شحومها ، وتجد جميع شحم جسده يتحرك مع كل خطوة.

عبيد الهطق مقطوع من شجرة ، لا ولد ، لا أخ ، لا أخت ، يتيم الأبويين ، يتحلى عبيد بالعيارة ، دمه خفيف ، تدور حوله الشبهات بخصوص الصبية الذين يقومون بخدمته تحسباً وشهامة ، فجل علاقاته الاجتماعية مع أحداث خب النباش ، والحجة القديمة الجديدة والمبرر الرئيس لتقبل هذه العلاقات ، "يقودوني في الطريق وأعطيتهم شرط" □ وأنا رجل كفيف لا تؤخذ أخطائي على أنها تحرش ، فأنا لا أستطيع تحديد الأماكن التي أرغب في التعامل معها في جسم من يقودني" .

يجلس بجوار الوجار □ رجل غير وقور ، جلوسه بجوار الوجار دلالة على أنه المعزب □ ، بعثرة في كل شيء ، الملابس قديمة ومتسخة ، لو عضها الكلب لأصبح مسعورا ، شماغه مائل ، جلسته غير محتشمة دوما يرفع رجليه ويبعدها عن بعضهما الى بعض ليتبين لباسه الداخلي ، اسمه "دنقور النباش" ، عم السلمي ، شقيق والده الوحيد .

دنقور هذا متزوج بأخت باتل الطهوري ، يعير من أصحابه المقربين بـ "حَوْلْ دجة" ، علماً أن العرف الطرائفي بالخب يقول إن المنادة بالعيارة □ مسموح ، لكنه مرتبط بمن تمون عليه ، فأنا أمون عليك ، إذا أناديك بهذا اللقب ، وليس باسمك الذي تحمله منذ ولادتك ، وللتعير مقاصد ، أما إذلال المعير أو تدليله ، ومن النادر جداً أن يكون القصد مداعبته وعلى هذا فإن دنقور يتقبل تسميته بحول دجة من باتل فقط أما غيره فلا ، لكن انتبه ايها المعير !! لا بد أن لا يكون هناك أغراب عند التعير .

^١ مكافأة
^٢ موقد النار
^٣ صاحب الدار
^٤ الكنية الاستهزائية

بجانب دنقور يجلس خال السلمي "سعد أبو خجبا"، رجل معجب بدنقور بشكل غير عادي، يحرص دائماً على الجلوس بجواره ، يحمل عيارة الهمس ، وهي كناية لضعف البصر، (رجل لا يودي ولا يجيب)□
يحدق دنقور بنظره مائلة ، بصورة معاكسة لميلان رأسه باتجاه السلمي ، مقاطعاً مداولات الجميع غير الشيقة، وبصوت عال :
-السلمي، والله ونعم بولد اخوي، تراك أنت في مكان أبوك الله يرحمه، ولا تشيل هم وأنا عمك، ما تضيمك الدنيا وعمك دنقور حي، وهاالحين قم اخرف لنا قدوع□ ، واحرص على البسر المنوصف ، وعقبين دَخْل البقرة بالعشة عن الشمس ، وحط لها ماء وطعام□ ، وكتر الماء حنا بطباخ التمر وانا عمك .

نظر السلمي إلى خاله سعد أبو خجبا نظرة اختلط فيها العتب والاستغراب ، عتب على خاله ، كيف يؤمر بهذه الأعمال الشاقة المستعجلة ووالده لم ينشف قبره بعد ، أما الاستغراب فأتى من استعجال العم بممارسة صلاحية والده، وإصداره أوامر خاصة بالمزرعة والحلال ، وبكل أريحية .
تساءل في نفسه: ما القصد من إصدار هذه الأوامر الثلاثة مجتمعة في أول أيام العزاء ، بل قل في أول ساعاته ؟ حزنه على أبيه لازال يخيم على قواه ، لا يحتمل القيام بأية أعمال .

خيّم جو من السكوت لبرهة، استدار السلمي، ليهم بالمغادرة لتنفيذ الأوامر، تتحنج وذيان ، وأمسك طرفي عباءته براحتي يديه، محرّكاً جسمه يمينا ويساراً ، كأنه ضب علق من رقبتة، ثم قال بصوت أقرب إلى الهدوء:
-وقف يا السلمي

ثم وجه كلامه إلى العم دنقور متسائلاً :

¹ ضعيف الشخصية
² أجلب لنا رطباً من النخلة
³ امن لها ماء وعلف

- هاالحين 00ورى ما تقوم انت تجيب القدوع للرجاجيل وتدخل بقرتك يا
أبا البقر عن الشمس ، بدل ما توّمّر على هااليتيم أّلي تو أبوه مدفون ، ولا
يقدر يجر عناق □ مهوب عاد بقره ؟

أُصيب الجميع بما يشبه الصدمة ، من هذا الكلام المشبع بتحرش علني
من وزيان ، تحرش ينم عن وجود تشاحن مسبق مع دنقور .

اتسعت عيون دنقور الحولاء ، وعرض على شفته السفلى ، وبهدوء يملؤه
الخبث ، وجه كلامه للجميع باستثناء وزيان قائلاً :

-الله يرحمك يا أبو السلمي ما سلّم من وزيان حي وميت ، يوم انه حي
مخربه ، ويوم مات يبي يخرب ولده السلمي .

تداخل وزيان بسرعة وهو يمسح على لحيته ، ملتفتاً ببؤرة العين فقط ، مبقياً
على ثبات اتجاه الرأس ، مستفسراً بحنق :

-وش خربت أخوك أبو السلمي فيه يادنقور ؟

أجاب دنقور بأسرع مما كان يتوقع وزيان وكأنه ينتظر هذا السؤال على
أحر من الجمر للإجابة عليه :

- واجد يا وزيان ، خرابك لخوي واجد ، وش أعد ، وش اخلي :

الربابة اللي علمت اخوي يجرها ، أنت نسيت ؟!!

والا القصايد الماجنة ، اللي خليته يحفظها ويغنيها على الربابه ، انت نسيت
؟!!

والا التتن □ اللي أبرأ لله أنا ما شفته بعيني ، لكن ريحته تعايط كل ما
جيته يا وزيان ، انت نسيت !!

نسيت يوم انك طالع أنت وياه للنفود تتامون بالبر ، الناس تروكع يطلبون
الله تال الليل ، وهو يغني على الربابة :

يا عين لتس بالهوى لفته ما انتي على دين الاخواني

¹ صغير الماعز
² السجائر

هو معجبته واحدن شفته عوده من الزين روياني
شفته وحفته ووالفته شد المعاليق وابكاني

اححححح ،ايههههه، تلكاً دنقور قليلا كعادته في عدم إكمال أي
قصيدة يقولها ، مبديا اعترافه بعدم حفظ الأبيات المتبقية ، وبدأ يظهر من
فمه ما يشبه الزبد متابعاً أجابته لاستفسار وزيان عن مبررات اتهامه بتخريب
أخيه حمد أبو السلمي

- تحفظ اخوي قصيدة مانت بعلى دين الاخوان ، 0 وصلت الاخوان ياوذيان

- شفته وحفته ووالفته ، هذا كلام يا وزيان يحفظ ويردد عندنا بالخبوب
؟ ، ولكن ما أقول إلا حسبي الله عليك .

ثم واصل مرافعته ، ولكن بحدة أقل ، وباستهزاء مبطن :

- لا ويا بلفيت[□] جاي فازع للسلمي من ظلم عمه ، نسيت إني عمه يا
وذيان ، وابعلمه المراحل ، لا وازيدك من الشعر بيت ، ابمنعه عنك نهائي ،
عشان ما تعلم ولدنا باكر جر الرابة ، وتحفظه قصيدتك المجنة التي
رددتها قبل شوي وانت تتوضاء

ما يدفي إلا حضن مريوشة العيني

واليا عطشنا شربنا من ، 0 من ، 0 من شفاياها

عسى من يردد هالبيت ، تحظنه النار بدل مريوشة العيني
وإذا عطش ، عساه يشرب من نهر ويل في جهنم إن شاء الله .

قاطعه السلمي بكل براءة:

-وليعطشنا شربنا من ثاياها يا عم، مهوب[□] من شفاياها

عم الهدوء والاستغراب الجميع ، بعد تصحيح السلمي لعمه ، عجز بيت
القصيدة ، تسمرت أنظار الجميع على السلمي ، يقودهم عبيد الهطق،

¹ كأنه اتى لمساعدة السلمي
² ليس

الكفيف الذي أرفق التفاتته بشهقة قوية ، كتعويض عن فقدانه للبصر،
ينظرون بازدراء غاضب لهذا الطفل الحزين ، كيف يحفظ مثل هذا الشعر
البذيء ، ويقول بهضرتهم وعمه أولهم .

مزق وذيان الصمت بصوت عالي ، وبعد شهقة عبيد الهطق مباشرة ،
وبكلمة واحدة ظل يرددها :

-كفو، كفو، يا ولد حمد ، كفو يا البناخي، هذا الشبل من ذاك الأسد

رد بعدها عبيد الهطق مباشرة :

- حمد أبو السلمي أسد يا وزيان ، الله يقدي لك بس[□] ، أسد وهو يلبس
غتره ويخلي الشماع ، أسد وريحة التتن تشمةا بثيابه بالمسجد لو انه بآخر
الصف ، أسد وهو يعزف على الربابة، أسد وهو كل يوم بهاالطعوس[□]
يدوج بلحاله ، أسد وهو يجلس معك بالنفود ويخلي مجالس الرجال ، مثل
مجلس دنقور ومجلس أبو خجبا ومجلس الطهوري ومجلسي أنا يامحاكيك،
الله يرحمه بس من عنده، والا هو ، الله ربنا ورب ، معاصيه قومة وقعه[□] .

تداخل الطهوري على الطائر، معلقاً على إشارة عبيد الهطق لرائحة التتن
في حمد النباش بالمسجد أثناء الصلاة قائلاً :

-كل شي إلا الطهارة ، والنظافة بالصلاة، عاد يوم الله بلاه بالمخزي كان
الواجب عليه قبل يروح للصلاة يتطهر من ريحته .

قاطع وزيان مداخلة الطهوري بإشارة من يده وعبارة : اركد اركد،
وكأنه لا يريد من الطهوري أن يكمل مداخلته حتى يرد على كلام الهطق
:

-أبو سليمان أسد غصب عليك يا عميآن .

¹ عسا الله ان يريك الطريق الصحيح

² رمال الصحراء

³ معاصيه كثيره

قالها وذيان بغضب بعد أن استغنى عن الاستناد إلى الجدار ، مؤشراً بأصبع السبابة إلى عبيد الهطق.

-الفترة البيضاء ياهطق، يبين فيها قل النظافة ، ويفسلها أبو سليمان الله يرحمه ألين تنظف، اما شماغك الاحمر اللي لو يعضه الكلب انفلث، يشوفه الواحد يحسبه نظيف، وهو يحتاج نفض وترييض بالماء والصابون ، اما التتن فلا شافت عينك ياعميان ولا وقفت رجلك عساها الكسر ، ريحة التتن اللي تشمها بفترة أبو السلمي مني ، يوم اني أتتن بالنفود قبل أخليه ، شفت انك ظلمت الرجال، ما قرّوك الاخوان إن بعض الظن إثم ، كحجح 0، كحجح، عطني ماء ياالسلمي نشف ريقى الله ينشف ريقهم . واصل وذيان الحديث دون أن ينتظر الماء ، أما طلعاته للطعوس فهي أبرك من مجالسكم اللي كلها هرج لا يودي ولا يجيب.

ثم وجه كلامه للجميع عاتباً عليهم بعد أن شرب الماء الذي أحضره السلمي له :

هذا نسيبكم يا دافع البلا، رفيقكم طول السنين ، ما سلم منكم وقبره توه رطب ؟! لكن ما أقول إلا ليته سامع هاالكلام ، كان جاء علم ثاني، تعرفونه كلكم، ذيب أمعط ، يشق البراري مع العقيلات عرض طول وعمره صغير، مرة الزبير، ومرة الشام، وانتم مقابلين حريمكم .

استعدل أبو خجبا في جلسته، باسطاً يده فوق عينيه مشكلة مظلة تساعد على الرؤيا، رافعا رأسه، مكبساً بهمساويته الصغيرتين باتجاه وذيان قائلاً:

-ياوذيان حنا عيال قرية وكلن يعرف اوخيه، ما خرب نسيبي إلا روحاته للزبير، أبو السلمي يروح للزبير ولا يسكن بها ، جتنا العلوم ، ينس من الجماعة ويغطس ما يندرى وينه، والله يستر إن كان ماهو يروح للرميلة، وأنت تعرف وش هي الرميلاه ياوذيان، كلها حريم يبيعن شرفهن ، وأخرتها

يكملها ويجينا بالخب لابس غترة بيضاء مشجرة وثوب مقلم ، هذي الفائدة
اللي جابها ذبيك الامعط من روحاته .

وقف وزيان يستشيط غيظا واضعاً كلتا يديه على رأسه قائلاً :

-ياالله دخيلك ، هالكلام تقوله عن نسيبك وتوه ميت ؟! وش طينتك أنت
من البشر، والله ما عاد اقعد في مجلس فيه هالخرابييط .

التفت إلى السلمي والذي كان واقفاً طيلة مدة التراشق الحاد والنقاش
المحرج، يرقب مراحل تجريح والده من الربابة إلى الرميطة ، وبصوت محبط
وهو يمسح وجهه بطرف شماغه متأبطاً بعباءته قائلاً :

- دلني الدرب ياالسلمي ما عاد أشوف أبي اطلع .

مد أبوخجبا رجله لافاً رقبته 180 درجة باتجاه دنقور ، وبابتسامة
المنتصر يتساءل :

- وراه ذا زعل ؟ ثم واصل : أنا ما قلت إن أبو السلمي راح للرميلة يسوي
شيء ، أنا قلت الله يستر، أنا ما اتهمته، أنا أخاف ربي ، أنا مهبول ادخل
بذمتي شي ؟

واصل وزيان طريقه للخروج دون الإصغاء لما يقوله أبو خجبا عن صديقه
، وهو يضرب بعصاه على البساط والغبار يتطاير مع حبات الرمل المختبئة في
أحشاء البساط ، يتمتم بكلمات غير مفهومة ، والأقرب أنها دعاء (عسى
القوم تاخذكم، عسى ما يبقى بكم رطب الحلق) وهو الدعاء الذي لطالما
دعا به وزيان على البشر والأنعام عندما يغضب، لكن غضبه هذه المرة
مضاعف فقد مُسَّت سيرة صديق عمره حمد النباش بسوء ، وفي الساعات
الأولى من وفاته .

غادر وزيان والدموع تنهمر من عيني السلمي، مات والده ،والآن يغادر
نديم والده ،يعود أو لا يعود ،علمُ ذلك عند الله ، الأكيد انه لن يسمر بعد
غيابهما فوق رمال النفود ، لن يجلس بجانب النار الموقدة و دلة القهوة على

جانبتها ، والقصائد الغزلية تلقى بأداء صادق من أغلى الناس ، على لحن الهجيني ، بعزف رائع على الربابة .

آه آه يا لهذا الحزن العميق، أخذ يرقب زول وزيان وهو يتوارى تدريجياً في آخر جادة الطريق حتى غاب .

استمرت دموعه تنهمر ، جلس على الأرض دقائق ، واضعاً يديه على خديه ، إذ بنور يشع في نهاية الجادة ، بدأت دقائق قلبه تتزايد ، هل هي "اللولو" بنت الإمام "براك المنفلق" ؟

أمعن النظر حيث أصبحت المسافة أقرب ، أصبح قلبه يرتجف ، حباً وخوفاً !! حباً لرؤية الغالية اللولو ، قلبه ، وعينه ، وروحه ، أم الصفائر الممشوطة ، رفيقة الطفولة .

أما خوفاً ، فهو من شبح الرجل الذي يتخبط حواليتها ، كأنه حارس لكبار الشخصيات ، أبوها ، براك المنفلق ، أبو شماغ ، مهتري ، الأقشر ، الذي ورث القشارة جينياً من جده السابع عشر ، صاحب الفلقة □ الشهيرة والتي لقب بسببها بالمنفلق وحمل هذا اللقب ذريته من بعده ، إلى أن وصلت إليه ، إمام ومؤذن بنفس الوقت لمسجد خب النباش دونما أخذ موافقة أهل الخب .

يعمل براك وقافاً في إحدى مزارع باتل الطهوري ، بعقد إيجار لمدة خمس وعشرين سنة أو ما يسمى بـ (صبرة) □ ، مقابل عشر منتج المزرعة أما التسعة أعشار المتبقية فمن نصيب صاحب الأرض الطهوري ، عقد فيه من الإقطاعية الشيء الكثير .

براك المنفلق يستأنس بحمل عصا ليست غليظة ، لا تفارقه ليل نهار ، متكسرة من أطرافها ، يعود سبب تكسرها لإدمانه ضرب مؤخرة الأطفال ، ليل نهار ، بسبب أو بدون سبب ، فالأطفال في الخب يعيشون تحت قانون الأشغال الشاقة المؤبدة وقانون حضر التجول ، في آن واحد ، والضرب هو

^١ الشحه في الرأس
^٢ مصطلح لمثل هذه الاتفاقيات

العامل المشترك بين هذين القانونين، يستبدل المثقفون من أهل الخب أسلوب الضرب في التربية، بعبارات توعية لطيفة، منتشرة بين الآباء لردع الأطفال : إن أنتم خرجتم ظهراً فسوف تعضكم "حمارة القايلة"[□] ، وعندما تغيب الشمس فستجدون "السعلو"[□] في أي مكان تذهبون إليه، ينتظركم ليأكلكم بأسنانه الكبيرة .

بدأ الشبحان الخير والشر يقتربان من مزرعة أبو السلمي ، شيئاً فشيئاً، أقبلت ريم الخب "اللولو" تتمايل كتمايل أعواد الأثل عندما تهب عليها رياح النفود، تمايل يبدو انه ليس تغنجا ، بل نتيجة طبيعته لمن يحمل فوق رأسه أكبر من طاقته، هذا هو الحاصل مع اللولو، فوق رأسها قدر كبير، مملؤا بمرقوق على قفر[□] طبختها أمها تضامنا ووقوفاً مع أم السلمي لإ راحتها من الطبخ في هذا اليوم الحزين ، جرياً على العادة الحميدة التي يتحلى بها بعض أهل الخب الطيبين .

، يا للقهر، ردها السلمي في نفسه ، كيف تحمل حبيبته أثقالاً فوق طاقتها ، وصاحب هذا الشماع المنتوف الذي يطلق عليه ابوها، يتمخطر بجانبها، يحك جوانب لحييه باليد اليسرى ، ويوميء بالعصا باليد اليمنى، مرة يمشي عن يمينها ومرة عن شمالها ، رغم أن الجادة خالية من الناس .

تقلصت المسافة بين السلمي وبين اللولو حتى بدأ بمقدوره رؤية العرق وهو يتصبب من وجهها الطاهر، عرق لا يكاد يُرى من خلف الغطوه ، الغطوه المكونة من أربع طرقات من الشيله[□] ، وستزيد بطبيعة الحال حسب التقدم بالعمر، لتصل ، إن كان قماشها قديماً ، إلى خمس طرقات أو ست، أما إن

¹ صفة لحيوان خياليو تعبير عن شدة الحراره

² شيطان من الجن

³ لحم يعرض للشمس لكي لا يفسد لعدم وجود تلاجات لفظ اللحوم

⁴ الشال الاسود الخفيف السماكه

كان القماش جديداً فستصل الغطوه إلى ثمان طرقات ، عرف خبي ثابت
كثبات أثله .

الآن عرف السلمي سبب غياب اللولو عن الحضور لملاقاته ساعات
القيولة للأيام الفائتة .

ساعة القيلولة ، يا لأمان ساعة القيلولة، ساعة نوم الفضوليين
والجواسيس ،ساعة استراحة الكلاب الضالة في الأماكن الرطبة، ساعة
موعد الأحباب عند "أثلة العصفور"، الشجرة التي سماها السلمي بهذا الاسم
بسبب عصفور كان يسكنها ولم يكن يخاف من اللولو والسلمي إذا التقيا
كل ظهيرة، منذ أكثر من أسبوعين، وهو يتردد على أثلة العصفور ساعات
القيولة، واللولو لا تأتي، آه، آه ، أمروها بغطاء وجهها ،عسى أن تغطيهم
قبورهم، عزلوها عنه ،عزلهم الله عن هذه الدنيا، حجزوها عسى الله
يحجزهم معوقين .

إنها مرحلة مؤلمة للسلمي، لذلك يدعو عليهم من قلبه، لأنه يعرف أن
مرحلة الفراق ستطول ،سيحرم من الاستئناس بروحها الفتية ،ورؤية تلك
العينين الجميلتين ،وتلك الوجنتين النديتين ،وذلك المسم الصغير ،حرمانا
أبديا، مؤكداً، مؤكداً، لن ينتهي هذا الحرمان إلا بزواجه منها ،طار أو
وقع، لن يستطيع رؤيتها ،يازواج، أو الحرمان إلى الأبد .

أنزعج براك من تقلص المسافة بين السلمي واللولو، تلثم بشماغه المنتوف
وكأنه سيدخل معركة تحرير فلسطين واتجه إلى السلمي ،الطفل السلمي
وليس "موشي ديان" قائد قوات الاحتلال في نكسة 67، وسبب معركة
براك هنا، هي محاولة اعتداء من السلمي على ابنته بالنظرات الاعجابية
وربما بالمشاعر الروحية، فليكن واضحاً ،النظر إليها بإعجاب أو إبداء الود
لها بالسريرة، تعتبر جريمة نكراء ومشاعر شيطانية، ستبقي الشكوك
والظنون في رأس الجميع، تُستحضر عند أي طارئ إلى أن تقوم الساعة،

وسوف يتأبط والدها الحقد باستتناس على السلمي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

صاح براك بصوت منكر:

- وين عمك دنقور ؟

ولم ينتظر الإجابة و أكمل :

وخر وخر ، افتح الطريق للمرقوق ،

قالها وهو يرفع يده اليمنى الحاملة للعصا ملوحاً بها ، كأنه يهش ذبابة من أمامه .

يا سبحان الله !! براك يأمر بفتح الطريق للمرقوق ويتجاهل الإشارة لحاملة المرقوق ، كان الأجدى به أن يقول افتح الطريق أمام اللولو قدر العشاء يثقلها .

ويزيد الطين بلة عندما يصرخ في وجهي ، أمام أهم الناس عندي ، كان من المفترض أن يعزّيني بوالدي بدلا من هذا الصراخ .

عتب أليم وتساءل حزين أجلسا السلمي أرضا وهما يدخلان المزرعة ، ويديران ظهريهما له ، ويفترقان بالتدرّج ، براك إلى الديوانية مكان جلوس الرجال ، واللولو إلى الداخل مكان تواجد النساء .

أفكار تسدّس وتخمس في ذهنه ، لماذا يحدث له هذا الاحتقار من والد حبيبته ؟ ، وأمام عينيها ، وعلى مسمع من أذنيها ، وفي عزاء والده ، آه ، آه ، آهات يسحبها من أعماق أعماقه ، لماذا كل هذا الصيت والحشمة والود لعمه دنقور أبو شماغ حوسة ، دون والده ، والده ، أبوغتر ناصعة البياض ، أبو هدايا الكويت ، قماش ، وبشوت ، ودهن عود ، يقدمها دوما لأهل الشمع ، دون توقع الرد ، الذين يتسابقون قبل قليل ، للأساءة إليه ، أليس من المفترض أن يكون والده محور التعاطف بعد وفاته ، أليس من المفترض أن يكون والده محور الحشمة ، والباس تلك الحشمة على ابنه الوحيد بعد وفاته ؟

بدأ يسترجع مأخذ هذه الزمرة الشماغية على والده ، ابتداء من الكويت ، وقهاويها ، مروراً بلبس الغترة بدلاً من الشماغ ، وانتهاء بصداقة وزيان ، وقصائدها وربابتها وتنتها ،

رغم قناعته ، وحبه لخيارات والده ، إلا أن هذه المأخذ من قبل شلة الشمع تهش من كبريائه ، كلما بدءوا يتبحجون بقدرتهم على ترك هذه الأهواء والملذات ، للضعفاء والمنحرفين ، قطع تخميساته وتسديساته صوت عمه دنقور ينادي :

-السلمي ، وين أنت ، عطنا الغدا اللي جابه عمك براك ،
بأسرع من البرق ، قفز السلمي ، متخلصاً من وجومه ، متوجهاً إلى داخل البيت ، بالتأكيد ليس حرصاً على سد رمق جوع أهل الشمع المتبطحين بالديوانية ، ولكنها الرغبة لرؤية الحبيب الغالي عن قرب ، بعيداً عن العاذل ، ولو أنه قرب مع وقف التنفيذ ، قرب بوجود غطوة من أربع طبقات ، وسيرتفع العدد ، كلما كان هناك حاجة لتأصيل الحرمان .
وجدها بالمجبب □ ظهرها ملتصقاً بالجدار الأيمن ، تفرك يديها المنقوشة بالحنى ، اليمنى باليسرى ، تنتظره على أحر من الجمر ، وبصوت يبعث نغمات حزينة ، قالت :

- وش لونك يا السلمي ؟ ولم تنتظر الإجابة ، ثم أردفت :
وأحسن الله عزاك في أبوك ، الله يرحمه .
- جزاك الله خير يا اللولو ، أنا بخير والحمد لله ، وش لونك أنت ، لك مدة ما تجين عند أثلة العصفور !!
- ما اقدر ، أبوي يهاوشن ، ما ادري وش جاه من يوم تغطيت وهو ناشب لي ، وين ما أروح ، ينشد عن .
- بس وقت القايله ، خابره ينام ؟

¹ مدخل البيت .

-إيه بس هاالايا مهبوب يقيل، يجون عنده رجال كل ظهر، الظاهر أنهم بيون يسافرون للرياض يعلمونهم إنه ما يجوز يفتحون مدارس للبنات يتعلمن بهن .

- وشلون أبوك يعلم العلماء بالرياض وهو اذا صلى بنا ما يعرف التجويد بالقراءة، وإذا حدث عقب الصلاة ما يفرق بين الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، ولا يقرأ ولا يكتب، وشلون يؤخذ برأيه ؟!

- والله ما ادري، لكنه اذا سافر، يمكن أقدر أجي عند أثلة العصفور،⁰ مشتاقة لهاك الأثلة وللعصفور اللي بعليه، عسى بيضه فقسن وجابن عصافير صغيره .

- يعني جيتك مشتاقة للعصفور وبزارينه[□] ؟

- تلعثمت اللولو خجلاً مع ابتسامة تكاد لا تميز وهي تنظر إلى الأرض للحظات ثم جمعت قواها كأنها تتراجع في محكمة قائلة:

-أنا مشتاقة لك أنت، بس حط براسك، إن تواجها ما نيب شائلة الغطوة، أخاف إن شلته يحطن الله بالنار .

لم تعط أم السلمي فرصة للسلمي للتعليق على موضوع النار عندما سمعها تنادي:

-السلمي، السلمي، وين أنت تودي الغداء للرجال ؟

دخل يحمل صحن المرقوق الكبير، الذي لا يكاد يحمل، باعد بين قدميه وهو يرفعه من الأرض، ليتمكن من حفظ التوازن أثناء الرفع، استطاع حمله، عض شفته السفلى بعد أن استقام واستدار، مشى من جانب اللولو نافخاً صدره،⁰ حتى وضعه بين أهل الشمع، الحزينين على والده 'حزناً ربما يجعلهم لا يقبلون على الطعام، إيه هين !!

صاح عمه دنقور :

-وين السفرة ياالسلمي، تبينا نأكل على الأرض ؟

¹ صغار العصفور.

عاد إلى الداخل لإحضار طاولة الطعام المسماة بالسفرة ،وهي فرشاة على شكل دائرة مصنوعة من سعف النخيل، غالباً ما تتآكل حوافها لعوامل التعرية ،يختلف حجمها حسب مستوى أهلها، فالتجار سُفرهم كبيرة لأن الصحن المستخدمة في تناول الطعام كبيرة ،أما الفقراء فيستخدمون أصغر الأحجام، أحياناً يأكلون على الأرض وأحياناً من القدر مباشرة، الشرط الأساسي في حجم السفرة، هو أن تكون أكبر من الصحن لتقوم بدورها الأساس في تلقف ما يسقط من الأيدي لبقايا الأكل أثناء تناوله ،وبقايا العظام بعد عرمتها .

وَضَع السلمي السفرة بينهم، لم يكلف أحد منهم نفسه بحمل صحن المرقوق عنه ووضعه في مركز دائرة السفرة، تراجع بعد أن نفذ المهمة ،إذ بهم ينقضون في وقت واحد زحفاً على مؤخراتهم ،باتجاه السفرة ومرتقوها، صاروا يأكلون قطع المرقوق المشبعة بمرقة اللحم والخضار حتى بدت شفاههم وما حولها مرقاً يقطر .

عَلَّق الطهوري وهو يلحس يده :

- يازينه هالمريقيقه □ يا براك .

فهم براك الإشارة ورد بسرعة :

- طابخته اللولو عسى الله يصلحها .

وهو يعرّمش أحد العظام،رفع الطهوري نظره إلى السقف ،وكأنه يبحث عن خرم، مستفسراً بخبث:

-أجل صارت اللولو راعية بيت ما شاء الله ؟

-أنت ما تدري إن عمرها هالحين حول عشر سنين، أمهاتنا يتزوجن ،ويتحملن مسؤوليات البيوت ،واعمارهن اصغر.
ابتسم الطهوري .

¹ تدليل وتصغير لوجبة المرقوق

في هذه الأثناء كان بقية أهل الشمع مشغولين بالتسابق على اغتنام أكبر عدد ممكن من قطع اللحم ، كأن بينهم وبين هذا اللحم عداوة ، غير مكترئين بحديث المعنى الذي يدور بين الطهوري وبراك ، أما السلمي فظل حاملاً غضارة[□] الماء طوال وقت تناولهم الغداء ، تحسباً لغصة مفاجئة ، أو استعجال ببلع لقمة حارة ، وحمل الغضارة عرف كرمي لدى أهل الخب ، كما هو في نجد كافة.

لم تبد على أهل الشمع المعزّين آثار الحزن ، وهم ينهمون ما قدم لهم من طعام بشرافة ، حتى بدا أن الصحن نظيف ولم يُملاً قبل دقائق بأي مرقوق ، حتى السلمي الذي وقف على راحتهم ، لم يبقوا له شيئاً ، ناهيك عن أم السلمي التي لم تؤخذ بالحسبان ، علماً أن الرجال في الخب ونجد عامة ، كانوا يتقصدون التوقف عن الأكل حين يشرف الطعام على الانتهاء ، كأشارة عن كرمهم وتفضلهم على صاحبة الدار لتأكله ، زوجة كانت ، أم بنتا ، أو حتى أما .

يا لكرمهم ، لم يبقوا لها شيئاً من الطعام الذي هي من قامت بتقديمه لهم ، ما شاء الله ، يُقدّرون المرأة خير تقدير ، ويحرصون أيما حرص ، على كامل كرامتها.

ابتعد الجمع عن السفرة قليلاً وصاروا يمسحون ما علق بأيديهم من دهنيات على أذرعتهم وسيقانهم وهذا ما يعرف بغسل الأيدي بعد تناول وجبة دسمة ، ثم بدؤوا يتجشأون بالتناوب ، صاح الجميع بوقت واحد :

-أنعم الله عليك يا براك ، وأحسن الله عزاك يا دنقور .

زاد عليهم الطهوري بعبارة ، والله يعا في من طبخها المرقوق .

أحس السلمي بغيرة حانقة ، وارتاب من عبارات الطهوري ، فاللولو في نظره أظهر من أن يتكلم عنها هذا الطهوري.

¹ وعاء للشرب

اتكأ الطهوري على الجدار ماداً رجله اليسرى مطبقاً ساقه الأيمن على
فخذه الأيسر وركبته إلى الأعلى متابعاً حديثه:

-على طاري ألاك، أبيبك يا براك تعزل حصاني اللي بالمربط عندك عن
حمارك، حمارك ما يخليه يتهنّ بأكل، ولا يخليه ينام، وانا ما خليته عندك
إلا علشان انك تحشمة، وأصلاً ما يصير تربط حصان مع حمار، أقول لو
تربط حمارك بالأثلة الطارفة، أوفق، ظلالها كبير، وقريبة من بيتك.

أجاب براك بالسمع والطاعة قائلاً:

-أبشر يا أبو زامل الحمار وراعي الحمار تحت أمرك، حصانك لو تبي
حطّيته بقبو البيت، أنت معزينا، وراعي الحلال، وحماري أقلعه [□] للنفود
لعيون حصانك.

تداخل عبيد الهطق مستظرفاً:

-يا ليتن حصان لك يا أبو زامل.

قهقه الجميع بانسراح، وكأنهم في كشتة [□] وليسوا في عزاء.

استأنس عبيد الهطق على تفاعل الجماعة مع طرفته ورأى أن يعطيهم طرفة
ثانية :

-ويا ليتن ما نيب حمار عندك يا براك، كان تربطن بالنفود، وياكلن
الذيب.

زادت القهقهة، حتى أن بعضهم استلقى على جنبه من كثرة الضحك،
ازداد غضب السلمي وحنق عليهم جميعاً، لقهقهتهم في هذا اليوم الحزين،
وزاد حنقه على الطهوري بالذات، كونه زاد على القهقهة بأن وجهه
بتخصيص أثلة العصفور مسكناً لحمار براك، أثلة الرومانسية والذكريات
، ملتقى العشاق تصبح زريبة!! وحصان الطهوري يتمتع بالسكنى لوحده مع
بقرة براك، ينفرد بطعام البرسيم لوحده، أتلّك عنصرية أم أهواء شخصية؟

¹ اذهب به .
² يوصلني منزلي

لو نظرنا لواقع الحال فإن حمار براك أحق من حصان الطهوري بالسكنى داخل المزرعة ، فالأعمال التي يقوم بها شاقة وكثيرة، يا لهذا الحصان المحظوظ يُمسح على ظهره أول النهار وآخره.

حصل ارتخاء تدريجي بعد أكل المرقوق والضحك، أخذ بعدها عبيد الهطق يتحسس المكان حوله، بحثاً عن عصاه وهي إشارة إلى قرب انتهاء المنتدى، الذي بدأ حزيناً وانتهى كوميدياً، وصدر عنه توصية بنقل الحمار إلى أثلة العصفور وتفرد حصان الطهوري بالحظيرة لوحده. وقف الهطق واتكأ بيده اليمنى على عصاه ويده اليسرى تتحسس كرشه مردداً :

-أكرمكم الله وأحسن الله عزاكم ، ثم أردف قائلاً:
ما احد موديني □ منكم؟

أجاب دنقور: وحمارك وينه، وري ما جبته □ ؟
أجاب الهطق بهدوء وهو يحك إذنه: الحمار ما اتكل عليه □ يوصلني للبيت.
علق دنقور:

-وشلون ما تتكل عليه يوصلك للبيت ،وهو يوصلك للسوق كل يوم؟
هنا بدأ الهطق بالتوضيح:

-نعم ،يوصلني الصبح، أما وقت القايلة □ ما يصلح، ثم واصل التوضيح:
بها الفاي □ وانا راكب الحمار بالقايلة ،وميريشوف من بعيد حمارة ،ومير ينصاه، أقول به □ ،أضربه ،مابه فايده، وميرأطب □ واخليه ينقلع لها.

^١ يذهب بي
^٢ لم تأت به
^٣ اتق به
^٤ اذا حميت الشمس
^٥ وقت مضى
^٦ احاول معه
^٧ اقفز

قهقه الجميع وخاصة الطهوري الذي يهوى هذه الأنواع من الفكاهة،
وكعرفان للهطق على إلقاء مثل هذه النوع من الطرائف قال الطهوري : أنا
أوديك ما عقب ذي شي.

وقف الجميع في وقت واحد ماعدا خال السلمي أبو خجبا الذي لن يذهب
وسيبقى بجوار شقيقته في هذا اليوم الحزين ، و الذي طالبهم بعدم
الاستعجال بالمغادرة والجلوس معه إلى صلاة العصر، لكن اعتذروا جميعاً
مُذكرين بأهمية نوم القيلولة في بيوتهم قبل الصلاة.

غادرالجميع بما فيهم اللولو والتي رافقت اباهما ، التفت أبو خجبا إلى
السلمي طالباً منه دعوة والدته للتحديث معها وتطبيب خاطرها وتخفيف
حزنها.

توجه السلمي إلى الداخل، لإبلاغ والدته، وهي في القبو، أن أخوها
يريدها، لمح عن يساره باب غرفة والده، انساق إليها بقدميه دون إرادته،
دخلها بشوق غريب، كانت تعج برائحة الدخون الذي كان والده يطيب
ملابسه به ، أخذ يتحسس ملابس والده ويضعها على وجهه ، كانت معلقة
على وتد مغروس في الجدار.

هناك في الركن شنطة المرحوم الرئيسة ،بداخلها كل شيء، من قطع
الملابس ، إلى الطيب ، إلى الفتر البيضاء ، إلى العُقل ، إلى الهدايا ، إلى
الرصيد النقدي،

شنطة حجمها بحجم برميل زيت أرامكو ،وغطاؤها محدودب مثله ، ما
أصعب الفراق ،وأنت ترى حاجات من تفارق ،لأول مرة، جَلَس متكئاً على
شنطة والده المقفلة بقفل بحجم كف اليد ،وليس لها رقم سري بطبيعة
الحال، أوقف ربابة والده الملقاة على الأرض، نفخ عليها لإزالة الغبار العالق
بها، سحب عباءة والده المرمية خلف الباب بعد أن تم تغطية الجثمان بها أثناء
التشييع هذا النهار، وضعها مخدة تحت رأسه، أغلى وأحلى وأنعم مخدة
يمكن أن يضعها تحت رأسه، صار يقبلها بين وقت وآخر ،وهو يدعو لوالده

بالرحمة والغفران ،وعيناه مغرورقتان بالدموع، يقرأ الفاتحة والمعوذتين،
يكرر القراءة مرات ومرات ، حتى تمكن منه النعاس وراح في سبات عميق.

-الجولة الثانية -

مرت الأيام التي تلت وفاة والد السلمي مليئة بالحزن والاكتئاب عليه ، أما أمه فقد باشرت العمل بالمزرعة صباح اليوم التالي ، حلب وحصد وسقيا للأحواض وإطعام البهائم ، لم تمنح نفسها إجازة ولو ليوم واحد حتى مضي 130 يوماً بعد الوفاة.

هذا اليوم هو أول أيام الحرية بعد انقضاء أيام الحداد ، لاحظ السلمي أن والدته أوكلت إليه جميع الأعمال اليومية التي كانت تقوم بها ، ما الأمر ؟! الأم مخضبة بالحناء ، ذهبت إلى البركة ، توسطتها وبدأت بتنظيف نفسها ، الحركة ليست طبيعية في المزرعة ، هكذا يشعر السلمي ، زوجة خاله أبو خجبا تأتي وتذهب ، تأتي وعلى رأسها بقشة [□] ، وتذهب بلا بقشة . بعد صلاة العصر أقبل خاله أبو خجبا ومعه ثلاثة فتيه :

هادي ، ابن خاله البكر .

و زامل ، ابن الطهوري البكر .

وهذا ، ابن عمه دنقور البكر .

فتية يلبسون الشمع الأحمر ، جميعهم يكبرون السلمي بثلاث سنوات على الأقل .

ألقوا التحية عليه وهو يروس الماء [□] في طرف إحدى السواقي ، ثم قال خاله :
-العيال بيون يطلعون للنفود الليلة [□] ، ويتعشون هناك دجاجتين ، وبيونك تروح معهم توسع صدرك واذا خلصتوا ترجعون لداري ، أمك تبي تنام عندنا الليلة .

¹ أشياء جمعت داخل خرقة تربط بأعلاها .

² يغير اتجاهه .

³ يرغبون بالذهاب برحلة إلى صحراء النفود .

ثم التفت إلى هذال ابن دنقور وطلب منه أن يتبعه إلى عشة الدجاج ليعطيه الدجاجتين اللتين حُكَم عليهما بالشي لكبرهن ،وتوقفهن عن إهداء البيض اليومي.

رمى السلمي المسحاة[□] وذهب للبركة للاغتسال إشارة إلى الموافقة. دخل هذال عشة الدجاج وباشر في عراق إلقاء القبض على الدجاجتين، هما مرتابتات من مصيرهما ،ولا ترغبان بالاستقرار في وسط الزنبيل ،وهو يريد ربط عرى الزنبيل بعد وضعهن بداخله.

زامل ذهب لحوض البصل الأخضر ،ليقطع عدة بصلات ويضعها في جيبه، يهوى هذا الغلام أكل البصل الأخضر بشكل غير عادي، وصل حد الإدمان.

أصدر الخال أبو خجبا أمرا بأن يركب السلمي على الحمار لوحده ،والبقية يمشون بجانبه على أرجلهم ،وهذه دلالة على مكانة عالية لا ينالها كل من هب ودب.

توجهوا إلى الطعوس[□] والتي لا تبعد كثيراً عن خب النباش، وصلوا بعد حوالي ساعة إلى المكان المتفق عليه بين الثلاثة ليكون مكاناً مناسباً للكشنة.

منخفض كبير تحيط به الكثبان الرملية من جهاته الأربع، أنهى الحمار عملية النزول من أعلى الطعس إلى أسفله بصعوبة، يا لهذا الحمار المسكين، كيف سيكون حاله عند الصعود من الأسفل إلى الأعلى!!

بدءوا بإنزال أدوات الرحلة والتي تناثرت هنا وهناك

¹ المعول
² كثبان الرمل

حطب، صيخ حديد معوج بطول نصف متر، دجاجتين مربوطتين بزنبيل،
قربة ماء صغيرة، صُرة ملح كبيرة بها من الملح ما يكفي لمدة شهر، وأخيراً
قليل من الجَلَّة^١ .

قُسِّمَ العمل بشكل تلقائي، هذال أخذ الدجاجتين لذبحهما وتجهيزهما
للشي، وهادي بدأ بإيقاد النار.

لم يُطلب من السلمي القيام بأي عمل، فالتعليمات صريحة بأن يؤخذ بخاطر
السلمي هذه الليلة بالذات، ولا يُكَلَّف بأي مهمة، وهذا ما أعطاه فرصة
للذهاب بعيداً وإطلاق العنان لقدميه للغوص في هذه الرمال الناعمة، وإمتاع
ناظريه بجمال منظر تموجات النفود وقت العصر، يتذكر حبيبته اللولو.

أما زامل الطهوري فصعد إلى طعس قريب من موقعهم -كان بالجهة
الجنوبية من الموقع وأخذ يلتفت يميناً وشمالاً ليتأكد أن لا أحد قريب منهم،
عاد بعدها مطمئناً، وأقبل بانسراح ليقبض على صرة الملح وكأنها تريد
الهرب منه، حلّ وثاقها بأسنانه، أخرج من وسط الملح الذي بداخلها صرة
صغيرة أخرى، بدأ بتنظيف ما علق بها من الملح وهو ينادي :
هادي عطني العظم الموجود بوسط بردعة الحمار00بسرعة .

حل رباط الصرة الصغيرة وأخرج منها تتن، أخذ العظم من هادي والذي
كان عبارة عن عظم على شكل أنبوب مفتوح الطرفين فتحة أحد طرفيه
للأعلى، يوضع بها التبغ ومن ثم توضع الجمرة فوق التبغ، يقوم المدخن
بشفط الهواء من الطرف الثاني للعظم، يحس بعدها بإحساس النشوة، كما
يقول أهل الغتر "يشوف مناير مصر" أي من شدة النشوة كأنه يرى مآذن
مصر، وهذا ما قام به زامل بكل دقة، خطوة بخطوة بعد أن رمى بقليل من
الجلة على النار كي تحترق و تفرز دخاناً كثيفاً ذا رائحة أقوى من رائحة
التن، ما يفقد المتربصين بشاربي التن التمييز بين الرائحتين، وفقدان

^١ روث الحيوان يستخدم كوقود للنار

مصدر من مصادر المعلومات ،وهو شم رائحة التتن، وهذا يُعسّر عملية اكتشاف المتتتين.

عاد السلمي ليفاجأ بزامل الطهوري يُتتن، صاح :

-وشو ذا يا زامل؟!؟

رد زامل وكأنه مستعد للإجابة على سؤال متوقع:

-تتن ،الله واكبر ما عمرك شفته ،أبوك يروح للكويت ويلبس غترة وما تعرفه؟

استشاط السلمي غضباً وقال بأعلى صوته :

-أبوي ما يشرب تتن.

أحس زامل بأنه أخرج السلمي وهو المعني بهذه الرحلة، والمطلوب إسعاده بأي ثمن فأراد تليين الموقف فقال بسرعة:

-ما قلت أبوك يشرب تتن بس أبوك يلبس غترة، وأكد أن ربه أهل الغتر يشربون تتن ،إذا جوكم[□] بالمرعة ، وتعرف إن هذا تتن يا السلمي، الله واكبر تجهل[□]؟

تعاطف هادي مع ابن عمته السلمي ولكنه لا يستطيع الإفصاح بذلك ، أراد إنهاء الجدل بطريقة سلسة ،فقام بتحريك النار ليتطاير الشرار هنا وهناك وهو ينادي هذال :

-وين الدجاجتين يا هذال ،النار طفت[□] والليل غشانا ،والجوع ذبحنا ،اخلص علينا.

-رد عليه هذال :والله يا أنت معلق برطب[□] ، واللي سماك هادي غلطان ،الواجب يسميك الخبصة ، تراك خبصتنا يا شين.

¹ اتو اليكم.
² تستغبي.
³ خدمت.
⁴ مستعجل.

توقف السلمي عن التعليق، كأنه اعتبر تراجع زامل عن اتهامه لوالده بشرب التبغ اعتذار غير مباشر، وفضل الاستعداد لأداء الصلاة. حان وقت صلاة المغرب، قام السلمي بالتيمم لقلّة الماء، وقف باتجاه القبلة ورفع الأذان، بعد انتهائه من الأذان التفت إليهم بزاوية 90 درجة وإذ هم مشغولون جميعاً، أحدهم يدخن التبغ، والآخر يقطع الدجاجتين، والثالث يوقد النار، يبدو أن الجميع لا يرغب بأداء الصلاة. بكل أدب وبصوت خجول قال :

- ما ودكم تصلون؟ (ألا ترغبون بأداء الصلاة)؟

رد الجميع بعبارة واحدة وبأصوات متفاوتة:

- حنا مسافرين وجامعين، صل يا السلمي، صل.

صلّى السلمي، وبعد انتهائه رفع يديه إلى السماء داعياً ربه في سريره بالرحمة والغفران لوالده.

استدار، اذ بالثلاثة يجلسون بجانب بعضهم البعض، الاكتاف متلاصقة، تنظيم دقيق، كأنهم صف مردي الشعر في العرضة النجدية، العظم دائر والدخان يتطاير، دخان التبغ، ودخان الجلة، ودخان احتراق الدجاجتين، الجماعة مسرورون، يشوفون مناير مصر!!

شفطة تبغ، وقظمة دجاج، تناغم وتفاهم عجيب في اقتسام وقت شفط العظم بين الثلاثة مع قضمات قطع الدجاج، والسلمي بكل براءة ينتظر اكتمال شواء الدجاج، كي يكون الأكل جماعي لأعضاء الرحلة، متفائل جداً!!

استمروا على هذه الحال حوالي نصف ساعة، وفجأة بدءوا يسمعون أصواتاً غريبة، قفز زامل ليرى من هناك، عاد للجلوس بسرعة، أخذ عظم التدخين، وصرة التبغ، ودفنها بالرمال، وطلب من البقية الهدوء، ما هي إلا لحظات حتى أطبق عليهم خمسة رجال ملثمين بالشمع الأحمر، من الجهات الأربع، بهجوم أشبه ما يكون بهجوم فرقة كوماندوز، مشمرين عن

أذرعتهن ،متسلحين بعصي أقرب إلى الخيزران منها إلى العُجْر^١ ، ركضة معها بعض القفز ، يصيحون بصوت واحد :
دونك ، عندك ، دونك ، عندك. (تعبير بمعنى لا تتحرك).
وقف الصبية الأربعة بسرعة ، إشارة للاستسلام.

أزاحت فرقة الكوماندوز اللثام عن وجوههم وقال قائدهم :
-وش تسوون يا السرابيت ٩٩^٢

رد هادي أبو خجبا بخوف وهو يرتجف :
-والله ، والله ، ما ، ما ، ما ، ماتتنا.

ابتسم القائد أبو صاطي وقال :

-حنا هل الشمع ، نبي نعرف انتم تتنون وإلا لا.

ثم بدأ بتوزيع المهام على أفراد الفرقة :

-ياالله ياالاخوان واحد يدور بالمزودة^٣ ، والثاني يفحص الحمار وبردعته ، وانتم يا الباقيين احرثوا الرمل ألي قاعدين عليه هاالصغارين رمله ، رملة.
أما مهمة التفتيش الذاتي فهذه من صلاحيات القائد.

يقترّب من الصبيان واحدا واحدا ، يضرب بيده بقوة على صدر الصبي ثم يجمع ما يقع تحت يده من الثوب ويسحبه حتى يصبح عند أنفه ثم يبدأ عملية الشم ، قد تطول عملية الشم وقد تقصر حسب ظهور نتيجة الفحص.

بدأت ورشة العمل المتوترة ، العنيفة ، المهينة ، المخيفة ، تقوم بأعمالها الموكلة إليها على أكمل وجه ، ثواني عصبية حتى صاح أحد الحرّاثين :
-أبشركم لقيت التّن.

حملَ صرة التّن للقائد أبو صاطي بيديه الاثنتين ، وقَدّمه على طريقة تقديم السيف ، من الرقيب السلف إلى الرقيب الخلف ، ابتسم القائد وقال :

^١ العصا الغليظة.

^٢ هم من يفعلون الأفعال المحرمة شرعا وعرفا.

^٣ كيس يحمل فيه الزاد وما يحتاج له في الرحلة.

-تشرّبون تتن يا الكلاب.

رد هذال بسرعة : والله مهوب أنا.

تداخل زامل بكل ثقة وقال:

-أنت راعي بخص^١ وتعرف إن أهل الشمغ ما يشربون التتن.

فهم المعنى صاحب المعنى ، وبقوة شديدة هذه المرة انقض أبو صاطي على السلمي وأمسكه من رقبته من الخلف وهو يقول:

-أنا شاك فيك يا أبو غتيرة^٢ من أول ما شفتك.

سحبه إلى بقية الفرقة وهو يردد:

-الله يحاكم يا أهل الغتر.

ثم وجه كلامه إلى أعضاء الفرقة:

-أيها الإخوان ، ثبت لدينا نحن أبو صاطي ومن معه من أهل الشمغ الأشاوس ، أن أبو غترة هو شرّاب التتن ، ابطحوه.

صدرت أوامر أبو صاطي بعقاب السلمي.

رد السلمي بصوت عالٍ :

-والله مهوب أنا ، علمهم يا هادي أنا ما أشرب التتن ، اللي يشرب التتن هذا ، وأشار إلى زامل.

علق زامل في الحال :

-أهل الشمغ أبخص^٣ ، ولا يظلمون أحد.

استجد السلمي بهذال ولد عمه دنقور:

-علمهم يا هذال إني ما أشرب التتن.

تمتم هذال ، وهو يرخي رأسه إلى الأرض:

-والله مدري ، انا مدري ، مالي دخل.

تبعه هادي دون أن يسأل بالعبارة نفسها :

^١ صاحب دراية.

^٢ تصغير غترة.

^٣ أعرف.

-وأنا مدري، مدري، ما شفت أحد.

أفراد الفرقة مستمرون في تأدية عملهم غير ابهين لصياحه ، باطحينه، باطحينه.

تمت عملية البطح بسهولة لصغر حجم السلمي أولاً ، ولكفاءة أفراد الفرقة الذي بدا أن لديهم خبرة وتدريباً عملياً مكثفاً.

بدأ تنفيذ الأوامر، تساقطت العصي على مؤخرة السلمي بالتناوب ، هذا، ثم هذا، ثم هذا، لا تداخل، ولا فروقات بقوة الإيماءات بالعصا، إنه العدل فجميع الجلدات شديدة حتى كاد المتهم أن يغشى عليه، عندها طلب القائد أبو صاطي التوقف.

مرت لحظات صمت قاطعها أبو صاطي بتوبيخ هذال وزامل وهادي:

-ياالله،ياالله، اهلكم¹، لا تشوفكم عيني مرة ثانية ،وان ذكر لي أنكم تمشون مع أبو غتره سويت بكم مثله.

تحذير وتهديد اتبعه بشكر أفراد الفرقة قائلاً:

-كفو يا اخوان ، ما قصرتوا، مشينا.

بعد خطوتين عاد أبو صاطي إلى السلمي وأخذ الغترة من فوق رأسه بطريقة همجيه وهو يقول:

-عطني هاالغترة ننظف الحمير بها.

ركب القائد أبو صاطي على حصانه السيسي ،متقدما فرقتة والبقية من حوله على حمير عادية ، كأنه نابليون والحرس من حوله وهو عائداً منتصرا من أحد معاركه،

وغادروا غير مأسوف عليهم.

التزم جميع الفتية الصمت، مد زامل يده إلى الدجاج المحترق، وبلا مبالاة راح يقطع بعض ما تبقى ولم يصله الاحتراق يأكل بشهية، تبعه هادي

¹ اذهبوا الى اهلكم .

باستحياء ،ليقطع بعدها هذال فخذاً كاملاً ويضعه في فمه في وقت واحد ،يمضغه وهو يردد :

-الله لا يوفقهم أوجعوا[□] ولد عمي السلمي ، والله ما يستاهل ، خلوا له شوي دجاج يا عيال ، لا تأكلونه كله يا المشافيح[□]
نظر إليه السلمي وهو يئن ويتألم :

- عساكم والله ما تحدّرونه[□] كلكم⁰⁰وانت ياهذال من اليوم ورايح منتب ولد عمي⁰⁰ولد عمك زامل الطهوري⁰⁰والشرهة على ولد خالي هادي اللي ما قال لهم أني ما شربت تتن⁰⁰وان اللي جاب التتن زامل وهو اللي يشربه.

بتسمية زامل دون الآخرين ،كان يريد أي تعليق منه ،كي يدخل معه في عراقك ،حتى مع معرفته بأنه يكبره سناً ، وربما يتغلب عليه.
قدّر زامل انفعال السلمي وآلامه ، وقرر السكوت ، أما هادي أبو خجبا فعلق بخجل قائلاً :

-أنا ما قلت لهم انك تشرب تتن ، أنا قلت ما ادري.

رد السلمي بغضب:

-ما به شق بس تخر[□] ، ما تدري يا هادي إني ما اشرب التتن ! ! مشينا بس مشينا⁰⁰ضفو قشكم^{□00} والله ما أعاونكم^{□00}ولا عاد أروح معكم⁰⁰لاي مكان يا غدارين.

بدأ الجميع بالاستعداد لمغادرة المكان باتجاه الخب ، سبق زامل الجميع وركب الحمار ، فمهمة تدليل السلمي في رحلة الذهاب قد انتهت ، سار الثلاثة على أقدامهم بطيئين بعض الشيء لمجارات السلمي البطيء بخطواته بسبب آلامه ، عند النزول من النفود تفرق الركب ، السلمي وابن خاله

¹ اسرفوا بايلام .

² الشرهين بالأكل.

³ لا تستطيعون أكله.

⁴ مثل يطلق على أن الأمر هو نفسه.

⁵ اجمعوا أدوات الرحلة.

⁶ اساعدكم.

سلكا الجادة يميناً باتجاه مزرعة أبو خجبا للمبيت هذه الليلة حسب تعليمات الخال، أما هذال وزامل فسلكا يساراً ، كل منهما قاصداً مزرعة والده. دخل السلمي وهادي المزرعة ، كانت هادئة إلا من زقزقة العصافير على النخيل ،⁰ونقيق الضفادع على الماء، اتجها إلى مجلس الرجال مباشرة ، بلا تردد ،فهو المكان المتعارف عليه لجميع العمليات ،نوم ،جلوس ،أكل ،وجدا فراشين مُجهزين لهما ، استلقيا على فراشيهما ،هذال على ظهره بينما لم يستطع السلمي الاستلقاء على الظهر ،جراح العصي في مؤخرته تمنعه من ذلك، نام على جنبه الأيمن موجهاً وجهه نحو الجدار ،وظهره باتجاه هذال كأشارة غير مباشرة للخصومة التي ربما تطول أياما أو أشهراً أو ربما سنوات فالأمر جلل ، سكوت على الظلم وغدر بذوي القربى ،وتهمة باطلة ،وضرب مهين ،ووجه مرغ بالتراب، أخذ يتحسس جروحه ، عسى أن يخفف من آلامها هذا التحسس ، حتى أخذه الناس.

استيقظ فجراً على صوت براك وهو يؤذن ، إذ بخاله فوق رأسه يطلب منهما الاستعجال إلى المسجد ،كان ساقى الماء الجنوبي قريباً من المجلس ، قصده ليتوضأ ، أخذ يسكب الماء على أطرافه وهو مرتاب وقلق ، والدته التي كانت توقظه قبل أذان الفجر يومياً لم يرها ، أهى نائمة ؟! هذا ليس من عادتها ، أهى مريضة ؟! سترك يا الله.

المشكلة أنه لا يستطيع الدخول للاطمئنان عليها في بيت خاله ، فزوجة خاله تتحجب عنه بتغطية وجهها وهو الذي لم يبلغ الحلم بعد ، لا بأس سينتظر إلى ما بعد الصلاة ، ذهب الثلاثة للمسجد ،

أدوا الصلاة في الخلوة[□] ، المكان الشتوي لأداء الصلاة ، بدأ براك يعد أسماء جميع ساكني خب النباش والمحسوبين على هذا المسجد ، معلقاً بيده اليسرى سراج "أبو تلفة"[□] ،

¹ قبر المسجد.
² نوع لا ينطفيء الى ان تنف عليه .

الحاضر منهم في المسجد يجيب، يتم التعرف على شخصيته برفع السراج قليلاً ليصل النور إليه، فالخلوة غرفة مقفلة، ليس لها نوافذ، وظلامها دامس، أما الغائب فيتم التحرك إلى منزله بعد أداء الصلاة مباشرة، ويتم استجوابه بشكل علني، أي عذر يقدم لا يُقبل إلا بعد التأكد، والبديل العقاب الفوري، وهذا الإجراء متبع في جميع مساجد الخبواب وما حولها.

كان الأمام يحفظ أسماءهم عن ظهر قلب، لأن عددهم لا يتجاوز الخمسة عشر أولاً، ولتكرار عملية العدد ثانياً، بعد انتهائه من العد وتثبته من الغائبين قال براك:

-يا اخوان نبارك لآخونا دنقور زواجه ليلة البارحة، وعساها من النواصي المباركة عليه، وبنفس الوقت نؤكد على أن السلمي سيحل محل والده في التعداد الصباحي من اليوم وصاعداً، إذا نام ولم يصل الفجر جماعة، فالعصا موجودة وقد أعذر من أنذر، ثم رفع السراج بيده اليسرى باتجاه السلمي وأشار له بسبابة يده اليمنى وقال:

سمعت يا السلمي؟

كان السلمي في حالة غليان من جلد العصا ليلة البارحة والآن براك يهدده بها أيضاً، فرد على التهديد دون التوقف عند مباركة زواج عمه قائلاً:

-سمعت00 ولكن .. هل سمعت أنت، أنه ورد حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل فيه أن من غلبه النوم حده الجلد؟ وراح يروي الحديث :

-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجِي صَفْوَانَ بْنُ الْمُعَطَّلِ يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، وَيُفْطِرُنِي إِذَا صُمْتُ، وَلَا يُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ . قَالَ: وَصَفْوَانُ عِنْدَهُ. قَالَ: فَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَتْ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا قَوْلُهَا: يَضْرِبُنِي إِذَا صَلَّيْتُ، فَإِنَّهَا تَقْرَأُ بِسُورَتَيْنِ وَقَدْ نَهَيْتُهَا، قَالَ:

فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ سُورَةٌ وَاحِدَةً لَكَفَتِ النَّاسَ، وَأَمَّا قَوْلُهَا: يُفْطِرُنِي، فَإِنَّهَا تَنْطَلِقُ فَتَصُومُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَا أَصِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ: « لَا تَصُومُ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا »، وَأَمَّا قَوْلُهَا: إِنِّي لَا أُصَلِّي حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ عُرِفَ لَنَا ذَاكَ، لَا نَكَادُ نَسْتَيْقِظُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ قَالَ: « فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَصَلِّ ».[□]

صمت الجميع ينظرون إلى السلمي بإعجاب ، فهم يعلمون مسبقاً بقدرة السلمي على الحفظ ، فهو الوحيد من أبناء الخب الذي يحفظ من القرآن سوراً كثيرة ، ولكنهم تفاجأوا بحفظه لحديث لم يسمعوها به من قبل.

تلعثم براك وقال :

-من الذي درسك هذا الحديث؟

رد السلمي : أبوي الله يرحمه.

أجاب براك :

-أبوك الله يرحمه يدور الرخص وأنت مثله ، تدور الرخص.

رد السلمي بحدة : رخص ما رخص ، الحديث صحيح والا لا؟؟

اخفض براك رأسه وأجاب :

-الحديث صحيح ، بس لو تلفقه[□] أزين ، واياي واياك تمام عن الصلاة ، أجي وامرغ وجهك بالتراب.

¹ رواه أبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (751/1).
² تغلق فمك.

تكهرب الجو من مفردة "امرغ وجهك بالتراب"، أحس السلمي أن النقاش وصل مرحلة ليست في صالحه ففضل عدم الرد، هنا وقف عبيد الهطق ينادي:

-وين دنقور، مسكوني دنقور، ابارك له على العرس، كودُه يعدين □
، واعرس مثله.

ابتسم الجميع، ولم يقهقوا احتراماً للمسجد، باشره دنقور لتلقي التبريكات، قام وتوجه إليه، وصار العناق المغرور بينهما، الإذن اليمنى لدنقور على الإذن اليسرى لعبيد الهطق والعكس صحيح، توالى بعد ذلك المباركات من الجميع لدنقور، بتكرار طريقة المباركة الخبية المعهودة، في زواج، أو عيد، أو عند عودة من سفر، أما في غير ذلك فلن تراها أبداً.

السلمي كان متردداً بالمباركة، ابن أخو العريس، وكان من المفترض أن يكون أول العارفين بزواج الغفلة هذا، انساب عمه الجدد من هم يا ترى ؟!

وأخيراً وليس آخراً -وهنا مربط الفرس -أنه لم يدع ليلة البارحة للزواج، ما هذا، معاتبات تزاحمت في خاطره، ومنعته من المباركة.

خرج الجميع من خلوة المسجد بصعوبة، فالخلوة مكان سفلي مظلم، كي تخرج منها عليك بصعود أربع إلى خمس درجات -بمقياس أستاذ البنائين -على ضوء سراج أبو تلفة الخافت.

بعد الخروج من باب المسجد، أسرع دنقور الخطى ماشياً مع الجادة التي تؤدي إلى مزرعة العروس، بعد خطوات قليلة توقف وكأنه تذكر شيئاً، التفت إلى السلمي وقال:

¹ يصيبي بالعدوى.

-دل □ عمك عبيد الهطق الدرب إلى بيته، ثم وجه الحديث للهطق قائلاً:

يا هطق، هون العلوم على الرجال.

أجابه الهطق : وكل الله يادنقور.

شفرات ، رسائل ، الغاز ، بينهما والسلمي محتار ، وضع عبيد الهطق يده اليسرى على كتف السلمي الأيمن وهو يمشي خلفه ، بيده اليمنى عصاه التي يتحسس بها الطريق ، وهما سائران بدأ الهطق بالتلميح :

-هاه ياالسلمي باركت لعمك بالعرس؟.

-لا والله ، أنا ما دريت إلا هاالحين.

-لا وانا عمك ، بارك لعمك ، وبارك لأمك الله يخليها لك.

-وش دخل أمي ؟!

-أمك العروس.

توقف السلمي وأمسك يد الهطق التي على كتفه ودفعها بقوة قائلاً:

-أمي تزوجت عمي دنقور ؟!

-إيه ما فيه من يم الله شيء □ .

بعد تأكيد الهطق له بزواج أمه ، لم تساعد قواه على الوقوف فجلس على ركبتيه ووضع يديه على رأسه وصاح قائلاً:

-عقب أبوي حمد النباش ، حوّل دجة ، دنقور، ياخذ أمي ؟

¹ خذ بيده لتقوده.

² ليس هناك أي محرم.

رد عبيد الهطق بتهكم:

-من زينه أبوك عاد 00والله لو انه محسن الهزاني.

اتسعت عينا السلمي 00وبان الحول الخفي الجميل فيهما 00 استشاط غضبا وقال:

-شف يا هطق العميان ،والله لو ما تمسك لسانك عن الكلام عن أبوي ،
اني لأكب عليك قاز وأشب فيك.

شاش الهطق وأصبح يومي بالعصا يمينا وشمالاً كأنه يبارز بالسيف وهو يردد:

-أنا تشب فيني يا ولد أبو غترة، أنت ما تربيت ،وانا اللي أبريك.

انطلق السلمي بعيداً عنه باتجاه المزرعة تاركاً الهطق يردد:

- وقف يا الحمار ،وقف يا الكلب.

تضاعفت آلام جروح السلمي، عُصي أبو صاطي ليلة البارحة وزواج أمه اليوم، وكأنه "مصخن ووطي بطنه"¹

بدأت الصورة تتضح لديه، أمه والتنظيف في بركة الماء

، البقش التي كانت ترد من زوجة خاله، بقشة صادرة وبقشة واردة ،الكشنة والحفاوة التي تخللتها في البداية.

آه، آه، الجماعة يحتفلون ليلة البارحة وهو تحت عصي أبو صاطي.

¹ مثل باللهجة العامية مرادف للمثل العربي "حشفا وسوء كيله".

آه، آه ، ونة جرهما من أقصى معاليق قلبه ثم أخذ يضرب جبهته براحة كفة وهو يقول:

-كيف فعلتها أم السلمي ؟

لم يقطع هواجس أحزانه إلا نهيق حمار براك، التفت تجاهه ليرى ما يحيط بأثلة العصفور وقد صارت كالزريبة يفترشها هذا الحمار المُغتصب، بعد أن كانت ظلاً رقيقاً يهفّف بالروائح الزكية، من عبق الأشجار الندية، وأنفاس اللولو تعطره، يا لهذا اليوم المرير، مصيبة تلتها مصيبة تلتها مصيبة، أم تزوجت بألد الخصوم، وكرامة مرغت بالتراب ظلماً وعدواناً، وهطق يهزاً بوالده، وحمار استوطن مكان لقائه بحبيبته 00 المصائب لا تأتي فراداً .

رفع رأسه وقال : يا رب أسألك الفرج من عندك.

وصل المزرعة ،يجر أذيال الهزيمة، اتجه إلى غرفة أبيه وبمجرد دخوله أحس بخطوات خلفه، التفت فإذا بها الغالية أمه، توقفت عند الباب، نزلت دمعة على خدها، مسحتها بأصابع يدها اليمنى ثم قالت:

-زعلان عليّ يا السلمي ؟ أحد يزعل على أمه حلوة اللبن □ ؟

انطلق نحوها واستقبله حضنها بحنان صادق، ضمها وأخذ ييكي، رفعت رأسه بكلتا يديها ،أقسمت له أنها مضطرة لهذا الزواج ،ولو لم تتزوج دنقور لأجبرت من أهلها بالزواج من آخر لم تسمه، وستكون النتيجة البعد عن السلمي وهيلة ومزرتهم ،ولكنها أكدت له أن لا أحد سوف يحل محل حمد النباش ،لا دنقور ولا غيره.

¹ جملة توصف بها الأم وهي كناية على الأم ترضع أعلى حليب.

عُذْرٌ طَيِّبٌ من خاطر السلمي ، لكنه لم يقنعه ، لذا لم يعلق ، كأنه تفهم موقفها ولا يريد أن تشعر بالضيق.

ظل لدقائق في حضنها يشم رائحة الحنّ التي أعادته لأيام الطفولة ، حالة حنان ، كدرها صوت العم دنقور وهو يقول:

-ورى ما باركت لعمك وأمك يا السلمي ؟

ابتعد السلمي عن حضن أمه ورمقه بنظرة حاقدة ، تاركاً الغرفة ، ناداه عمه ، لكن أمه بادرتة قائلة:

-أتركه ضايق صدره.

خرج يتخبط في الأرض هائماً ، بلا جهة محددة ، وإذ به عند أثلة العصفور والحمار رابض تحت ظلها ، مربوط بجذعها ،

اقترب من الأثلة وصار يتفحص مكان عش العصفور ، هل ما زال موجوداً بعد أن شاركه حمار براك السكنى ، ساء ما رأى حيث تأكد من أن عش العصفور خالٍ من ساكنه ، أحس بفراق ثان ، يضاف إلى الانقطاع القسري للولو بعد لبسها الحجاب (الغدفة) ، ابتعد قليلاً ، جلس على النفود الصغير المقابل للأثلة ، أخذ يرقب منزل اللولو ، حتى بدا قرص الشمس مرتفعاً ، عاد بعدها أدراجه إلى المزرعة.

وصل إلى المزرعة ، فوجد عروس ليلة البارحة قد توسطت الحقل ، في هذه الشمس الحارقة تحصد البرسيم ، انطلق باتجاهها وأخذ المحش من يدها وهو يقول:

-أنا عنك يمه ، أنا عنك يمه ، روجي ارتاحي ، وين العم العريس؟

قالت: عند زوجته الثانية.

وقفت وهي تضع يدها اليسرى على أسفل ظهرها ويدها اليمنى تمسح عرق جبينها ، ظهر يؤلم وعرق يتصبب ، تمتمت بكلمات غير مفهومة.

نظر إليها السلمي وهو مستمر بالحصاد قائلاً:

-وش تقولين يوه؟

أجابته بتحسر :

-يا من شرى له من حلاله علة[□].

قال وهو يخفي ابتسامة الشماتة:

-أفا يا ام السلمي عسى عمي مهوب العلة؟

قالت:

-إلا والله يا وليدي ، ثم واصلت حديثها بعتب:

والا فيه أحد يخلي عروسه ، صبح العرس ، تحصد بها الشمس ، هذا مهوب صاحي.

السلمي وجدها فرصة كي يذكر أمه بحقوقها الشرعية التي لطالما تحدث والده عنها ، ويدق اسفين بينهما لعل وعسى أن يجني ثماره لاحقاً فقال بصوت متعقل:

-يمه ترى شرعاً ما له عليك حقوق بأعمال المزرعة ، هل تعلمين أن ما يجمعكم عقد نكاح ومودة فقط ، وليس عقد عمل بالمزرعة ، لا يلزمك هذا

¹ مثل يقصد به أن الإنسان قد يشتري بماله ما يسوؤه ويقلقه.

العقد بخدمة الزوج، إن الزوجة لا تتزوج كي تصبح خادمة، إنما تزوجت لمؤانسة زوجها وعليه نفقتها، وإن كان ذا استطاعة فلك أن تطلبي خادمة، كما فعلت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها عندما طلبت خادمة من علي رضي الله عنه، يا أمي الغالية: هل تصدقين أن لك الحق أن ترفض إرضاع ابنك منه إلا بأجر مقابل هذه الرضاعة، وبيان ذلك صراحة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[□]

شعرت أم السلمي أن الذي يتحدث أبو السلمي وليس السلمي فتذكرت بعض ما كان يطرحه عليها أبو السلمي وقالت:

-بس ما علمك أبوك حديث الرسول اللهم صلي وسلم عليه عندما قال (لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[□].

زاد انفعال السلمي واسترسل في الموعظة الحسنة:

- يا ميمتي أنا أتكلم عن حقوقك وأنتي تكلمين عن حقوقه، نعم حديث السجود حديث صحيح، وللزوج حقوق شرعية يجب إطاعته فيها، عدم الخروج إلا بأذنه، عدم معصيته في ما نص عليه العقد بين الزوجين، المسألة ليست خذوه فغلوه، تزوجتها البارحة، أتعبها اليوم بأعمال المزرعة، هذا ليس عدلا.

لم تعلق والدته، شعر أن ما يقوله يجد أذان صاغية، فاستمر في التحريض الشرعي:

-أتعلمين يا أم السلمي أن العريس مخالف في ذهابه إلى زوجته الثانية صباح ليلة العرس؟

¹ سورة الطلاق آية (6).

² - مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل ج 3 ص 158.

هزت رأسها وكأنها غير متأكدة فأردف:

-نعم، هو مخالف للحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (للبكر سبعة أيام والثيب ثلاثة أيام ثم يعود إلى نسائه) .
ثم بدأ صوته يعلو وأفكاره تتواتر وأكمل:

-إن هؤلاء القوم، وأقصد يا أمي، أهل الشمع كلهم بما في ذلك عمي دنقور، يتغافلون عن ما عليهم ويصدقون بما لهم.

هنا رأت أمه إنهاء النقاش لتمادي السلمي في بحث أمور لا يجب أن يبحثها فقالت:

-ما بالحكي فائدة، إذا قضيت من الحصاد اجمع القوت^١ واربطه على الحمار علشان نوديه^٢ للسوق.

ثم استدارت باتجاه القبلة وأكملت حديثها قائلة:

-هاالكرف كله أوامر العريس، الله 000، ثم توقفت عن إكمال الدعاء على دنقور.

أكمل السلمي الحصاد، وحمله على الحمار، همت أمه بالركوب فوق الحمار فصاح السلمي:

-أنا بسوق الحمار يمه، ما يصير مرة^٣ تسوق ومعها رجال ما يسوق.

أجابته أمه بابتسامة:

^١ البرسيم.
^٢ نذهب به.
^٣ امرأة.

-هو حرام وأنا أمك؟

قال:

-لا ، بس أنا الرجل وأنت المرة أنا أقود وأنت يقاد بك.

عدلت أمه جلستها فوق الحمار وهي تزجره:

-اخلص علينا يا الرجل راح الوقت علينا.

أكملتا مهمتهما ، وعند الإياب أركبته أمه خلفها بعد أن أتما بيع البرسيم
في سوق "الجردة" واشتريا بعض الأغراض.

-الجولة الثالثة -

مرت سنة على السلمي بعد زواج أمه من عمه دنقور، العمل اليومي يتزايد، والتوبيخ والإهانات من عمه مستمرة، الحاجز النفسي مع والدته يزداد يوماً بعد يوم، كان أكثر ما يؤلمه نفسياً إن هو رآها تستعد لزوجها بتغيير الملابس، والتطيب، وتمشيط الرأس، ووضع الديرم □ على الشفاه، إضافة إلى تجهيز عدة القهوة، والكنس، ووضع البخور، أما الليلة التي يذهب العم دنقور لزوجته الثانية تراها كئيبة ليس لها رغبة في التحدث.

تتحسر على زمن والده حمد النباش، وتتنزين لدنقور النباش 00 تدعي على دنقور بالحقل نهاراً، وتدعو له ليلاً، شفرة لم يستطع السلمي فك رموزها، أهى الغيرة من الضرة أم هذال؟ أم هو الحب الجديد؟ أم هو الخوف من دنقور؟.

على مر الأيام والسلمي يتلمس الأعذار لوالدته في إهمالها له واهتمامها بدنقور، فوالده لطالما نبهه إلى حق الأم.

سنة مرت وحنقه يزداد على عمه بقدر حبه لوالده، فقد أحب والده حباً غير طبيعياً، والده الذي علمه الدين من أمهات الكتب الصحيحة التي كان يجلبها من الزبير والشام ومصر، والده الذي علمه العقيدة الصافية، هو من حفظه بعض سور القرآن، ما يساعده دوماً في الاستشهاد عند أي جدال مع أنصار الأعراف المقيتة، والده الذي علمه أحاديث نبوية صحيحة لا يسمعها بالخب البتة، والده الذي علمه المبادئ الإنسانية، والده الأمين الذي يعمل في جباية الزكاة من المسلمين منذ عشرات السنين ومزرعته أصغر مزرعة في

¹ نوع من الخشب يصبغ لون مائل للسواد على الشفاه (احمر الشفاه).

الخب ولم تكبر، والده الذي علمه شعر ابن لعبون والقاضي، والده الذي علمه كيف يجر الربابة على طرق الهجيني[□]، والده الذي وقف أمام أهل الخب بكل جراءة ولبس الغترة، ومات وهو لم يبدلها بالشماغ الأحمر.

هذه السنة تعيسة ، أتعبته الإدارة الجديدة والمتمثلة بعمه دنقور، الجرد السنوي أصبح جرداً يومياً، الرقابة على المنتجات لحظية ، مع التأكيد على أنها رقابة إحصائية وليست رقابة على الجودة النوعية، أصبح العمل بالمرزعة عملاً شاقاً يتمنى تركه بأسرع وقت ممكن، المدير المكلف والمدعو دنقور يبطش بالعاملين بهذه المرزعة الصغيرة وهم اثنان فقط، السلمي ووالدته، الترفيه ممنوع بشتى أنواعه ، يأتي كل صباح مكحلاً عينيه السليمة والحولاً ، لابساً شماغه الأحمر يعد الدجاج.

يطمئن من أن البيض تحت الدجاج من بعيد ، يطعن الدجاجة بعود يحملها ، كي تغادر مكانها ، فيتحسس البيض بالعود خوفاً من أن يكون قد فسد. يتحسس الأرض في الأحواض بواسطة عوده أيضاً، ليرى هل هي رطبة وتم سقيها بشكل كاف؟

المرور على الحمار والغنم والبقر للتأكد من إطعامها ، أمر مهم.

تذوق الحليب الطازج قبل أن يشرب منه أحد شيء أساس.

الحصاد والمنتج ، وما يباع منه في السوق، وفي حالة المخالفات أو الملاحظات فالضرب ينتظر السلمي والتوبيخ يُمنح لأم السلمي.

¹ نوع من ألحان الإنشاد في نجد.

-الجولة الرابعة -

في أحد الأيام، وسط وقت الظهيرة أحس السلمي بأنه بحاجة إلى سماع صوت الربابة، بقصيد يدغدغ مشاعره، ومشاهدة مكان غال على قلبه يغذي حنينه العطشان، مكان بدأ يطرق سجل الأطلال بعد انقطاع لؤلؤة الخب واستيطان الحمار له ،

أخذ الربابة من مخبئها في غرفة والده ،توجه إلى أثلة العصفور ،جلس في ظل الأثلة المجاورة والمستوطن أمامه، طارد العصفور ، حمار براك.
وبدأ يجر على الربابة قصيدة:

السيل يا سدره الغرمول يسقيك من مزنة هلت الماء عقريه

بدأ يتلاعب بصوته الشجي وهو يغير في بعض كلمات القصيدة، فبدلاً من
"يا سدره الغرمول يسقيك" بدّلها "بأثلة العصفور"

السيل يا أثلة العصفور يسقيك ، ، ، 0

من مزنة هلت الماء عقريه، ، ، ، 0

نطيت أنا الداب □ وانيابه مشاويك، ، ،

والله وقاني من اسباب المنيه ، ، ، ، ،

لم يلبث إلا قليلا حتى رأى عمه قد أقبل إليه ،وقد عض على شماغه بأسنانه ووجه مائل بدرجة 65، لم يسعه الوقت للهرب انقض عليه عمّه وهو يتمتم بكلمات غير مرتبة المعاني لم يتضح منها إلا قوله :

¹ الثعبان.

-البركة منفجرة والماء كله ساح ،وحاس الأحواض ،وانت تغني ،السيل
يا أثلة العصفور يسقيك ١! السدرة صارت أثلة يا ولد راع الغترة؟
وبداً يضربه ، ويضربه ،ولسان حاله يقول: أي الموضع الذي يؤمك لكي
أزيده ضرباً.

أخيراً ، أمسك بالربابة -التي رماها السلمي جانباً عندما انقض عليه -
وقام بتحطيمها على رأسه ، تتأثرت أخشابها أعواداً ، إلى أن وصلت هذه
الأعواد إلى برسيم الحمار واختلطت بغذائه والتي لم تمنعه من الاستمرار
بأكل البرسيم مُحلى بأعواد الربابة.

لف غترة السلمي على رقبته ،وصار يسحبه كما يُسحب الخروف المجلوب
للذبح وهو يرى السكين ، سَحَبٌ بخشونة مملحة بكلام مهين ، كل جملة
توبيخية تغطى بكف على مؤخرة الرأس ، حتى وصلا المزرعة.

صاحت أم السلمي بأعلى صوتها وهي ترى وحيدها يسحب وعليه آثار
الضرب المبرح:

-خف ربك بها اليتيم.

تشجع السلمي عندما رأى أمه فألحق صراخ والدته باستفسار قوي لعمه:

-وش أنا مسوي يوم انك تضربين؟

أجاب دنقور بعد أن ترك السلمي وغترته:

-إلا قل وش ما سويت ؟ الاولة: البركة منفجرة ، الثانية: ناهيك [□] عن
الربابة والغناء وما انتهيت ، والثالثة: تلميحك بالداب اللي وقاك الله منه
، عمك داب يا قليل الأدب ،ومن اليوم ورايح غصب عليك تلبس شماغ بدل
الغترة ، وتروح كل عصر للجامع ، تعلم الناس القرآن ، ترفع راسنا عند أهل
الشمع كلهم ، اللي فشّلنا أبوك قبلك عندهم ، هدايتك على يدي ، بالطيب
والإلا بالعصا.

^١ منعك عن.

أحس السلمي بعد فك قيد الرقبة ووجود والدته بقربه أنه بأمان وعليه أن يرد الصاع صاعين ولو بالكلام:

-الاولى: البركة انفجرت بسبب السدة □ ، خيشتها مهترية ومعلمك ، وقد اعذر من انذر.

الثانية: قولك، تجبرني على ترك الربابة والغناء عليها ، والروحة لتعليم الناس وتبي تهديني غصب!! لا أنا ولا أنت نقدر، إذا محمد ابن عبدالله وهو الرسول المصطفى لم يستطع هداية عمه، تجي أنت تبي تهديني؟ الهادي الله سبحانه وتعالى القائل في محكم كتابه إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^١ ، وعم الرسول صلى الله عليه وسلم كافر وأنا أصوم وأصلي.

أما غنائي، نطيت أنا الداب وأنياه مشاويك، فهذا شطر بيت كلن يغنيه والمعنى في بطن الشاعر، وإذا عندك شك انك داب تقرص الناس فأنا ما قلته.

استشاط عمه غضباً من التعليق الأخير فانطلق باتجاهه إلا أن أم السلمي حالت بينهما وهي تردد:

-تعوذ من الشيطان يادنقور ، وانت يا السلمي لا ترادد عمك.
استتب الوضع على الهدنة بسرعة فتفرقوا الثلاثة ، السلمي لمعالجة آثار انفجار البركة على الأحواض والمحاصيل ، ودنقور وزوجته إلى غرفة النوم.

مر شهرين والأجواء مشحونة بين السلمي وعمه دنقور، تعامل على قاعدة أمر ومأمور.

^١ نوع من القماش يسد به فتحة بركة الماء.

^٢ سورة القصص آية (56).

ساعة الضحى ، السلمي مستلقي بجانب أحد سواقي الماء في ظلال النخيل ، رأى والدته خارجة ، فسألها عن وجهتها فأجابته :
-أبروح لزوجة براك ، أهنيها بالعقلان[□] والسلامة على رجوع أبوهم براك قبل أمس من الرياض.

أرجو أن يكون عودا مفلسا ، كلمة قالها في قلبه عن براك ، فالخوف كل الخوف لدى السلمي ، هو أن تحقق هدف الزاحفين إلى المسئولين بالرياض ، واستطاعوا إقناعهم ، بمنع المرأة في كل أنحاء البلاد من التعلم ، كما تضمنته وثيقتهم الموقع عليها من جميع الإخوة الأعزاء أهل الشمغ المتتورين ، بزرعهم.

لم يكتف براك بالشراسة والشك ومنع شوفة الغالية اللولو وإجبارها على المكوث في البيت وعدم الخروج منه إلا إلى القبر أو بيت الزوجية ، قسا عليه هذا الجلف ، بحرمانه منها ، منذ يوم المرقوق وحتى الساعة ، بل ذهب هو ومن معه إلى أبعد من ذلك ، وهو الاستماتة من أجل منع بنات المسلمين من تلقي العلم في المدارس ، منعاً يرون في سريرتهم أنه العنصر الأساس لنجاح خطة الاحتواء المزدوج للعنصر النسائي ، منع ، عزل ، تحجيم ، عوامل أساسية لنجاح إستراتيجية يبقى الحال على ما هو عليه ، وعلى المتضرر اللجوء إلى الرجال ، استراتيجية أثبتت نجاحها بخب النباش ، فها هو السلمي منذ وفاة والده ، لم يتمكن من الظفر بلمحة عابرة ، أو همسة صوت حانية ، رغم محاولاته المستمرة والمستميتة ، أصبحت شوفة الغالية همه الأساس ، صار يقضي جل أوقات فراغه حول مزرعة براك ، بحجة صيد العصافير بالنبابة[□] ، ولكن هيهات ، هيهات فاللولو لا وجود لها .

خرجت والدته إلى بيت براك من هنا ، وعمه يأتي من هنا ، يجر خروف صغيراً ، ربطه منفردا بجانب العشة ، أمر السلمي بأخذه إلى بيت الطهوري

¹ مصطلح يطلق على الحالة التي يتصف بها من عاد من سفر أو عاد له أحد من سفر .
² هي آلة صغيرة أشبه ما تكون بالمقلع يستعملها الأطفال للصيد .

بعد صلاة العصر، عملاً بالعرف الخبي والنجدي بشكل عام، وهو إعانة من يريد الزواج بما تجود به النفس حسب الاستطاعة.

عند خروج عمه دخلت أمه عائدة من بيت براك، استقبلها بلهفة عارمة:

-ها يمه وش أخبارهم؟

-والله يا وليدي ما شاء الله تبارك الله، جاب لها الطهوري قلادة ذهب، ومجول[□] وش ثقلهن، تستاهل والله اللولو.

دب الخوف في قلبه من جملة والدته التي تحتوي على عبارة جاب لها الطهوري وربطها بعبارة، اللولو تستاهل !!

بصوت سريع تساءل:

-قلادة ومجول وش السالفة يا أم السلمي؟

أجابته بكل هدوء:

-ما هنا سالفة، ذهب شاربه الطهوري مهر لعروسته اللولو.

كاد أن يغشى عليه من هول المفاجأة، وباستغراب مع حسرة وهو يقترب من أمه ويسؤال محدد:

-واللولو موافقة؟

-اللولو وأنا أمك فرحانة بالذهب والثياب، ما تدري وش العرس، بزر[□]،

ما تعرف كوعها من كرسوعها.

تراجع قليلاً وهو يردد وكأنه يهذي:

-أنتي قلتها يمه بزر تاخذ شايب؟ لولوه تاخذ شايب؟ اللولو تاخذ شايب؟ وفي كل مرة يهز رأسه.

قطعت أمه عليه هذا الهذيان وهي تنظر إلى الخروف المربوط وتقول:

- هذا عانية الطهوري، وري عمك ما جاب خروف أكبر، هذا يفشل يا

دافع البلا.

¹ ذهب محلق تلبسه المرأة في معصمها.
² أي طفل.

لم يعلق السلمي على حجم الخروف ،فهو في وادي وأمه في وادي آخر، بدأ ينتابه شعور بالاستغراب ،هل الذهب أوقع على اللولو من مشاعر أثلة العصفور؟ ولكن، هاه ،من الممكن أنها تمثل دور الموافقة خوفا من والدها. هواجس تعبت بفكره سلباً وإيجاباً حتى نادى النادي لصلاة العصر. تنفيذاً لأوامر العم أخذ الخروف إلى بيت الطهوري، ولأن الطريق يمر عبر بيت اللولو التفت ليرى أهل الشمع يجهزون الحضار، وهو مكان احتفال النساء، والحضار عبارة عن عسيب النخل تُصف بجانب بعضها البعض، كجدار من أربع جهات ويترك ما يقارب المتر كباب، وهو أشبه بالساتر أو رواق الخيمة.

ناداه أحدهم بعد رد سلام السلمي:

-افزع يا السلمي

أجاب السلمي :

-أبشر ،بس أودي الخروف وافزع معكم.

التفت إلى الخروف وبدأ يتمتم:

-هل ما يعمله أهل الخب فيني عدلاً أيها الخروف؟ يريدون مني تجهيز حضار العرس ،وجرّك أيها الخروف وأنت عانية العرس ،وأي عرس ،إنه عرس حبيبتي اللولو.

صحا لنفسه ولامها ،هل وصل الأمر فيه أن يكلم خروف؟ تعوّد من الشيطان و أكمل مهمته.

تم تحدد موعد الزواج بيوم الخميس ليلة الجمعة، موعد سريع جداً، وإذا عرف السبب بطل العجب.

أولاً: كي لا يكون هناك وقت لمخططات تعكر صفو فرحة الزواج.

ثانياً: استعجالاً لسعادة ومنتعة الطهوري.

وثالثاً: جعل أم زامل - زوجة الطهوري - أمام الأمر الواقع، وفي هذا مراعاة لمشاعرها، فهي أم أولاده التي وقفت معه يوم كان ينقل الماء في قربة على

حمار ، ويسقي شجر الأثل الذي بسببه ملك كل هذه الأراضي ، اما زوجاته الأخريات فلا اعتبار لهن .

تلك التوصيات الاستعجالية تقدم بها رهط من أهل الشمع ، في يوم اجتماع ملكة الطهوري السرية.

عرف السلمي موعد الزواج من أحد صبيان مزرعة الطهوري لحظة تسليمه الخروف ، صعق ، إنه يوم غد الخميس ، الوقت المتبقي لا يكفي لترتيب لقاء مع اللولو ، يريد التأكد من أنها لا تزال تحبه ، وأنها أُجبرت على الطهوري . عاد إلى البيت في المزرعة ، أخذ النباطة للتمويه ، كأنه يصطاد العصافير في نخل براك ، دخل المزرعة ، اقترب من نافذة حجرة أم اللولو ، بعد أن سمعها تكلم والدتها بصوت مسموع وهي تقول:

-يمه أخط الحنّاها الحين وإلا اصبر شوي؟

أخذ يطلق ذخيرته من الحجر الصغير بواسطة النباطة باتجاه النافذة الصغيرة تباعا كرسائل الى اللولو ، كانت اللولو قد بدأت تمشط شعرها الطويل من المشاط¹ الموضوع أمامها في غضارة ، بعد أن أخذت موافقة والدتها بالبدء فوراً بوضع المشاط على رأسها ،

ارتابت من هذا الأحجار الصغيرة التي تساقطت عليها ، قفزت بلا شعور ، لترتطم قدمها بغضارة المشاط ، وتسكبها على الأرض ، يا لهذا الفأل النحس ، بالرغم من تحسرها على المشاط المسكوب إلا أنها أصرت على معرفة مصدر هذه الأحجار ، جنيّ ، أم انسيّ ، وضعت شنطة الملابس الجديدة التي اشترتها خصيصاً لملابس العرس تحت النافذة ووقفت تنظر من خلالها إلى مصدر هذه الأحجار

إذ عينها بعينه ، نظرت إليه بعين الغضب ، عكس نظرته هو التي اتسمت بالشوق والمحبة.

صرخت به :

¹ خليط الحناء مع الماء تضعه المرأة على رأسها للزينة.

-هذا أنت يا المقرود □ ، هبّلت بي وخليتن أنثر مشاطي على الأرض، 0
كش □ على ها الوجه ، بلشنا □ بها المبزرة.
ثم توارت عن النافذة.

ذهل لما سمع منها ، لم يصدق أذنيه ، لحظات استحضر فيها كل معاني
الكرامة والعزة ، أفاق بعدها ثم استدار ومعه نباطة الصيد وقد أفلس منها
، قنّاص العصافير بعد أن أصابته حمامة.
عاد أدراجة ، منكباً محبطاً.

السلمي عاطفي بطبعه ، مرتبط ارتباطاً روحياً مع والده حتى وهما مفترقان
فراقاً أبدياً ، كان عندما يحزن يتذكره وعندما يفرح يعبر في خيالة إليه.
تذكر نصيحة والده لصديق عمره وذيان ، الذي كان يشتكي من هجر
الحبيب ، في ليالي السمر فوق كثران النفود ، تذكر نصحه له قائلاً:
-الصبر على الهجر ، دائماً ينتهي بغدر ، وان لم تنسى ، ذهب عمرك هدر.
-سمع وطاعة يا أبي ، لن أجعل عمري يذهب هدرا.
حماسيات استحضرها وهو يخلع ملابسه لغسلها في ماء البركة لتكون
نظيفة أثناء المشاركة في حفلة زواج الطهوري من اللولو.

بعد صلاة عصر الخميس ، حانت ساعة الفرح ، بدأ المدعوون وغير المدعوين
من أهل الخب يتوافدون على الموقع المعد للحفل ، جُهِز الموقع بالبسط والدلال
التي جُمعت من أهل الخب والتي يتم إرجاعها فور انتهاء الاحتفال.
المقر هو أرض فضاء تقع على يسار مزرعة براك والد العروس ، وهي من
بعض أملاك الطهوري بالطبع ، سوف يحييها براك بعد الزواج مباشرة ، بنسبة
عُشر المنتج السنوي حسب المتبع ، عندها ستصبح ، خضرة ، وماء ، ووجهاً
حسناً جديداً.

¹ ذو الفأل النحس.

² إبراز راحة اليد بإصابعها الخمسة بوجه المعني وتعني التحقير.

³ أي أشغلونا.

كان آخر الوافدين لحفل الزواج عبيد الهطق، كان يلبس عباءة سوداء تحولت إلى شهباء بفعل الغبار، عباءة فيها أربع رقع، وكثير من الثقوب التي أحدثها فار يسكن معه في بيته.

لما رآه الجمع صاحوا بصوت واحد:

- ما شاء الله، ما شاء الله، وش هاالزين يا عبيد؟

رد بتعال:

- ما شفتوا شي، وين باطل الطهوري، أبيه يسمح لي أروح معه إذا دخلوه على عروسه، أبيه يترك بوسط حضار الحريم، يمكن تعشقن وحدة وتخطبن.

قهقه الجميع بما فيهم الطهوري الذي بادر برد النكتة قائلاً:

- أنا مهبول أدخلك معي، يمكن تشوفك العروس وتطمح عني □، تبيك.

قهقه الجميع بحماس أكثر، يريدون إيصال إشارة أن . نكتة الطهوري أجمل من نكته الهطق.

السلمي لم يبتسم حتى ابتسامة، فمنظر الطهوري وهو ينتظر لحظة دخوله على اللولو تثير حنقه.

الجميع يرغب في إظهار التعبير بالفرح بشكل مفضوح، العيون تحوم حول الوليمة المعدة بهذه المناسبة والمكونة من رز ولحم جمل، يأكل منها الرجال أولاً وما تبقى يرسل للنساء.

تناول عشاء الزواج قبل غياب الشمس بقليل، وقت يطلقون عليه (عصير)، يقوم بعدها بعض أهالي الخب بدعوة العريس على شرب القهوة كل في منزله تباعاً، قهوة وشاهي فقط لا غير، حتى تؤدي صلاة العشاء، بعدها تتم زفته على عروسه.

¹ تزهد بي.

هناك الطباخون يسار المزرعة مشغولون في سكب العشاء في خمسة صحنون ، بعد أن أعدوه إعداداً متواضعاً ، مع أنهم من الصباح وهم يعملون على الإعداد لهذه الوليمة.

تسارع القوم على الرز ولحم البعير ، وكأنهم في مسابقة رياضية ، من يلتهم أسرع وأكبر فهو الفائز بالجائزة .

السلمي شارك مجاملة ولم يكن جائعاً وكان أول الشبعانين ، لاحظ تغيب شلة الغدر ، زامل الطهوري وابن عمه هذال بن دنقور وابن خاله هادي أبو خجبا ، استغرب هذا التقاعس منهم عن المشاركة في الزواج ، لكنه تذكر قوة تأثير زامل الطهوري عليهم ، فعزف عن استغرابه ، فزامل غاضب مع أمه على هذا الزواج ولن يحضر ، وبقية الشلة ، لا يستطيعون إغضابه ، عليهم التعاطف معه ، غصباً كان أم طيباً.

بدأت المرحلة الثانية من مراسم الفرح ، وهي زيارات شرب القهوة عند أعيان الخب.

أتت المرحلة الثالثة والحاسمة ، وهي زف العريس بعد صلاة العشاء ، لم يتحمل السلمي النساء وهن يرقصن على كلمات الأناشيد الدعائية لباتل الطهوري كونه العريس و للمنطلق كونه والد العروس ، مسكينة هي العروس لم تكن هناك إشارة أو مفردة لها بكلمات الأناشيد.

أطبق السلمي براحتيه على أذنيه ، لا يريد سماع هذه الأناشيد التي تغنى على أنغام الدف الخبي ، والدف الخبي هو: إما صحن قديم أو قدر مستغنى عنه ينعم بالاعوجاج من جميع جهاته والسواد يكسو قاعدته من آثار نار خشب الأثل التي أوقدت تحته لأزمان طويلة ، غناء هذه الأناشيد يوتر أعصابه بشكل جنوني ، فضل المغادرة فوراً ، لكن يجب أن يكون انسحاباً تكتيكياً ، فعمه دنقور ، المنبطح مع أهل الشمع المنبطحين على هذه

الزوالي[□] المستعارة والتي فرشت في مكان تجمع الرجال ينتظرون نساءهم، سيضطر لتوصيل أمه عند نهاية الفرح عندما لا يجده، وهي مهمة على السلمي القيام بها هذه الليلة ، وإن لم يفعل فهذا تهرب من تحمل مسؤولية إيصال أمه إلى بيتها ، وعليه تحمل العواقب فالليلة مبيت دنقور عند أم هذال حسب الجدول المعد الذي لا يسمح لاحد ان يعيث به .

نجح السلمي بالانسحاب دون الاهتمام بالعواقب، ولم يشعر إلا وهو أمام أثلة العصفور، ابتعد قليلاً عنها ، حتى لا يزعج المستوطن المغتصب فيها والمعني هنا حمار براك المنفلق.

جمع بعض أعواد الأثل ليوقد النار للتدفئة ، فالبرد بدأ يشتد، اشتعلت النار، على جانبها استحضر بلا شعور اللقاء الأول بين الطهوري ومعشوقته اللولو هذه الليلة ، هل سيرفع الغدفة هذا الطهوري عن وجهها ، هل ستبتسم له ، هل سيقبلها ، هل وهل 000،

تمنى لو لم يكسر عمه الربابة على رأسه، لتغنى بإحدى القصائد التي تتحدث عن غدر الولايف ، لكن لا بأس يكفي مشاهدة أثلة العصفور ، واستحضار المواقف الغرامية، وإسقاط ما يخطر على باله من أبيات حفظها من والده لشعراء نجد الأوائل علها تسليه، ساقته هذه الخواطر إلى نتيجة لا يريد أن يقتنع بها، ألا وهي غدر النساء ، صغيرتهن وكبيرتهن، قصص مشابهة كثيرة حدثت في نجد والشعراء لها مؤثّقون، آخرهن أمه، حين قبلت بدنقور، وها هي تتزين له وكانت في السابق تقول لأبيه "يا بعد أمي وأبوي"، دنقور أبو شماغ مبتذل، صاحب الجلسة غير المحتشمة، بديلاً لوالده أبو غترة بيضاء؟، والده المعين من قبل ولاية الأمر لجباية الزكاة، ياللسخرية.

هاهي اللولو فضلت الطهوري ، ابو أرجل مليئة بالتشققات وأسنان متفرقة ، وكرش يتدلى ، فضّلته عليه وهو الوسيم النظيف ولبّاس الغترة الكويتية المشجرة، ألم تعطه موعداً للتلاقي عند الأثلة إذا ذهب والدها مع حملة

¹ جمع زوليه وهي السجادة التي يجلس عليها الضيوف.

الصالح المطلق إلى الرياض لمنع تدريس البنات، ألم يصبح هذا الموعد من مواعيد عرقوب، أيستحق منها كل ذلك، أين الذكريات الجميلة؟ هناك لعب معها بالتراب، وهنا أعطته بسراً منصوفاً، هنا انتظرها، وهناك انتظرته.

مرت الساعات عليه دون أن يشعر، أحس بحاجة إلى النوم وتذكر بيت شعر دائماً ما يردده والده إذا أحس بضيق:
دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبينن إلا خالي البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال.

قرر العودة، فمؤكد أن حفل الزواج قد استكمل جميع مراسمه، ووالدته قد عادت وبعلمها عند أم هذال، واللولو مع بعلمها في أول لقاء بينهما قد انهما التلاقي. دخل المزرعة إذ بعلمه جالساً جلسة القرفصاء (مبوز) على رجله، وأكواعه على ركبتيه عند عشة الدجاج، رافعاً أطراف شماغه على شكل ستايل بنت البكار¹، ينظر بعينه الحولا و كلها شرار، وقف وكأنه يخبئ شيئاً خلفه وقال :

-وينك يا السروق، شبع من الدجاج اللي سرقت؟

صُدم السلمي للحظة ثم أجاب:

-أي دجاج يا عم الله يهديك؟

أجاب وهو يؤشر بإصبع يده اليسرى على العشة:

-الدجاج اللي خلاك ما تأكل لحم البعير والرز بالعرس، وتقوم أول الناس.

-والله ما أدري وش تقول يا عم.

همّ بالذهاب إلى غرفة والده مبدياً عدم مبالاته لكلام عمه غير المفهوم، إذ بعلمه يخرج يده اليمنى التي كان يخبئها ممسكاً بجزء مكسور من عسيب النخل، انقض على السلمي وهو يردد:

¹ إحدى طرق لبس الشماغ.

-أخليك تدري هاالحين.

فأصبح يضربه كيفما اتفق ،والضربات تنزل كالمطر في أماكن متفرقة من جسده النحيل وهو يصرخ :

-يمه، يمه ،رجلك ذبحني.

صار يركض يمنة ،ويسرة ، حتى سقط على الأرض وقد استسلم لاستقبال الجلد من المربي الفاضل عمه ،الوصي عليه شرعاً.

أتت أمه من بعيد ، ولكنها لم تتدخل هذه المرة ، ربما لديها قناعة بصحة اتهام السلمي بسرقة الدجاجتين ، فالأدلة كلها تؤكد أن السلمي المشتبه الوحيد ، فقد غادر موقع الحفل بطريقة شبه سرية ، ولم يرغب في أكل الرز ولحم البعير ، أيضا لم يكن موجودا في المزرعة عند عودتهم.

وقفت وهي تتألم وترى زوجها يسقط ابنها الوحيد أرضا ،

لم يعد يقاوم إلا ببعض الكلمات غير المفهومة ومنها :

-ولذلك هذال هو السروق ، هو والتتانة ربعه ، ما تعشوا معنا أكيد راحوا يشوون الدجاج بالنفود.

عندها تركه دنقور طالبا منه السكوت عن الخراييط المفبركة عن ابنه وأصحابه لبّاسين الشمع الأفاضل.

اتجه دنقور إلى غرفة النوم بعد أن التفت التفاتة الدعوة لأم السلمي إلى النوم ، مشت خلفه ، بكل طوع وأريحية ، في الغرفة عاتبته بخجل :

-أوجعته □ يا أبو هذال.

أجابها بنشوة المنتصر :

-يستاهل ، خليه يتربى ، اليوم يسرق دجاج وباكريطمر □ على البيوت.

استعاد السلمي قواه بعد ربع ساعة ، وقف على قدميه ، اخذ يزيل التراب عن ثوبه وهو يشتم عمه بصوت ليس بعال :

^١ المته.
^٢ يقفز.

-عسى يدك الكسرى حول دجة.

اتجه إلى غرفة والده، مسكنه الآمن، على بابها قفل شديد، ينفع عند الضرورة.

لا بد من حل لهذا الوضع، لابد من تغيير هذا الواقع المهيّن، لم يعد يحتمل، أخذ يفكر بالحلول الممكنة، لوقف امتهان الكرامة المستمر.

هناك حل واحد من اثنين، إما السفر إلى الظهران والعمل في أرامكو أو الذهاب إلى شقيقته الوحيدة الحنونة هيلة في الرياض.

أرامكو لن يقبلوه فسنة صغيراً، آه، إذن الحل هو الرياض.

أخيراً استقر رأيه على الهجرة إلى الرياض، فزوج أخته ابن عم والده، فايز النباش، رجل طيب، أستاذ في علم التسامح، لا تجد فيه ذرة من خشونة واندفاع أهل الشمع، رجل عقيم ليس له أولاد، سيفرحان به إذا عاش بينهما، والأهم من ذلك كله، أن فايز يلبس الغترة، ولا يحب لبس الشماع الأحمر، وأعراف الخب المقيمة لا تعنيه^١ فقد صار ابن الرياض بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، فهو يعيش حياة رياضية لا خيبة.

آه، آه، هناك مشكلة كبيرة، لا يوجد لديه مال، فالسفر إلى الرياض يحتاج إلى مصاريف وكروة^٢، فكر قليلاً ثم تذكر أن المال في صندوق أمه، ولكن صندوق أمه في غرفة الدنقور، والدنقور نائم هذه الليلة عند أمه استثناءً كي يضربه، الصندوق مقفل، والمفتاح في جيب أمه.

لتجاوز كل هذه المعوقات لابد من الانتظار حتى صلاة الفجر. تلك الليلة، قضاها في تجهيز بقشة السفر، وتضميد إصابات ضربات اليد الحاقدة.

أذن الفجر، الأذان الأول^٣، استيقظت والدته، وأيقظته للصلاة، لبست ثياب الصلاة كالعادة استعداداً للوضوء، فالحرص على الطهارة عند نساء الخب يقترب من مرحلة الهوس، ما يجعلهن يخصصن ثياب للصلاة فقط.

^١ أجرة النقل.

^٢ وهو أذان يرفع قبل دخول وقت صلاة الفجر بساعة تقريباً

تعتمد التأخر في الوضوء من البركة حتى غادر عمه إلى المسجد، دخل الغرفة، أخذ المفتاح من ثوب أمه، فتح صندوقها، سحب من النقود مبلغ مئة ريال،

أخذها، إنها من حقه، فالحلال حلال والده، أليس هو وشقيقته الوريثان الوحيدان لمال والدهما، أين الشبهة إذن بحرمة ما قام به، هواجس تراوده وهو يسحب مبلغ المائة ريال، يريد أن يحلل لنفسه ويقنع ضميره الحي. حمل البقشة في يده اليسرى، لوح بيده اليمنى لوالدته التي، كانت ساجدة باتجاه القبلة وظهرها باتجاهه، ذرفت دمعة من عينيه، كم يود لو قبلها واحتضنها وهي على سجادتها.

خرج من المزرعة بخطى مستعجلة قاصداً محطة السيارات التي تنقل الركاب إلى الرياض في سوق الجرده، مر من أمام أثلة العصفور وساكنها حمار براك فتذكر عبارة كان يرددتها رفيق درب والده وذيان:

"من لا تقاضى وهو حي يقمح" □ إذا مات.

نعم لا بد من الانتقام لكي لا يقمح إذا مات، لن يذهب دون أن يعمل شيئاً يخفف عنه وطأة الحقد الدفين الذي يُكَنُّه لجميع من أساء له، بقصد أو دون قصد، أول ضحايا وساوس الانتقام هو هذه الحمار الذي حرمه من أجمل وأنس مكان.

بحث عن أكثر من حشرة خنفس بين الأحراش حتى وجدها، حل رباط الحمار من الشجرة، ربط إذنه بذات الحبل بعد أن رمى الخنافس بداخلها. بعد أن وصلت الخنافس قاع أذن الحمار، جن جنونه، انطلق كالريح بلا جهة محددة مع قفز هوائي يواكبه أصوات نهيق عالية، انشرح صدره وهو يردد:

- "من لا تقاضى وهو حي يقمح إذا مات".

¹ تضع حقوقه ويحتقر إذا مات.

انتقل إلى مزرعة براك ،عليه أن يسابق الزمن، مهمة الانتقام يجب أن تستكمل قبل الخروج من صلاة الفجر، الزمن المتبقي لإتمام العمليات الانتقامية قصير جداً.

قصد مكان الغنم في مزرعة براك ،استدرج أغلى عنزة يقدرها براك واسمها "أم قذيلة"، توجه بها إلى القليب ،رماها بلا رحمة، أخفى آثارها كي لا يُعرف مكانها بسهولة ويُشقى في البحث عنها، فكلما طالت مدة البحث إزداد تلوث القليب برائحة الجثة وعفنها.

عاد بعدها إلى بركة براك ،أخرج كل ماءها إلى الأحواض، وذلك بسحب الخيشة التي تسد فتحة البركة. سحب نفساً عميقاً وهو يردد:

- "من لا تقاضى وهو حي يقمح إذا مات".

سمع الإمام يكبر للركعة الثانية ، جمع قواه وضاعف قوة الجري ليكمل مسلسل الانتقام، هذه المرة، الدور على الهرم الأكبر الطهوري.

توجه لأكياس السماد الطبيعي المشتراه لتسميد المزرعة، أفرغها جميعاً في البئر ،ثم أتبعها بالغروب[□] التي يجلب بها الماء من القليب، افرغ بركة الماء كما عمل ببركة براك المنفلق، فتح الباب للدجاج والغنم ليسعوا في الأرض ويقتاتوا من خيراتها، عمل كل ذلك وهو يردد:

- "من لا تقاضى وهو حي يقمح إذا مات".

سَلَّمَ الإمام وهو ما زال في داخل المزرعة ركض بجنون مع الجادة الرئيسية، عليه أن يغادر الخب قبل أن يعلموا بما عمل في مزارعهم.

الجادة تمر من أمام بيت عبيد الهطق، لمح حماره ، آه ، كم كان يتمنى لو أن لديه وقت كاف لتجهيز عمل انتقامي يليق بالهطق، ولكن لا بأس "ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه".

¹ جمع غرب وهو الدلو بتسمية أهل نجد.

عاد إلى حمار الهطق ، فك رباطه من رقبتة وأوثقه في مجرى باب الهطق والطرف الثاني من الحبل ربطها جيدا في ذيل الحمار ، هذا الوضع سيعقد عملية دخول الهطق لمنزله فأرجل الحمار عند الباب ، والباب لن يفتح إلا بجر الحبل المربوط بذيل الحمار ، وإذا جُرّ الذيل فسيرفس الحمار من خلفه وسيكون في هذه الحالة الهطق في المكان المناسب لاستقبال الرفسة وهذا هو المطلوب ،

بهذا أنهى ممارسة الأرض المحروقة مع خصومه أهل الشمع بسلام.

-الجولة الخامسة -

أكمل مسيره باتجاه محطة السيارات التي تنقل الركاب إلى الرياض وموقعها شمال السوق، وجد سيارتين متجهتين إلى الرياض، الأولى: فورد مصندق¹ ويعرف "باللكاش"، والثانية: ونيت نوع هاف أحمر ورفارفه باللون الأسود، فُسم صندوقه لقسمين، علوي وسفلي، تفصلهما ألواح خشب رصت بجانب بعضها بعضاً كالسقف.

سيارة البلكاش مريحة، لكنها لم تستكمل عملية إشغال المقاعد بالمسافرين، بعكس سيارة الونيت الجاهزة للانطلاق، فالركاب بلغوا الحد المسموح به، بدورية السفلي والعلوي، والرحلة جاهزة للانطلاق، وهذا ما يتمناه قبل أن ينكشف أمره.

سأل معاون² السائق وكان يقوم بمسح السيارة ويدعى "جويسر"، عن مقدار الكروة³ إلى الرياض، أبلغه أن الدور السفلي بخمسة عشر ريال، الدرجة السياحية، والدور العلوي بعشرين ريال وهو قريب من مواصفات درجة الأفق، والغمارة⁴ بخمسة وعشرين ريال، مصنفة بالدرجة الأولى.

اختار الأفق ليتسنى له التمتع بالمناظر الخلابة في صحراء النفود القاحلة، ولكي يقف على قدميه، فالدور السفلي لا يتجاوز ارتفاع سقفه متراً واحداً.

دفع السلمي المبلغ كتأكيد حجز، ذهب إلى المطاعم الموجودة شرق السوق والتي تقدم المعرق⁵ وكبسة رز مع اللحم في وقت الصباح، طلب

¹ يشابه إلى حد كبير سيارة الفان الحالية.

² مساعد.

³ قيمة السفر بالسيارة.

⁴ داخل مقصورة القيادة.

⁵ مرق باللحم والخضار.

معرق بربع ريال، أكل حتى أصبح الصحن نظيفا من أكله الشره ، أكلُ
أتى بعد نجاحات انتقامية مبهرة.

سمع المعاون ينادي من بعيد على الركاب غير الموجودين على الوנית ويردد:
-الهمام □ ياالربع، الهمام.

أقبل السلمي ، صعد إلى الدور العلوي، لحظات ، اذ بالدريول ويدعى أبو
زاحم ينادي المعاون:

-ها يا جويسر كل شيء تمام.

أجابه جويسر:

-توكل على الله.

أصاب السلمي نوع من الرهبة، رهبة ممتعة، هذه هي السفرة الأولى له خارج
الخب ، ولوحده، وإلى أين ، إلى العاصمة الرياض.

مع تشغيل مكينة السيارة ردد الجميع:

-بسم الله ، وعلى بركة الله.

انطلقت الرحلة رقم واحد للسلمي، بالمواصفات التالية:

ركاب ، ذو وجوه شاحبة ، تنظر لبعضها بازدراء ، وأحيانا بابتسامة صفراء.

مطبات صغيرة ومطبات كبيرة.

هواء بارد.

الدقائق الأولى لأي رحلة للسيارات هي أمتع الأوقات ، إلا على السلمي
فالشعور بالخوف من وعشاء السفر يسيطر عليه، غابت الشمس وحل محلها
غيم حالك السواد ما ينبئ بهطول المطر بإذن الله.

سبحان الله ، بمجرد خروجهم عن المدينة بدأت رشات المطر تكبر ، إلى أن
أصبحت تنهمر بالماء ، مع حبيبات برد صغيرة.

لم يكن السلمي مستعداً لمثل هذه الأجواء الباردة والممطرة ، لا عباءة ، لا
كوت ، لا بالطو ، لا ملابس داخلية شتوية.

¹ استعجلو ايها الركاب فقد داهمنا الوقت .

بدأت أسنانه تصطك من الهواء البارد على الثوب المبتل.
التفت يمينه، ليرى شيخاً طاعناً في السن يكنونه "بأبي المعزى" على فروة من
نوع "طفيلية" [□] لا يشعر لابسها بالبرد بتاتاً، بجانبه عنزة قام بتغطيتها ببطانية
كانت معه، ساعة نزول المطر، خوفاً عليها من البرد.
قال له السلمي:

- يا أبى المعزى أنا ذبحني البرد والعنزة متغطية بالبطانية، عطن البطانية
أغطي به.

رد أبى المعزى وقد وضع يده على ظهر العنزة:
- كان قعدت عند أمك أدفا لك، قالها ثم قبل العنزة.
قال السلمي:

- طيب وش رايك أغطي مع العنزة بالبطانية؟
رد أبى المعزى : معصي [□].

قال السلمي : طيب أبشتري البطانية.
أغمض أبى المعزى عين واحدة والتفت يساره وقال بحدة:
- لو أبيبعك البطانية لحالها ماتت عنزي من البرد، اذا تشتري البطانية
والعنزة، أبيبعك.

قال السلمي: كم تقول؟
رد أبى المعزى: البطانية بعشرة والعنزة بعشرين.
استغرب السلمي هذا المبلغ المرتفع قائلاً:
- بس يا شايب الرحمن، البطانية ما تسوى ريالين، والعنزة ما تعدى
قيمتها عشر ريالات.

ابتسم أبى المعزى وقال:

¹ أحد أنواع العباءات المبطنة بالفراء الممتاز تلبس في الشتاء.
² مستحيل.

-ما سمعت المثل اللي يقول "العطشان يدحم" [□] الحوض"، وأنت يا ولدي بردان ، ادفع دراهم وتدفا.

اقتنع السلمي بحكمة الشايب وقال:

-صدقت يا عم، خذ هذي ثلاثين ريال ، عطنا البطانية ، اللهم إني شريتها مع العنزة.

أخرج المئة ريال كلها ليقتطع منها قيمة الصفقة ، اذ بجميع الركاب ينظرون إلى المال باستغراب وحسرة ولا نقول حسداً.

استلم البطانية والعنزة ، وما تبقى من المال وضعه في جيبه ، بدأت التبريكات تنهال عليه بكثافة وبعبارات مختلفة ، مع الابتعاد عنه وعن العنزة لتوسيع المكان المخصص لجلوسهما بارتياح.

وضع البطانية على ظهره كأنها عباءة ، أحس بالدفع ، وعرف قيمة المال .

هطول المطر يعيق السير بشكل طبيعي ، حان وقت الغروب ، بدأ الظلام يخيم تدريجياً ، الشمس متوارية خلف السحب الكثيفة من بداية النهار ، هذا هو الوقت المبرمج سلفاً للتوقف والاستراحة وشرب القهوة والعشاء والنوم ، نزل الركاب جميعاً ، انتشروا على الرمال المبتلة من أثر المطر المتقطع ، السلمي حار بالعنزة ، أنزلها وقام بربطها بطرف صندوق السيارة ، جلس بجانبها ، لم يكن مستعداً كغيره بمستلزمات السفر ، كل مجموعة التمت على بعضها بعض ثم أخرجت ما لديها ، بعضهم طحين ، وبعضهم قرصان ، وبعضهم وجبة مرقوق أعدتها أم أولاده مسبقاً ، [□]الدربول كان مستعداً بشكل كامل ، ومعاونه جويسر كان نشيطاً ، أوقد النار ، وأنزل أدوات الطبخ ، وأنزل لحمة البعير التي اشتراها من الجزار قبل الانطلاق بقليل والتي علقها على سلة السيارة ، حيث علق فيها بعض الشوائب أثناء المسير .

¹ يزاحم على الحوض.

² سائق السيارة.

أعجب السلمي بجويسر ، شاب مخلص في عمله وشقردي. □
قال في نفسه: لا بد أن يكون عشاء جويسر جيداً ، وسيطبخه بوقت قياسي.

لاحظ الدريول أبو زاحم أن السلمي وحيداً ، اقترب منه وسأله:

-وين عشاك؟

أجاب السلمي:

-ما جبت عشاء.

أمسكه بيده وأجلسه بجانبه ، قرب النار له وهو يقول:

-أنت معي ضيف بأدواتي وطبخي وقهوتي إلى أن نصل.

جهزت قهوة جويسر بنصف ساعة ، سكب فنجال للدريول وفنجال للسلمي.
نار ، وقهوة ، وكبسة لحم بغير تطبخ ، والهاف الأحمر مفتوح غطاء محركه
لكي يبرد رغم الشتاء ، جو غير طبيعي ، أنس ليس له مثيل ، بادر الدريول
السلمي بالسؤال الأول:

-وشي ها العنزة اللي معك ؟

قصّ عليه السلمي قصته مع الشايب أبي المعزى وبطانيته وعنزته ، والصفقة
التي عُبن فيها السلمي ، فالسعر مبالغ فيه.
ضحك الدريول وهو يحك رأسه وقال:

-الحل عندي وأنا أبو هندي ، ثم التفت إلى جويسر وأعطاه غضارة □
كبيرة وطلب منه تعبئتها من صميل الحليب □ الموجود خلف مقعد السائق.
كان حليباً طازجاً ، حُلب اليوم ، أهدها إياه أحد أصحابه قبل أن يسافر.
ملاً جويسر الغضارة الكبيرة بالحليب بعيداً عن أعين بقية الركاب
وأحضرها للدريول.
صاح الدريول :

¹ الشخص النشيط سريع تنفيذ الأوامر

² وعاء لشرب الماء والحليب

³ قربة صغيرة يحفظ بها الحليب

-يا جماعة ، اللي بيبي يشرب من ها الحليب الطيب يجي ياخذ له قرطوع [□] .
أقبلوا جميعا بلهفة ، صار الواحد منهم يأخذ قرطوعه ويذهب ، بما فيهم
الشايب أبى المعزى مالك العنزة السابق.
بدأ الحديث عن طعم الحليب اللذيذ يدور بين الجميع ، وهنا تداخل الدريول
أبو زاحم:
-ما شاء الله ها الحليب الكثير اللذيذ اللي شربتوه ، تراه من عنزة خويننا
ها الولد الطيب ، ثم التفت إلى السلمي وقال:
-تكفى يا ولد ما تبيعيني ها العنزة ؟
أجابه السلمي بالإجابة المتفق عليها مسبقاً معه حسب الخطة:
-غالية عليك يا ابو زاحم.
أجاب الدريول:
-يا ولد حد علي باللي تبي ، هذي حليبها واجد.
قال السلمي: سيم.
قال أبو زاحم: راحت بثلاثين.
قال السلمي: ما لك لوا. [□]
قال أبو زاحم: بأربعين.
قال السلمي: حد بخمسين ريال.
اندهش الشايب أبى المعزى ، غير مصدق ما يجري ، فهو يعرف عنزته مسبقا
فهي لا تعطي كل هذا الحليب ، والآن يريد السلمي أن يبيعها بخمسين ريال
الآن وهو مبلغ كبير ، وقد باعها عليه بثلاثين ريال فقط!! ، إضافة إلى أنه
باع معها البطانية ، أخذه الحسد ، خاف أن تتم الصفقة بين الدريول
والسلمي ، رفع يده وصاح:

¹ رشفة من الحليب.
² عبارة تقال نادبا بدل حرف (لا).

-وقف يا دريول أنا أدعي بالغبن ،هاالعنزة بعثها على هاالولد رخيصة ،وما كنت أدري إن فيها حليب واجد ،واليوم أنا هونت ،وابرد دراهمه^١ ويرد عنزي.

قال السلمي:

-ما عندي مانع بشرط، تبقى البطانية لي.

وافق الشايب على عجل بقوله: تم.

تم الاستلام والتسليم ،العنزة للشايب أبا المعزى ،والثلاثون ريال عادت إلى السلمي ومعها البطانية.

تسامر الجميع بعد العشاء على النار والقهوة، أما الشايب فقضى ليلته بجانب عنزته يتحسس ضرعها ،وهل زادت فيه نسبة الحليب أم لا؟.

ناموا جميعاً حتى الفجر، استيقظ أبى المعزى قبل الجميع وقصد عنزته ليحلبها ،لم يجد حليباً ،بدا حانقاً على السلمي وهو يردد:

-هاالورع شفت الحليب كله ،عساهم ما يحدرونه.

وهذا دعاء على جميع من شرب الحليب ليلة البارح بأن يصاب بتلبك معوي لا تستطيع معدته بعد ذلك هضمه.

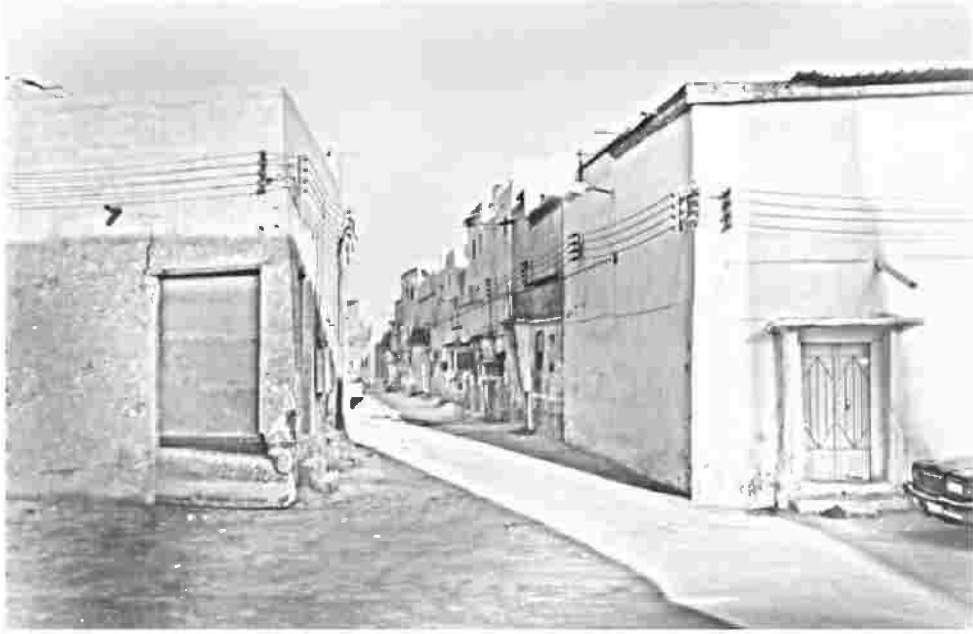
كان أبو زاحم يراقبه من بعيد ،واضعاً غترته البيضاء على فمه، كي لا يظهر صوت قهقهته ،فيعلم أبى المعزى بالملعوب ،فيحدث لهم أشكالا هم في غنى عنه، ربما يطالب بالمال أو البطانية من جديد أو بهما معاً.

تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، موعد الاستيقاظ والصلاة، ثم الإفطار على قرص العجين المدفون في الرماد،

شربوا القهوة، واصلوا مسيرهم عبر الرمال إلى أن عانقوا طريق الحجاز المعبد باتجاه الرياض إلى أن وصلوا.

^١ سوف أرد له ماله.

- حلة الفحم -



وصل ركب الهاف الأحمر الرياض عصراً، أنزل أبو زاحم جميع ركابه في محطة السيارات بالغرابي، شمال شرق البطحاء، كان مكاناً يعج بالصخب، سيارات، وبياعين، وقهاوي، وعربات حمير، صخب لم يعهده السلمي من قبل فالخب هادئ لدرجة الوحشة، رأى السلمي أصحاب عربات تجرها حمير ينادون:

-الشميسي، الشميسي بربع ريال.

أمامهم أصحاب سيارات ينادون:

-الشميسي، الشميسي بنصف ريال.

قصد السيارات بلا تردد فقد ملّ الحمير وركوبها لسنوات. أخبر الرجل الذي كان ينادي وكان له شنب كثيف جداً، جداً، يسمح عليه بين فينة وأخرى، يذكر الناظرين بعنوان الرجولة الذي يفتقده جميع من لا يملك شنباً بهذا الطول، أخبره بأنه يريد الذهاب لزوج أخته صاحب محل بيع القهوة و الشاي بشارع التمر بالشميسي، فايز النباش، طمأنه السائق بقوله:

-معروف شارع التمر معروف، الشارع الصغير اللي يربط دوار أم سليم بشارع الشميسي، اركب اخلص علينا.

ركب السيارة بعد تأكيد السائق له وتطمينه بمعرفة شارع التمر، كان نوع السيارة فولفو لونها حليبي.

اكتمل عدد الركاب الخمسة، تحرك السائق بخط سير يمر أولاً بشارع الوزير ثم شارع الديرة باتجاه الغرب، متقاطعاً مع شوارع الظهيرة والسويلم والعطايف، ثم دخل شارع الشميسي القديم متجهين إلى الغرب، أثناء السير مد السائق يده تحت مقعده وأخرج كرتون الاسطوانات، سحب إحداها بشكل عشوائي ووضعها في بكم^١ لأول مرة يراه السلمي، معلقاً في منتصف الطبلون السفلي

إذا بفنان الصحراء الأول يصدح بأغنية "يا فاطري"، تفاعل الركاب الأربعة مع اللحن والكلمات رغم أن أعمارهم بين الأربعين والخمسين، أحس السلمي بارتياح لهذا الجو الطربي.

طلب أحد الركاب رفع الصوت بعد أن انتشى طرباً من الأغنية.

رفع السائق الصوت بلا تردد، بلا شعور، صاح السلمي:

-اقصره^٢، اقصره، تبهم يجلدونكم؟

التفت الجميع إلى السلمي باستغراب وقام أكبرهم بوضع يده على قلب السلمي وقال:

- بسم الله عليك الرحمن الرحيم.

أحس السلمي بحرج شديد، لم يخلصه منه إلا صوت السائق وهو يوقف

السيارة في تلاقي شارع الشميسي مع شارع التمر ويقول له:

-هذا شارع التمر عطنا القروش وحول^٣.

^١ آلة تسجيل قديمة.

^٢ أي اخفض صوت المسجل.

^٣ انزل من السيارة.

أقفل باب السيارة بعد نزوله ،توجّه لأول دكان بشارع التمر وسأل صاحبه عن دكان فايز النباش، أشار له بيده باتجاه دكان النباش، قصده السلمي بخطى سريعة، دخل الدكان ،مشى بين أكياس الرز ،وجد فايز متكئاً على إحداها.

دقق النظر بالسلمي وصاح:

-السلمي بلحمه وشحمه بالرياض؟

وبقفزة بهلوانية احتضنه ،تعانقا عناقاً حاراً، كان الوقت قريباً من أذان المغرب، قرر فايز إغلاق الدكان دون انتظار المؤذن فرحاً بالسلمي واستعجالاً بزف البشرى لأخت السلمي "هيلة" بقدوم شقيقها الوحيد السلمي، الذي سيؤنس وحشتها المزمنة بلا شك، فزوجها رجل لا يُنجب. اتجه الاثنان مشياً على الأقدام إلى البيت، بيت يقع في حلة الفحم، موقعها قريب جداً من شارع التمر، على امتداد تقاطع شارع التمر مع الشميسي، باتجاه شارع السبالة.

حلة الفحم هي إحدى مكونات حارة الشميسي، سميت بحلة الفحم لوجود حفرة كبيرة تتوسطها يباع فيها الفحم والحطب. دخلا البيت وكانت هيلة تطبخ العشاء، لم يستطع فايز الانتظار وبمجرد إغلاق باب الشارع نادى بأعلى صوته:

-هيلة أبشري بأخوك السلمي.

خرجت من المطبخ ويدها ملطختان بقطع من عجين المرقوق ، الذي كانت تعدّه، انطلقت باتجاه السلمي في المجبب[□] وعيناها تدمعان وتردد:

-هلا ،هلا بريح أمي وأبوي، هلا ،هلا بخلف أبوي.

ضمته لصدرها للحظات ثم أخذته للجلوس بالمصباح[□]،

¹ مدخل البيت.

² وسط المنزل.

سألته عن أمها وعمها دنقور وعياله ، وجيرانهم من أصحاب المزارع ، المنفلق ، والطهوري ، وأهل الخب كلهم.

كان يختصر الإجابة قدر المستطاع ، فمن أهل الخب من لا يحبه ولا يرغب في الحديث عنه ، ومنهم من لا يعلم عنه شيئاً.

يبدو أن صلاة المغرب قد أقيمت ، فرحة اللقاء سرقت منهم الوقت ، ذهباً على عجل ، علهما أن يكسبا أجر صلاة الجماعة ، الحمد لله لقد تمكنا من اللحاق بالتشهد الأخير وهذا يكفي للدخول بصلاة الجماعة على رأي بعض أهل العلم.

عادا بأنس غير عادي وتوجها إلى وسط المنزل بعد إغلاق الباب الخارجي ، وجدا النار قد اتقدت بالمنقل¹ ، وبجانبتها الشاي والقهوة والحليب.

احتج فايز على مكان الجلوس ، فالأولى كان الجلوس في إحدى الغرف الدافئة فالبرد شديد ، رُفض الاحتجاج من هيلة بحجة أن الغرفة ستكون مكتومة والمصباح أفضل للجلوس بانسراح.

أحس السلمي بالزهو ، المرة الأولى التي يُحتفى به بهذا الشكل بعد الاحتفاء المبسط الكاذب الذي وجده بعد وفاة والده المهيوب حمد النباش.

شعر بالأمان مع هذه الأسرة الصغيرة التي حرمت من النسل بإرادة الله عز وجل ، بدا واضحاً من تعاملهما معه وكأنه ابنهما ، حب ، حنان ، حرص.

أتى العشاء برائحته الطيبة ، مرقوق على قرع ، أكلوا منه بشهية مفتوحة ، حتى كاد الصحن أن يفرغ تماماً ، جاء دور الشاي ، طلب فايز أن يكون شرب الشاي في الروشن² ، لسماع أخبار لندن.

دخلا الروشن وفايز يحمل بيالة الشاي ، والسلمي يتبعه ، وهيلة تحمل المنقل ، قصد فايز صندوق مغطى بخرقة ، نزعها عنه ، إذ به راديو نوع فيليبس ، أدار المفتاح ، صدح صوت الفنان عبدالله فضالة ، المرة الأولى التي يشاهد فيها

¹ وعاء كبير على شكل مستطيل من حديد أو زنك صمم ليوقد عليه النار وينقل من مكان إلى آخر.
² عبارة عن غرفة في الدور العلوي للمنزل تطل على الشارع.

السلمي الراديو، والده يهوى سماع الراديو لكنه لا يستطيع أن يقتنيه بالخب ، لطالما تكلم عنه ، وتمنى أن يكون في بيتهم ، ولكن المنع الشديد من قبل أهل الخب حال دون ذلك.

صار يرقب فايز وهو يحرك المؤشر بين محطات محددة، لندن، صوت العرب من القاهرة ،بغداد العروبة، هنا الكويت، يذهب إلى هذه ،ثم يعود لها ،وهكذا.

أرعى أذنه إلى ما يقال عبر المذياع ،كلاماً مرتباً ،نظريات لا يعرفها. عند انتهاء نشرة الأخبار من لندن، استأذنه زوج أخته للنوم بعد أن أغلق مفتاح الراديو قائلاً:

-أنت جاي من سفر نم ياالسلمي ،هذا الفراش مجهزته أختك، أزين من فراشي ،قالها وهو يقهقه ثم ختم بعبارة لا تنام والفحم عندك ،وتمس على خير.

وضع رأسه على المخدة، منبهراً مما سمعه عبر المذياع ،ما أطار النوم من عينه، يريد أن يسمع أي شيء فكل ما يبثه هذا الراديو جديد عليه. أدار مفتاح الراديو كما فعل زوج أخته، أخذ يحرك المفتاح بشكل عشوائي بعد أن خفض الصوت لإيهام من بالمنزل انه نائم، انتقل بين جميع محطات الراديو ،بما في ذلك المحطات غير العربية، أغاني، فكاهة وضحك، أخبار، لغات غير عربية.

استمتع بنهم حتى بدأ النعاس يدب في عينيه، أقفل المفتاح ونام بعد أن وثق صداقة متينة مع المعرفة المسموعة ،فنأ ،وثقافة ،وسياسة.

أتى الصباح الأول له خارج الخب، بدا منتشياً وهو يمشي مع فايز النباش، قادمين من صلاة الفجر، رغم ساعات النوم القليلة التي نامها ليلة البارحة ،والتي منحها بطيب خاطر للاستماع إلى الراديو.

عادا إلى البيت، أخذ زوج أخته فوطه صغيرة وغضارة أم كوير □
، ذهباً إلى المخبز القريب من البيت ، كان يملكه رجل يدعى "أمان
الفران"، خباز و يبيع الفول أيضاً، من أصول شرق آسيوية.
وصلوا المخبز ،وجدوا أمامهم ثلاثة زبائن سبقوهم لشراء الخبز،
والبرتوكول هنا يقول السرا العرضي وليس الطولي ينظم الأولوية في
الحصول على الخبز، طلب فايز النباش أربع خبز بنصف ريال، وملأ
الغضارة بأربعة قروش فول ،وعليه سمن، ثم عادا إلى البيت، كان فايز
يهدف من اصطحاب السلمي في هذا المشوار ،تعليمه عملية إحضار الإفطار
الصباحي، هذه العملية التي لا تتغير ولا تتبدل أبداً، فهو من سيوكل إليه
عمل ذلك لاحقاً.

التمت الأسرة ثلاثية العناصر حول غضارة الفول، زوج وزوجته ونسيب كأنه
ابن ،تناولوا طعام الإفطار، لأول مرة يأكل السلمي الفول مع الخبز، أكله
على طريقة أكل أخته وزوجها، هي طريقة سهلة جداً ،تُقطع الخبزة ثم
تغمس بالفول، أحيانا وفي غفلة من الآكلين يتم أخذ كمية كبيرة من
الفول بلقمة واحدة ،أعجبه الطعم.

أشرقت الشمس و بدأت الحياة تدب في حلة الفحم، ذهب زوج أخته إلى
الدكان، جلس على عتبة باب المنزل الخارجي ينظر إلى الحارة بعين
التعجب، البيوت هنا متلاصقة وكبيرة، ليست كبيوت الخب متفرقة
وصغيرة، الهدوء يخيم على الشارع، باستثناء بعض الماعز التي بدأت التجوال
اليومي المعتاد لتأكل من سقط الأشياء⁰ بقايا طعام ،خشب ،ورق.

بعد ظهور الشمس بدأ الأطفال يخرجون من بيوتهم تباعاً ، شيئاً فشيئاً ،خرج
جميع الأطفال إلى الشارع ومعهم ألعابهم، هذا معه دنانة □ ، وهذا معه عسيب
نخل يضعه بين أقدامه ،يوهم نفسه أن ما بين رجليه حصان، وهذا يجر

¹ اناء له قاعده مستديره.

² وهي عبارة عن جنط عجلة الدراجة الهوائية منزوع منها الأسياخ، يدفعها اللاعب بسيخ حديدي بطول نصف متر.

بالحبل سيارة صنعها بنفسه من صندوق خشبي ، وهذا يبني بيتا من الطين ،
وبنات هناك يمرحن ويرددن أغاني جميلة ، وجمع هناك يلعب حبشة ،
وهناك من يردد عبارة حدار جا بدار جا .
كرنفال رائع ، كان يتوق إلى الاشتراك مع أحدهم ، أو قل جميعهم ، ولكن
سنّه الكبير يمنعه من اللعب مع هؤلاء الصغار ، نظر إليهم بحسرة
، بالطفولته الضائعة في الخب ، فالأطفال هناك يولدون رجالاً ، توكل إليهم
الأعمال الشاقة في سن مبكرة ، يحرمون من التسلية والمتعة .
وهو مع خواطره سمع أخته تتاديه من الداخل ، لبي النداء ، طلبت منه الذهاب
إلى شارع الشميسي لجلب مقاضي الغداء حسب توجيهات فايز لها :
كيلو لحمه بغير من الجزار "أبو مغير" .
كيلو طماطم من دكان "أبو رشيد" .
استجاب بكل رحابة صدر فهو يتمنى أن يقدم خدمة لشقيقته وزوجها الشهم
الكريم فايز النباش ، خاصة أنهما بلا ولد يملأ عليهما الدار ويقوم
بخدمتهما داخل المنزل وخارجه .
أحضر المقاضي في الضحى ، عاد زوج أخته من الدكان ظهراً ، تناولوا طعام
الغداء ، ذهب فايز للقيولة ، صعد هو إلى الروشن ليستمع لصديقه الجديد
الراديو ، عل سماع الراديو أن يبدد ثقل دم وقت القيلولة .
وقت القيلولة 00 أقل الأوقات متعة في الخبوب ، وهذا ينطبق أيضا على
الحارات في الرياض ، وقتها رتيب ، موحش ، تحديداً إن كنت خارج المنزل
، قيلولة الصيف أشد وحشة من قيلولة الشتاء ، لا تختلف كثيراً عن وحشة
آخر الليل بعكس وقت العصر ، فالعصر وقت محبوب ، فيه اللعب ، وفيه
التلاقي ، فيه الأرباح الكبيرة لصاحب المحل ، فيه الموايق [□] مع الدرايش [□]
والأبواب والأسطح ، فيه الأرباح الكبيرة للبائعين في القيصريات .

¹ أي النظر .
² النوافذ .

-الجولة السادسة -

بداية اليوم الأول للسلمي في حلة الفحم مميزة ، جميلة ، ممتعة ، لم يتبق إلا القليل ويحل وقت العصر ، انتظره على أحر من الجمر ، كم هو تواق ليرى كرنفال العصر ، وهل هو مختلف عن كرنفال الصباح.

صلى العصر ، عاد وجلس ، دبت الحياة من جديد ، لاحظ أن الزيارات بين سكان الحارة قد ازدادت وخاصة بين النساء ، أيضا هناك أناس ليسوا من سكان الحارة ، يأتون من أول الشارع يعبرون باتجاه الشرق قاصدين المقبيرة دون التوقف عند أحد البيوت أو التكلم مع أحد من الحارة ، أناس يمشون على أرجلهم وأناس على عربات ، وهناك رجال على درجات هوائية.

أما السيارات فقليلة جداً ، لا تكاد تذكر ، تعبر بين شارع الشميسي وشارع السبالة من الشمال باتجاه الجنوب والعكس صحيح ، كرنفال الصباح تكرر وزاد عليها بعض الأمور:

أولها: شباب يلعبون لعبة "الكعابه" وهي لعبة تعتمد بالأساس على عظمة ركبة الخروف ، ، تبدأ اللعبة باشتراك المتنافسين بعدد متساوي من العظام توضع وسط دائرة مرسومة على الأرض الترابية ، يبدأ اللاعب برمي العظام المصفوفة داخل الدائرة بعظمة كبيرة يحتفظ بها عادة لكبرها بعد أن يحشوها بالرصاص كي تكون ثقيلة ومؤثرة ، تسمى "الصولة" ، عند رمي الصولة على العظام تتناثر ، وهذا هو المكسب الرئيس للاعب ، جميع العظام التي خرجت خارج الدائرة تكون ملكا للضارب.

ثانيها: لعبة "العكوس" ، وترجمتها "الصور" وهي أسهل لعبة على وجه الأرض ، لاعبان كل منهما يرشح صورة من الصور التي يحتفظ بها لأحد الفنانين ، غالباً مقاس هذه الصور 6×4 يقوم أحد اللاعبين برمي الصورتين بالهواء وبعد سقوط الصور على الأرض ، من كان وجه صورته إلى الأرض

خسر، ومن كان وجهها عكس ذلك فصاحبها الكاسب، عندها يحق له أخذ الصورتين التي لعب بهما، وفي حالة تساوي الصورتين في الوضعية بعد رميها فتعاد اللعبة وهكذا، الغريب أن السلمي لم يتعرّف على أي من الفنانين المنتشرة صورهم بين الصبيان.

بينما السلمي كان واقفاً في زاوية الحارة المعروفة باسم العاير[□] يتفرج على هذه الألعاب إذ بأربعة شباب يقاربونه في السن يقتربون منه ويلقون عليه التحية، رد التحية بسرعة، قال أكبرهم سناً وكان لونه أسمر قاتم وأحد أسنانه من الذهب ويلبس طاقية الزري في مؤخرة الرأس وقد تعلق بشعر مقرفط يمتد من الجبهة إلى متوسط الرأس، وهو ما يعرف بقصة "التواليت"، قال بعد التحية:

-ضيف، وإلا مطوّل بحارتنا يا الأخ؟

أجابه السلمي:

-لا والله مطوّل، أنا سليمان النباش، وعيartي[□] السلمي، وهذا بيت أختي، وأنا جاي من خب النباش وا، وا 0 هنا قاطعه الأسمراني كأنه يريد من السلمي أن لا يسترسل بالحديث عن نفسه:

-بأي سنة تدرس؟

أحس السلمي بحرج ولكنه قال:

-أنا ما أدرس، بس تراني أعرف أقرا وأكتب، وحافظ أكثر سور

القرآن، ولله الحمد وبعض الأحاديث.

الأسمراني لم يكثرث لما قاله السلمي، أو يبدو أنه لم يفهم أهمية ما قيل، وعاتب قائلاً:

-حرام عليك يا أخي هذا كبرك وما تدرس !!.

¹ كل ركن من اركان الحارة .
² اللقب الذي يعيرونه به.

تعليق أثار حفيظة السلمي ذكره بشيء قد غاب عنه ، وهو عدم التحاقه بالتعليم.

أجابه السلمي:

-أبدرس إن شاء الله.

استرسل الأسمراني:

-أعرّفك على العيال، هذا "رقلة" ولد أبورقلة.

تداخل السلمي بسرعة:

-ورى ما تثبتونه بمسمار؟

ضحك الجميع ، ما أراح السلمي كثيراً.

واستمر التعريف:

-وهذا "مغير".

قال السلمي:

-من اللي مغير عليه؟

زادت القهقهة ، ما زاد السلمي انشراحاً.

وما زال التعريف مستمراً:

-وهذا "طقطق" ولد أبو طقطق.

قال السلمي:

-طقة وحدة! ما تكفي؟

ارتفعت أصوات القهقهة مما اضطر بعضهم للجلوس من كثر الضحك.

أنهى الأسمراني التعريف بقوله:

-وأنا محسوبك "كحلة" ولد أبو كحلة.

قال السلمي:

-يا حظك يا كحلة ، كحلك ، منك وفيك.

انتظر القهقهة كالعادة ، لكنه تفاجأ بيد كحلة تضربه على صدره

، ممسكة بجيب ثوبه ، وعينا كحلة تقدح بالشرار وهو يقول:

-أنت مهبول وإلا تستهبل ،وش اللي كحلتي مني وفيني؟
خاف السلمي وبسرعة أعلن الرجوع عن ما هو عليه وقال:
-أمزح، والله أمزح يا كحلة.

رفع كحلة يده عنه وهو ينفضها قائلاً:

-أنا غير الكمخ[□] اللي قدامك.

وكان يقصد مغير وطقطق و رقلة.

بقية الشلة تقبلوا العبارة المهينة بابتسامة عريضة.

شعر السلمي بأن كحلة يختلف عن الجميع، عنيف وغير متفاهم في التعامل مع الأنداد، وله بنية ضخمة تساعد على فرض أسلوبه، تدخل طقطق لفض التوتر قائلاً:

-يا كحلة خلاص السلمي يمزح.

رد كحلة:

-يمزح في عينك يا حيوان ،قالها كحلة لطقطق الذي بلعها خوفاً من أن يتبعها كحلة بضربة بخلفية يده.

تدخل رقلة لتهدئة الجو:

-وش رايك يا السلمي بس تصوير صديقنا وتلعب معنا كورة؟

قال السلمي:

-ما اعرف العب.

قال كحلة:

-تمسك حارس.

رحب السلمي وأبدى الاستعداد، بدأ الخمسة يجرون أطراف الحديث والمعلومات الشخصية ويتسابقون إليها ،من أي قرية؟ أين يعمل الأب؟ ما هو مشروبك المفضل البيبسي أو الميرندا؟.

¹ جمع كمخه وهو الشخص الساذج البطيء التفكير والتصرف.

عرف السلمي، أن أبو كحلة يعمل حَمَّار على عربة يجرها حمار ملطخ بالحناء، أما أبو رقلة فله مقهى جنوب مستشفى الشميسي، أما أبو طقطق فيعمل مصلّح ساعات بالصفاء، وهو متخصص بتصليح ساعات "أم صليب"، ينزع غطاها ثم يسكب عليها قاز، ثم يقوم بتنظيفها بواسطة منفاخ مصنوع من كرة هوائية، كانت تستخدم في الدراجة الهوائية كمنبه (بوري) متصلة بأنبوب معدني بطول عشرة سنتيمتر، يضغط بأصابعه على الكرة باتجاه ماكينة الساعة فيخرج الهواء من الأنبوب، فيزيل ما تسبب بتوقفها، ثم يطبق بعينه اليسرى دائماً على مكبر يساعده في تفحص ماكينة الساعة، أما أبو مغير فيعمل جزار.

حرص السلمي على سؤالهم جميعاً عن لبس آبائهم، هل هي الفترة البيضاء أم الشماع الأحمر، فكانت الإجابة شافية بالنسبة له، أن آبائهم جميعاً يلبسون الفترة البيضاء.

لاحظ السلمي أن مغير يملك الكثير من المعلومات عن الحارة، أهلها، مشاكلها، ليس لديه تحكم على عدم إفشائها، فالسؤال كافي لمعرفة أي معلومة منه، وهو حريص على المبادرة بالسؤال والإجابة في آن واحد.

وهم على هذا الحال مر بهم رجل قصير القامة كبير الكرش صغير العينين، يلبس شماغاً جديداً لم يغسل بعد، صاح فيهم:

-وش موقفكم يا السرابيت[□] قدام بيوت الناس، يا الله تقلعوا.

قالها وهو لم يلتفت حتى، واستمر في طريقه يهز كرشه وشماغه الجديد اليابس.

نظر السلمي إلى الجميع علّه يسمع أي تعليق أو رد، لكن لا تعليق، شعر أن الجماعة اعتادوا على مثل هذا، فقال:

-وشو ذا، وش يبي؟

لم يصدق مغير أن يأتيه استفسار فأجاب بسرعة:

¹ اصحاب السلوك الخاطيء، كشرب الدخان والتحرش بالآخرين بنين وبنات .

-هذا ينادونه "متيح" ما ندري هي معيارة والا اسمه الصحيح، يربي حمام في سطح بيتهم، يبيعه على الجذعان¹ اليوم ويرجع له من باكر، طبعة شين، يدور المشاكل، إذا رأى أي مشكلة حشر نفسه فيها، أي امرأة غريبة عن الحارة يسأل عنها، من ذهب ومن أتى إلى الحارة يعرف عنه، من اشترى من باع تجد عنده الخبر اليقين، وهو أحد أعمدة أعضاء مجلس المشراق، أصدقاؤه بالمشراق اثنان، وكلاهما مثله يلبسان الشماع الأحمر، الأول: يسمونه "نشبة"، ونشبة هذا اسم على مسمى، لديه عنز سورية أغلى من أولاده يأتي لها بأفضل التيوس ليضمن النسل المميز الذي يبيعه بأعلى الأثمان، عندما يمر أحد من أمام المشراق يدعوه للجلوس، وبإلحاح، إن عرف أن هناك زائر غريب لأحد سكان الحارة، ذهب إليه ودعاه لشرب القهوة معه فقط، أما الغداء أو العشاء فهذا مستحيل، إن مررت من أمامه تحمل خبزا حارا، قطع منها قطعة أو ربما أخذها كاملة، ليأكلها خلال النهار كله، إن رأى معك تمر، لا بد من أن يتذوقه، ويعطيك رأييه فيه وتصنيفه هل هو من نوع "خلاص" أو "برحي" أو "سكري" حتى ولو لم تطلب رأييه.

أما صديق متيح الثاني والقطب الثالث في المشراق، فهو "للع"، سميّ للع لوصوته الجهوري المؤذي لطبلة الأذن، إذا تخاطبت معه بموضوع مهم وحساس وفيه مال، فالأفضل لك أن تضع أصابعك في آذانك ولعلك تسلم، متخصص بتفسير الأحلام، يثق في علمه الأحلامي غالبية سكان الحارة نساء ورجالا وحتى الأطفال.

بداية جيدة لمعلومات قيّمة اكتسبها السلمي من المصدر الكنز مغيبر، بقيّ أن يعرف مكان المشراق، فاقترح عليهم أن يذهبوا إلى الدكان كونه يرغب في إكرامهم فدعاهم إلى شرب الببسي أو الميرندا حسب الرغبة على

¹ الشباب الصغار.

حسابه بشرط أن يسلكوا طريقاً يمر أمام المشرق، رغب في أن يرى عن قرب أعضاء مجلس المشرق النجوم، نشبة ومتيح ولعلع. المشرق مكان لجلوس كبار السن، والعاطلين عن العمل، عادة يكون موقعه تحت جدار أحد البيوت المهملة، أو بيت يملكه أحد أعضاء المشرق، أو يكون بيت لملك لا يستطيع طردهم من تحت جدار بيته الذي أصبح مشرقاً دون أخذ موافقته، إما بيت أرمله أو بيت سبيل. يُفضل أن يكون موقع المشرق في إحدى زوايا الحارة أي يشرف على ثلاث جهات للحارة لكي يكون مكاناً استراتيجياً للمتابعة، اجتماعياً، وأمنياً، واقتصادياً، من الشروط الأساسية لتحديد مكان المشرق في فصل الشتاء أن يكون مقابلاً للشمس، وعكس ذلك في الصيف، فالظل مطلب أساس لمرتادي المشرق. مع الاحتفاظ بالمسمى الأساس (مشرق).

قَبْلَ مغِير وكحلة وطقطق دعوة السلمي بفرح عارم، أما رقلة فقبلها على مضض وكأنه لم يرتح للسلمي، اتجهوا إلى الدكان مروراً بزاوية المشرق الذي لم يشهد هذا اليوم تغيب أحد من أعضائه فالنصاب كامل. سلّم الفتيان الخمسة على أعضاء المشرق الثلاثة، رد متيح وهو يضع راحة يده كمظلة على عينيه الصغيرتين:

-هلا، وش جاب ها الطير الابيض معكم يا ها الغربان؟

رد رقلة:

-هذا ولد النباش جاي من الخب.

علق نشبة:

-هلا والله بأهل الخب، أهل الشمع الراهية.

تدخل لعلع باستغراب:

-هذا فايز النباش ،ساكن عندنا بالحارة ،ومن أهل الخب ،ويلبس غترة ،الصباح وتال النهار، من الله خلقه، والظاهر إن ذا الوليد بيطلع عليه ،لباس غترة.

رد متيح:

-أكيد الحب على بذره.

أعاد التدخل نشبة موجهاً كلامه للسلمي:

-ليش فايز النباش ما حط لك ذبيحة يوم جيت ،وعزمننا عليها ،انت جاي من الخب ،مكان بعيد ،ولا عمرك طبيت بيته ،0 شف وأنا عمك ،قله يقولك عمي نشبة ،اعزمني على ذبيحة وإلا هو يبي يعزمني على قهوة؟ قهقهه العضوان الآخران متيح ولعلع، تضايق السلمي من المغازي الكامنة في تعليقات أعضاء مجلس المشراق الثلاثة، واصل الخطى بلا أي تعليق، باتجاه، دكان "يحي"، وهو دكان الحارة الرئيس يقع ملاصقا للمخبز، ولأن السلمي هو المضيف لشراب الببسي تبعه المدعوون بلا تردد ،يمشون خلفه،

وهم يمشون ،مروا أمام بيت مقابل للشمس، واجهته تطل على الجهة الغربية، يجلس على عتبه شاب جثل ،لا تنكسر عينه من أشعة الشمس ،يأكل طماطة طازجة ويرش عليها بين كل قضة وقضة ملحاً خشناً ،وضعه في شجه¹، كل تقاسيم وجهه كبيرة وبشكل ملفت، برابطه ،فمه، كل واحدة من تقاسيم وجهه تقول للأخرى أنا أكبر منك، يضع شماغه الأحمر على كتفه، رآه السلمي سابقاً في المسجد وتحديداً فجر هذا اليوم، وكان مختلفاً، شكله أفضل وشماغه على رأسه مثل بقية المصلين وليس موضوعاً على كتفه كما هو الآن، هل اختلاف النظر والانطباع عن هذا الكائن بسبب الظلام والشمس؟ الله أعلم.

¹ حجره.

رفع الأربعة أيديهم كتحية لأبو طماسة دون أن يصدر منهم أي صوت، رد التحية عليهم أيضا بلا كلام، لاحظ مغير استغراب السلمي فبادر إلى الشرح قائلاً:

-هذا "سنية" ولد أبو سنية يا السلمي، 10 اصم وأبكم فيه عرجة، لا تحارشه، الله يفكك منه.

لم يعلق أحد على وصف مغير لسنية بهذه الجراءة، بينما هم سائرون، فُتح باب من درفتين، مصنوع من الحديد، مزخرف بالورود الحديدية المدهونة بالصبغ الأحمر، باب يعتبر أجمل أبواب الحارة، البيت مرتفع البنيان، مجصص بالكامل بالجص الأبيض، أطلت من بابه امرأة في الأربعينيات من عمرها، تخرج رأسها من إحدى درفات الباب بلا غطاء وجه وبلا حرج، تنادي:

-كحلة، كحلة وجدري تعال أبيعك.

راح كحلة يركض، رغم أنها دعت عليه بمرض الجدري، التفت السلمي إلى مصدر المعلومات وكنزها مغير ابن الجزار مستفسراً عن هذه العجوز الجميلة جداً جداً:

-وش سالفتها؟

بلا أي حرج سارع مغير بذكر جميع المعلومات بعدما غادر كحلة بطبيعة الحال:

-هذه اسمها غرسة، من أصول نورية، كانت متزوجة زواج سري من أحد تجار الجفرة، وعندما علموا جماعته بزواجه منها بادر بتطليقها واشترى لها هذا البيت، وهي تعمل حالياً بتطريز طواقي الزري إضافة إلى ممارسة الطب الشعبي، تكوي بالنار، تداوي المصع عند الأطفال، تعالج النفس والسحر عند الكبار، متزوجة من عم كحلة، عمره في العشرينات، 0 ولونه أسود كلون كحلة، تصرف عليه من مالها، لها بنت اسمها شيخة

، جميلة جدا ، أبوها من أصول أهل أمها ، بياضها بياض ثلج ، وجمالها أجمل من ليلي مراد.

هنا علق السلمي وقد صاروا قرييين من موقع الدكان
قائلا:

-قصداً أزين من ليلي العامرية؟

أخيراً وجد رقلة ما يتحدث به فرد بسرعة وكأنه ينتظر المشاركة في الحديث ليوضح ما يراه لبساً على السلمي:

-ليلى مراد اللي يشبه عليها مغير غير ليلي العامرية ، ليلي مراد حبيبة أنور وجدي ، وليلى العامرية حبيبة قيس ، هذي مزيونة ومتمدنة ، ومن قصر ملابسها تشوف سيقانها ، وهذيك الله اعلم عن زينها وخلاقينها اللي تحوم الكبد ، محترقة من الشمس و تلقى القمل لاعب فيها من قل النظافة.

ليلى بنت مراد تسبح بمسبح بقصر على ضفاف النيل والعامرية لا تجد ماء تتنظف منه ، تنتظر الغدير عند نزول المطر ، والا تبحث عن قليب تغرف منه ماء بالدلو ، تكبه على نفسها بملابسها

وش جاب ليلي مراد لليلي العامرية؟

تفاجأ السلمي من مقارنات رقلة ، وانبهر من معلوماته الغزيرة والتي بقدر ما أخرجته ، إلا أنها أسعدته ، كم هو ممتن لهذه الصحبة ، أخيراً وجد من يجادله بما لا يعلم ومنه سيستفيد ، رد بصوت ضعيف:

-أنا ما اعرف ليلي مراد ولكني سمعت أجمل الأبيات الشعرية في مدح ليلي العامرية ، وإذا بحثت عن العفة والحب الوفي ، ستجده عند ليلي العامرية.

ابتسم رقلة ابتسامة الإحساس المبكر بالانتصار وقال:

-أي عفة الله يهديك عند ليلي العامرية وقيس معترف بنفسه يوم حلفه زوجها وسأله:

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلي رفيف الاقحوانة في نداها
كأن قرنفلًا وسحيق مسك و صوب الغانيات شملن فاها
تدري وش قال قيس عن العفيفة اللي تقول؟، قال بكل وقاحة: أما إذ
حلفتني ، فنعم.
فقبض زوجها بكلتا يدي قيس على النار ولم يتركها حتى سقط مغشياً
عليه.

انبهر الجميع من الإثارة برواية رقلة فرأى أن يواصل:
عكس ليلي مراد المخلصة، اللي بغت تذبح نفسها يوم فرقوا بينها وبين
حبيبها أنور وجدي، رأيت فيلم قيس و ليلي بالسينما بقهوة أبوي أكثر من
عشر مرات ، وشفت أكثر أفلام ليلي مراد ، الفرق بينهم كبير، ليلي مراد ،
غير ليلي العامرية ، شرف ليلي العامرية مشوش.
معان ومفردات جديدة لم يسمع بها السلمي من قبل ، حز في نفسه أن مغير
ابن الجزار يعرف هذه الأشياء وهو لا يعرفها ، لام نفسه على أن رقلة يطلع
على أمور يجهلها.
قرر أن ينفرد مع مغير غداً أو بعد غد ليستفسر عن كل هذه الأمور
بالتفصيل الممل.
لحظات تفكير يقطعها صوت طقطق عند الدكان وهو يتذمر من النقاش
ويقول:

-صجيتونا وش تبي يا رقلة ببسي والا ميرندا ؟

أجابه رقلة بغضب:

-يا أخي أنت المباشر وإلا المباشر عليه يوم أنك أنت ومغير سابقين السلمي
للدكان ، اركدوا ، الله يفشلكم ، فشلتونا عند راع الخبوب.
قال السلمي:

-لا عادي يا رقلة ، كلنا أصدقا ، بغرور قالها السلمي مرتين.

استلم السلمي زجاجة الببسي خاصته ودفع الحساب وبدأ يشرب وعينه على بيت شيخة بنت غرسة، وما المانع من ذلك والجدل عنها، والخلاف فيها، ومدح مغير، ومنزلهم الجميل، وقبل هذا وذاك رأى بأم عينيه والدتها الجميلة، وقد بلغت الأربعين من عمرها، فكيف إذن سيكون جمال ابنتها !!

ما هذا؟ السلمي مندفع، أين التحفظ من هذه الاحاسيس الشيطانية؟ هل الرياض وحريرتها طوت صفحة الإنغلاق الخبيث؟ وأعطت نتائج مضادة، يبدو ان القادم اسوء وتحديداً ما يتعلق بسلوكه ومفاهيمه التي تشربت الصلف بنهم سابقاً، هاهي تتنفس الحرية، 100 الله يستر.

أتموا الشرب على حساب السلمي باستثناء كحلة الذي لم يعد إليهم بعد خروجه من بيت أم شيخة مسرعاً باتجاه شارع السبالة، يبدو أنه كُلف بمهمة عاجلة.

قبل أن يتفرقوا، أقبل رجل كفيف وكأنه يريد دكان يحي، أسرع مغير إليه، سلم عليه وهو يمسك عصاه راغباً في مساعدته للوصول لمبتغاه، بادر الكفيف بالقول:

-كحلة وإلا مغير؟

جاوبه مغير،

-انا مغير، ما تعرف حسي، وين تبي يا عم أبو محسن؟

-أبي الدكان، ابي صلصة وجبن وميرندا.

-هذا الدكان يا عم.

أخذ الكفيف مبتغاه من الدكان وعاد أدراجه.

استغرب السلمي طلبات الرجل المختلفة بدرجة كبيرة، من صلصه إلى الجبن إلى الميرندا، من هذا الرجل؟ والسؤال سيوجه للقادرين على الإجابة، وهل هناك غيره، إنه مغير.

سأل السلمي:

-مغير ،وشو ذا ، وش هالمقاضي؟
-هذا جاركم الجدار بالجدار^١ ، صديق الفنان "وحيد منفوحة" والفنان
"فتى الشميسي" والفنان "ولد الصحراء" كلهم يسجلون عنده اسطوانات
، هذا راعي اسطوانات "نعيمي فون" ، أما سؤالك عن الطلبات ، فالصلصة
يحطها على الحرق اللي برجله ، يوم ينكب عليه الشاهي الاسبوع الفايث
، والجبن للعز اللي عنده ، اذا ما تأكل جبن ما يدر ديدها بالحليب ،
والميرندا ، له ، يموت بشي اسمه ميرندا.
قال السلمي مندهشا :

-عنزة تأكل جبن؟ هذي عنز شيوخ ، ياليتني عنز عنده.
اشتد ضحك الشباب على طرفة السلمي ، ولم لا فهؤلاء السمر مسرورون ،
فقد شربوا بيسي !!
تفرقوا عند أذان المغرب ، غابت الشمس ، بدأت المجاميع بالتفرق والتقلص
شيئاً فشيئاً ، صغاراً وكباراً ، بهذا أنهى السلمي يومه الأول في حلة الفحم.
اليوم هو اليوم الثاني للسلمي بحلة الفحم ، استيقظ باكراً ، أحضر الفول
والخبز ، أفطر ، خرج إلى الشارع ينشد مغير ابن الجزار ، فعند مغير الخبر
اليقين عن المعشوقة بالسمع شيخة بنت غرسة ، التي قضى ليلته البارحة في
تخيل جمالها الموصوف ، لا غرابة من عشقه لجمالها وهو لم يرها ، الم يقل
بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

^١ أي الملاصق لكم

بحث عنه في كل مكان ، لم يجده ، ذهب إلى يحي صاحب الدكان يسأله عنه ، فأفاده بأن مغير وقت العطل المدرسية يعمل مع والده بالجزارة ، يساعده في تكسير العظام وتعليق اللحم وتقطيعه ، لم يتردد في الذهاب إليه . وجده بالدكان بحالة لا تسر ، يقلب الشحم ، ويقطع اللحم ، ويلف الأمعاء ، ويجهز كرش ، يقوم بكل ذلك ، تنفيذاً لتوجيهات والده القاسي " غاتر القصاب " ، فمن لا يخاف القصاب الأحمق غاتر؟ خوفاً بدا واضحاً على مغير وهو يؤشر بيده للسلمي بأن يذهب بعيداً عن المحل ، فهم السلمي الإشارة فرد بإشارة تفيد بأنه لا بد من لقاءك اليوم .

عاد إلى الحارة ، قصد المرور من أمام بيت غرسة أم شيخة ، يتمنى فتحة باب بالصدفة ، أو رؤية مع النافذة ، أو نظرة من فوق السطح ، للمعشوقة ، المزيونة ، شيخة النورية ،

تردد مع الشارع ذهاباً وإياباً ، مرة ، ومرتين ، الرقابة مسلطة عليه وهو غافل ، أهل المشرق ينظرون ويتشاورون في التعامل مع هذا الذهاب والاياب بدون سبب ، سنيّة على العتبة ينظر إلى السلمي بطرف عينه ، نظرة استعلام وشك وريبة .

ناداه متيح باستهزاء :

-يا صبي ، صبي ، وش عندك تتمر الشارع رايح جاي؟

رد السلمي بسرعة :

-ابشتره !! كم سيم؟

جراًة أخلت بتوازن متيح بعد أن ضحك لعل عليه ضحكةً يسمعها من كان عند طلعة الشمس [□] .

غضب متيح ووقف على قدميه قائلاً :

-أقول تقلع أنت وغيترتك ، لا اتوطاها الحين في بطنك .

¹ مكان ليس بالبعيد عن حلة الفحم .

شعر السلمي بأنه تمادى في استفزاز من هم أقوى منه عدة وعتادا ففضل
الذهاب إلى البيت والاستماع إلى الراديو حتى حلول وقت العصر، بدلاً من
الاحتكاك بالثلاثي الأقشر.

-الجولة السابعة -

مرت أيام لم يتجاوز عددها عدد أصابع اليد ، هناك حركة دائبة بين شباب حلة الفحم ، يجرون الاستعدادات لإقامة مباراة كرة قدم بين فريق حلة الفحم وحلة السبالة.

عُرض على السلمي أن يكون حارس المرمى ، الخانة التي تستوعب من لا يعرف أبجديات لعبة كرة القدم ، قَبْلَ بتردد فعادات اهل الخب تنتقد من يمارس اللعب والمتعة .

بدأت المباراة ، بدايتها لا تبشر بالخير ، الكرة لا تتردد في زيارة مرمى فريق حلة الفحم ، تدخل بين الحصاتين اللتين تمثلان عارضتي المرمى ، السلمي يحاول صد أي من الأهداف لكنه لا يستطيع ، فريق السبالة يحقق أهدافا بأشكال وأنواع مختلفة ، مرة كبري بين رجلي السلمي ، ومرة في الزاوية ، ومرة يرتطم السلمي بالمهاجم الخصم وجهاً لوجه والكرة تمر بجانبه لم يعلم عنها ، حاول السلمي بكل ما يستطيع من إمكانات خباوية لصد الأهداف ولكن بلا جدوى ، زاد الحنق على السلمي فالنتيجة وصلت 13 لفريق السبالة مقابل 4 أهداف فقط لفريق حلة الفحم ، سجل أهداف حلة السبالة مهاجمهم الفذ "أبو شديق" ، بينما سجل أهداف حلة الفحم رقلة وكحلة ولكل منهما هدف ، وسجل طقطق هدفان.

الوضع لا يحتمل ، نكسة ، والخوف كل الخوف أن تتحول إلى نكبة ، لا بد من حل.

أتى الحل من رقلة ، اقترح أن يصبح السلمي في خانة الهجوم ويعود المهاجم الأول سنينة والذي لم يسجل أي هدف إلى حراسة المرمى ، رفض سنينة رفضاً قاطعاً ، فبالرغم من عدم تسجيله أي هدف ، إلى أنه أدى دوره بالركض على أكمل وجه ، إذا ليس لها إلا مغيبر المطيع الحبيب.

قَبْلَ مَغِيرِ أَنْ يَصْبَحَ حَارِسَ مَرْمَى، وَافَقَ الْجَمِيعَ عَلَى الْاِقْتِرَاحِ، وَضَعَ السَّلْمَى نَصْفَ ثَوْبِهِ السَّفْلَى دَاخِلَ سُرْوَالِهِ الطَّوِيلِ كإِشَارَةٍ إِلَى الْجَدِيدَةِ وَالْعَزْمِ عَلَى تَسْجِيلِ الْأَهْدَافِ، صَحِيحٌ أَنَّ هَذِهِ الْجَدِيدَةَ أَتَتْ بَعْدَ خَرَابِ مَالِطَةِ وَلَكِنْ أَنَّ تَأْتِي مَتَأَخَّرًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَدًا.

أَذِنَ الْمَغْرِبُ وَذَلِكَ يَعْنِي تَلْقَائِيَا انْتِهَاءِ الْمُبَارَاةِ، صَاحَ كَحَلَّةٍ بَعْرُضَ مَوْجِهٍ لِفَرِيقِ السَّبَالَةِ:

-وَشَ رَأَيْكُمْ يَا عِيَالُ قَوْلِ (هَدَفِ) الْمَغْرِبِ عَنْ عَشْرَةِ ٩

وَافَقَ فَرِيقُ السَّبَالَةِ بَلَا تَحْفَظْ، فَالْجَمِيعُ يَرْغُبُ بِاسْتِمْرَارِ اللَّعْبِ.

حَمَيْتِ الْمُبَارَاةَ، وَمِنْ دَرِبَكَةِ قَرَبِ مَرْمَى فَرِيقِ السَّبَالَةِ، قَامَ السَّلْمَى بَلَعِبِ خَشْنٍ وَدَفْعِ كُلِّ مَنْ يَقِفُ أَمَامَهُ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ إِلَّا فِي الْمَرْمَى وَسَجَلَ هَدَفَ الْمَغْرِبِ.

هَدَفَ أَضَافَ الرِّقْمَ عَشْرَةَ عَلَى عَدَدِ الْأَهْدَافِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَمَّ تَسْجِيلُهَا حَسَبِ الْاِتِّفَاقِ، أَصْبَحَتِ النَتِيجَةُ 14 هَدَفَ لِحَلَّةِ الْفَحْمِ مُقَابِلَ 13 لِحَلَّةِ السَّبَالَةِ.

اتَّجَهَ شَبَابُ حَلَّةِ الْفَحْمِ لِلْسَّلْمَى مُبْتَهِجِينَ يَرْدُدُونَ:

-يَا وَلَدَ، يَا السَّلْمَى، يَا وَلَدَ.

اِحْتَجَّ فَرِيقُ السَّبَالَةِ عَلَى خَشُونَةِ السَّلْمَى، وَعَلَيْهِ يُعْتَبَرُ هَدَفُ الْمَغْرِبِ الَّذِي سَجَلَهُ السَّلْمَى غَيْرَ صَحِيحٍ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ النَتِيجَةَ مَا زَالَتْ 13 مُقَابِلَ 4، لَمْ يَأْبَهُ فَرِيقُ حَلَّةِ الْفَحْمِ بِالْاِحْتِجَاجِ، وَاصْرَوْا عَلَى أَنَّهُمُ الْفَائِزُونَ فِي الْمُبَارَاةِ مَعَ تَرْدِيدِ بَعْضِ الْأَهَازِيحِ الْاِحْتِفَالِيَةِ بِشَكْلِ اسْتَفْزَازِيٍّ، زَادَتْ الْأُمُورُ تَعْقِيدًا، اشْتَبَكَ الْفَرِيقَانِ بِالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ، كَانَتِ الْغَلْبَةُ لِأَهْلِ الشَّمْعِ أَهْلِ حَارَةِ السَّبَالَةِ، فَأَعْمَارُهُمْ أَكْبَرَ، وَأَجْسَامُ كَأَجْسَامِ الْبَغَالِ.

انْهَزَمَ أَهْلُ حَلَّةِ الْفَحْمِ أَهْلُ الطَّوَاقِي الزَّرِيِّ وَالْأَسْنَانِ الذَّهَبِ جَسَدِيًّا، أَصِيبَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ السَّلْمَى بِإِصَابَاتٍ بِالْغَةِ، فِي رَأْسِهِ، وَقَدَمِهِ، أُشْبِعَ ضَرْبًا وَرَفْسًا، أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ أَكْبَرُ شَبَابِ حَلَّةِ الْفَحْمِ عَمْرًا، وَيَلْبَسُ غُتْرَةً بِيضًا.

عادت العناصر المهزومة بالمعركة إلى بيوت أهاليهم يللمون جراحهم ،ويتحدثون عن الانتقام، بلا تحديد لزمان أو مكان.

دخل السلمي على أخته، سألته عن أسباب هذه الإصابات وثيابه المتسخة، لم يجد عذرا يرد به على أخته أفضل من: طحت أنا وكحلة من السيكل وهو صافط طبلونه (يمشي بأقصى سرعة)0

عاد السلمي إلى سماع الراديو ،تحديداً البرامج السياسية والثقافية، يسمع منها الكثير ولا يفهم إلا القليل ،وكأنه طالب يتلقى المحاضرات لمواد مختلفة ولمحاضرين مختلفين، يعود باستمرار إلى ما يث من الفن، فالولد جيد الإنصات، استقر الرأي على إذاعة الكويت وأغنية للمطرب عبدالله فضاله.

مرت الأيام بسرعة، تحمل في طياتها كثيراً من الانسجام بين السلمي وأولاد الحارة ،اتفق معهم في كل شيء باستثناء شيء واحد ،لم يرق له، ألا وهو تربية الكلاب، فالأربعة أصدقاء يربون أربعة كلاب في خرابة الحمار، وهي خرابة في طرف الحارة ،على حدود حارة السبالة، سميت بخرابة الحمار ،نسبة إلى حمار مات فيها ،وظلت جثته شهوراً طويلة ،تزكي الحارة بالعفن دون أن يحركوا ساكناً ويتخلصوا من الجثة.

والخرابة عبارة عن بيت، سقط نصفه أو ثلاثة أرباعه، بسبب الأمطار أو بسبب قَدَم بنائه ،ولم يستطيع صاحبه إعادة بناءة لأي سبب من الأسباب ،هذا ما يسمى بالخرابة، يرمى فيه ساقط الأشياء ،ويقضى فيه بعض الحالات المستعجلة.

وقت الظهيرة ،هو الوقت المناسب لقضاء الوقت الممتع لأصحاب الكلاب مع كلابهم، العناية بها، تغذيتها بما يجود به مغبير من دكان والده

،عظام، أمعاء، وغيرها، كما يتم في هذا الوقت بحث المواضيع المهمة المتعلقة بها.

لأنهم مجتمعون هناك، ولأنه وقت القيلولة، ولأنه لم يستطع النوم لسبب لا يعلمه، قرر السلمي أن يذهب إليهم في الخرابة، ويشارك في جلستهم مع كلابهم، رغم أنه لا يحب الخرابة ولا الكلاب، ولكنة الملل. دخل عليهم من الطرف الشرقي للخرابة وهو الجزء المهدوم:

-السلام عليكم يا قوم.

-وعليكم السلام يا شخص، رد كحلة.

- هلا السلمي، غريبة خابرك ما تحب الكلاب ولا الخرابة وش السالفة، رد مغير.

-مردك للخرابة وكلابها، رد رقلة.

-هلا السلمي، وش عندك بهالقيله، مواعد وحده، صح؟ رد طقطق.

رد عليهم قائلًا:

-ما جاني نوم، قلت أجي أوسع صدري معكم، مع إني ما أواطن الخرابه ولا ريحتها، لعنبو شيطانكم وشلون صابرين على هالريحه؟

قالها السلمي وهو يضع غترته على أنفه، لم يعلق منهم أحد فاشلة مشغولون بحصة تدريبية عن كيفية تدريب الكلاب على تنفيذ أوامر أصحابها.

بدأ الممول الرئيس مغير الحصة الأولى من التدريب بوضع طاقيته الزري في الحجرة المجاورة من حجر الخرابة المتهدمة، جلس وأشر بيده لتلك الحجرة وصاح:

-طراح، طراح، 0 جب الطاقيه.

ركض الكلب طراح وأحضر الطاقيه بصدر رحب.

جاء بعده دور كحلة وبنفس الطريقة وبصوت أجش:

-جراح، جراح، جب الطاقيه.

نفذ الكلب جراح الأمر وأحضر الطاقية التي وضعت في المكان ذاته مرة أخرى، أحضر الكلب الأقبح شكلاً ونباحاً جراح الطاقية بغرور وكبرياء. جاء دور طقطق وكلبته وبحنية قال:

-عصما ، 0 عصما ، عصما ، الطاقية يا بعدهم.

بكل رشاقة أحضرت عصما الطاقية وهي تبتسم.

بقي كلب أسود كبير الحجم ، يطعمه رقلة بعناية فائقة ويمسح على ظهره بين فينة وأخرى.

ناشده السلمي أن يعجل في إطعامه ، لكي نرى فعل كلبه الأسود الذي يبدو من منظره أنه مهيب.

وضع الطاقية في الحجرة المجاورة كالأخرين ونادى بأعلى صوته:
-عنتره ، عنتره جب الطاقية.

هيبه00 هيبه00 قالها السلمي بصوت عالي وهو يرفع يده :

عنتره ، وش عنتره ، مسمي كلبك على اسم عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن مخزوم بن ربيعة ، فارس بني عيس الأول صاحب معلقة:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يالقهر حبيبته عبلة ، يسمى بأسم حبيبها كلب في خرابة ، يعرّمش عضم بأت ، ويطلب منه إحضار طاقية زري وهو الذي يحضر الرؤوس التي توضع فوقها الطواقي بعد جندلتها مثني وفرادي ، يا أخي ألا تخاف ربك ، اليس في وجهك حياء؟

والسلمي مستمر في الحديث الاحتجاجي على تسمية الكلب بعنتره ، لم ينفذ الكلب الأسود عنتره التعليمات ولم يذهب لإحضار الطاقية كالكلاب

التي سبقته، بل ذهب إلى كلبة طقطق المدعوة عصماء يريد مشاركتها الأكل، نُبحت عليه ففر عائداً لصاحبه رقلة.

استرسل السلمي: خذ يا رقلة، كلبك المسمى عنتره، هرب من كلبة، يا لإهانة، يتوسل منها عظماً، وعنتره المسمى عليه يقول:

ولقد ذكركُ والرماح نواهل

مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددتُ تقبيل السيوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم

غضب رقلة لإهانة السلمي لكلبه عنتره، وقال بعد أن مسح يديه بخرقة سحبت سحباً من ركام الخرابه، مازال بعض بقايا طعام الكلب عالقا بها:

-يا السلمي لازم تتظف عقلك من هالخرابييط، عنتره بطل الابطال، الشهم الهمام، رجل مملوك، رفعه الرواة بالمديح الكاذب، قالوا أنه قتل ألف رجل في المعركة وبني عبس وجميع القبائل التي تتحارب معهم لا يتجاوز عددهم خمسين رجلاً، قالوا عنه شهم وهو نذل، والدليل على ذلك موقفه عندما تعرض بنو عبس للهجوم وأخذ مالهم، وسُبيت نساؤهم وعيلة منهن، لم يفزع كوينينه¹ لنصرتهم، بل جلس كالمتفرج، يأتي إليه أبوه يطلب منه النصرة: -كُرياً عنتره.

فيرد بكل برود ويقول:

-العبد لا يُحسن الكر، إنما يحسن الحلاب و الصر.

لم يجد والده بُداً من أن يقول:

-كُرو أنت حر.

فكرو وأبلى بلاء حسناً، بمعنى لو لم يقل له أبوه سأعطيك حريتك، لما شارك، ولما دافع عن أبناء عمومته، وحبيبته عيلة، أين الشهامة؟! هذا هو صاحبك عنتره؟! يا السلمي أنت لا تشاهد السينما، أنا دائماً أشاهد أفلام

¹ لقب تصغير واحتقار.

عنتره ،والزير سالم ، في مقهى الوالد، قال الراوي يا سادة يا كرام،
والزبائن يشربون شيشه ويصدّقون ، لا تكن مثلهم .
لم يرق كلام رقلة للسلمي، فوالده رحمة الله عليه كان يُلقّنه قصص
وقصائد عنتره ،والزير سالم ،وسيف بن ذي يزن ،وحاتم الطائي ،صبح
مساء ،يأتي هذا الرقلة ليشكّكه في ما تشربّه من الأسلاف.
فضل مغادرة الخرابه وشلتها وكلابها والعودة إلى سماع أناشيد وخطب
الثورة العربية التي تبثها إذاعات التقديميين والاشتراكيين والتي يتفاعل معها
بشكل حماسي.

-الجولة الثامنة -

مرت عدة أيام تتابعت فيها أوقات العصر والمغرب والقيلولة على السلمي في حارة الفحم دون أن يرى شيخة بنت غرسة، التي سمع كثيراً عن جمالها، من مصادر عدة، من أوثق تلك المصادر، أخته هيلة، التي تقسم بأنها لم تشاهد في حياتها فتاة بمثل جمالها، أصابه الضجر والحيرة، يريد أن يراها بأي طريقة، ما العمل؟

العيون الساهرة تراقبه بقدر مراقبته للباب والنافذة والسطح، أهل المشرق منبطحون قبالة الباب، كحلة يتردد ذهاباً وإياباً في الشارع، سنيّة لا يفارق عتبة بابهم، يأكل الطماطم.

فكر، وفكر، وفكر، وأخيراً قرر، لا سبيل إلا بالحيلة، مع هؤلاء القوم لا ينفع إلا الحيلة، هي من ستجعله يرى قمر الحارة شيخة، شيخة النوريات على بكرة أبيهن، نعم، عن قرب سوف يطفئ من لهيب شوقه المتزايد لهذه الجميلة، زيارة واحدة لعيادة أمها غرسة بحجة المرض تفي بالغرض، نعم، ادعاء المرض هي حيلته، ماذا سيحدث، سوف تصرف له علاجاً، ليس مضطراً أن يأكله، وإذا غلبت الروم وأجبر على أكله أمامها، فلا مانع سيأكله، لا ضير، سيكون لهوم¹، يشرب عليه ماء وانتهى الأمر، إذن لا يوجد مخاطر تترتب على الخطة.

قبل أن تغيب الشمس بساعة، اغتسل، لبس ثوبه النظيف، مسح الغبار عن نعليه، توجه إلى بيت غرسة.

انتظر مغادرة ثلاثي المشرق، طرق باب غرسة وقد تلثم بغرفته وكأنه مريض.

¹ وهو ما يصرفه الطبيب الشعبي من دواء من أعشاب مطحونة تؤكل عن طريق الفم وتدفع بالماء.

فتحت الباب له، قمر الزمان ، نظر إليها ، لم يستطع النظر الى عينيها ، عيناها تبعث أشعة بنفسجية فوق الحمراء وليست تحته، نحرٌ مشرق، ترى الدم وهو يجري في عروقها بسبب بياضها وصفاء بشرتها، شعرٌ تُطِيره الأنفاس، أمسك برمانة¹ الباب خوفاً من أن يسقط ، قواه لم تعد تساعد على الثبات.

قالت بلا حرج وهي لم تضع الغطاء على وجهها:

-من أنت، ووش تبي؟

كاد أن يقول أريدك أنت ، فتح فمه متلكناً ، لا يعرف ماذا يقول:

-هاه ، هاه، أنا أخو هيلة النباش ، أبي خالتي غرسة تعالجني، أنا مصخن²

من يوم جيت من الخب

بخفة دم تلقائية بادرته بقولها:

-ارجع للخب وتطيب.

قهقهه في قرار نفسه ، لكنه لا يريد الخروج عن دور المريض الذي يلعبه في

هذه الحيلة ، اكتفي بالأنين الكاذب وقال:

-اه، اه، 0اقولها تعبان تقول ارجع للخب.

استدارت كالغزال بخصر ناحل ، ترسم حدوده كرتة³ مصنوعة من قماش

جارسية لامع ونادت:

-يوه 0يمه ، يوه 0يمه ، هذا أخو هيلة النباش مصخن يبيك تعالجينه.

سمع تصفيق أيد يأتي من وسط المنزل ، التفتت إليه شيخة قائلة:

-أمي تصلي اصبر شوي.

لم ينتظر طويلا ، إذ أجابت غرسة ، بعد انتهاء صلاتها مباشرة ، وسمح له بالدخول.

¹ قطعة من حديد الباب تستخدم لسحب الباب عند فتحه أو إغلاقه.

² مريض

³ فستان ذا نوع محدد من أنواع تفصيل الفساتين القديمة.

تبع شيخه بالمجبب ،بعد أن أسرع إلى دفع الباب بيده ،حرصاً على إغلاقه ،
دخل الحوش[□] ، وجد غرسة تجلس بجانب الوجار ، فيه نار ليست مشتعلة ،
على جانبه إبريقين ، أحدهما حليب ،والآخر شاي ، وفي الجانب الآخر للوجار
شاب ذو بشرة سمراء قاتمة ، إنه عم كحلة ،زوج غرسة ، يدعى "سرور" ،
إضافة للونه الأسمر فهو مفتول العضلات يلبس وزار وفانيلة أم عسكري[□] ،
مستلقي على مكدتين مترادفتين متسختين وقد تلثم بفترة قد التوى بعضها
على بعض ، يبدو انه يعاني من برد ، في يده اليمنى سيجارة.

نظرت الطيبة الشعبية غرسة إلى السلمي بابتسامة صادقة وقالت:

-ياحليلك ، ، أنت السلمي اللي جاي تبي تقعد عند اختك هيلة؟

أجابها:

-إيه.

سألت:

-وش تونس[□]؟

نظر إلى سرور خائفا مضطربا وكأنه يرى في عينيه معرفته بتصنعه للمرض
أو انه غاضب لكشف زوجته غرسة وابنتها لوجهيهما أمامه وهو ابن
الخامسة عشر .

أجاب:

-راسي وبطني وظهري.

استعدل سرور وعلق:

-رأسك وبطنك وظهرك ،وش بقي ما يوجعك لعنبو شيطانك؟ ثم عاد
لاستلقائه من جديد.

قهقهت شيخه بصوت عال وهي واقفة عند باب المطبخ متكئة بيدها اليسرى
ويدها اليمنى على خصرها.

¹ فناء المنزل.

² الفانيلة هي قطعة الملابس الداخلية التي تلبس على الجزء العلوي من الجسم ، أما أم عسكري فهذا أحد أنواع الفنايل.

³ بماذا تحس .

واصلت الطيبة الشعبية الكشف عليه بكل لطف وقالت:
-الأمر هين وأنا خالتك ،تبي تطيب إن شاء الله ،ثم سحبتة من يده
للجلوس بجانبها.

طلبت من شيخة أن تحضر المسمار الكبير من على رف المطبخ، وأن تحضر
اللهم الزعفراني من شنطة الأدوية من حجرة الأم (الحجرة الرئيسية).
نفذت شيخة التعليمات بكل دقة.

السلمي يراقب الوضع بعينين مختلفتين، العين الأولى ،بالانبهار من جمال
شيخة وهي تذهب وتعود ،والعين الأخرى على المسمار الكبير الذي وضعته
الطيبة الشعبية غرسه فوق النار، بعد دقائق قليلة استغلها السلمي خير
استغلال بالنظر المتعمق إلى شيخة وهي تتمايل أمامه.

استعدل سرور عم كحلة في جلسته بعد أن تلقى إشارة من الطيبة غرسه
بأن المسمار جاهز لكي السلمي ثم قال:

-أنت خايف يا الخبي ؟

ثم أطبق عليه بكل أطرافه ،وكأنه أعمى قبض على شاته.

خاف السلمي لعدم علمه بما يجري وأخذ يردد:

-وش بكم وش السالفة؟

لم يشعر إلا والمسمار الأحمر الملتهب قد التصق بهامة رأسه من الأعلى
وروائح احتراق الشعر مختلط بريح إفرازات جسم سرور المنتنة تملأ أنفه
،وعينييه تقدح بالشرار.

صاح:

-طبت □ ،طبت ، فكوني ،والله ما بي شي بس فكوني.

أطلق سراحه بعد أن تم التأكد من أن المسمار الملتهب بالنار تمكن منه
بشكل جيد.

¹ شفيت، لم يعد بي مرض.

طلبت الطيبة الشعبية غرسة من شيخة غضارة ماء ، كي يشرب السلمي ،
تفاديا لمرض الروعة ، الذي يأتي عادة من الخوف المفاجئ .
شرب الماء وتراجع للخلف يريد أن يتكئ على الجدار بجانب غرسة
ويرتاح ، بعدها يطلب بيالة شاي على الماشي □ .
فاجأه سرور قائلاً:

-ياالله ، أهلك ياالله ، أهلك ، ياالخي خذ لهوم الزعفران ، وتوكل على
الله.

أحس السلمي بأن سرور لا يرغب بجلوسه البتة ، عكس الطيبة غرسة
، التي كانت لطيفة معه بشكل ملفت.

وقف وعينه على شيخة ، يريد أن توصله للباب علّها تخفف من آلام الكي
التي بدأ يشعر بها شيئاً فشيئاً ، مشى متباطئاً ورقبته قد التفت بمقدار 90
درجة باتجاه شيخة ، التي بدورها تفاعلت بشكل غير محسوس مع الالتفاتة
، وتفهمت مبتغاه ، ثم تبعته ، وقف عند الباب واقترب من إذن شيخة وقال:
-والله العظيم ما نيب مصخن □ بس جاي علشان أشوفك.

تفاجأت شيخة ثم أحست بخجل وقالت:

-يعني هاالمكوى اللي كويته عشاني؟

أجابها بسعادة:

-ومستعد انكوي كل يوم مكوى لين اصير كني □ مجدور بس اشوفك.

قهقهت شيخة وهي تضع يدها على كتفه وتدفعه قائلة:

-عجل اظهر □ لا يهاوشك □ عمي سرور.

^١ يشربها بسرعة

^٢ لست مريضاً.

^٣ حتى أصبح كأي.

^٤ اخرج.

^٥ يوبخك.

خرج من البيت إلى الحارة وكأنه يدخلها لأول مرة، لا يريد الذهاب إلى البيت، يتمنى أن يقبل بيوت هذه الحارة التي تسكنها هذه الفاتنة شيخة بيتاً بيت، رغم طراوة جرح مسمار النار إلا أنه لا يكاد يتذكره.

تذكر رائحة شيخة الزكية وهو يستنشق هواء الحارة العليل، نسي رائحة سرور وهو يطبق عليه، حنويدها وهي تدفعه إلى الخارج أنسته تماماً يد أمها وهي تدفع بالمسمار إلى هامة رأسه، ذهب إلى البيت منتشياً سعيداً، يمشي خطوة ويقفز الأخرى دخل وسلم على أخته وبعلمها بسعادة غامرة، تربع على قدميه أمام فايز كتلميذ كتاتيب ينشد العلم من مطوع وتساءل:

-هاالحين يا عم فايز: الحرمة إذا صارت ما تغطي □، عليها ذنب؟ مع أنها تصلي؟.

-ياالسلمي، الصلاة ركن من أركان الإسلام والسعيد من يحافظ عليها أما الغطوة فقد اختلف العلماء في وجوبها، فمنهم من استثنى الوجه والكفين، ومنهم من استثنى نصف الوجه، ومنهم من استثنى العينين من الوجه، ومنهم من استثنى عيناً واحدة، والأولون هم أسعدهم بالكتاب والسنة.

هنا قاطعه السلمي قائلاً:

-الفصل في الموضوع آية الحجاب في سورة الأحزاب والآية واضحة يا عم ﴿يَذْنِبْنَ عَلَىٰهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ﴾ □.

وقف فايز يريد الذهاب وهو يقول:

-يا السلمي الله يهديك يُصر المخالفون المتشددون على أن معنى (يدنين):

يغطّين وجوههن، وهو خلاف معنى أصل هذه الكلمة، "الإدناء" لغة:

التقريب، فسرهما ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيما صح

¹ لا تلبس غطاء على وجهها أما الرجال الأجانب.
² سورة الأحزاب آية (59).

عنه فقال : "تدني الجلباب إلى وجهها ولا تضرب به".

تفاجأ السلمي من غزارة علم ابن عمه ثم وقال:

-ما شاء الله وين قرئت كل هالعلم؟

ابتسم فايز وقال:

-كله موجود بالكتب عند أبوك بالمرزعة.

سره كثيراً توضيح فايز للحكم الشرعي للغطوة واسترسل يريد معرفة الكثير:

طيب وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ □

أجاب فايز بسرعة وكأنه يتوقع منه الاستشهاد بهذه الآية:

-يا السلمي الجيب هو: فتحة العنق أو الصدر.

أحس بارتياح شديد لتوضيح حكم الحجاب ، فبالرغم من أنه رأى أم شيخة تصلي إلا أنها تكاد تفقد عففتها في نظره، هي وابنتها ، لعدم وضعهما غطاء الوجه عند علاجه ، وهو الذي قارب الخامسة عشر، وقد تعلم في السابق أن ذلك يقترب من الكبائر.

الحمد لله شيخة ليست متبرجة وتستأهل إعجاب روحه بها.

صعد إلى الروشن وفتح جهاز الراديو ووضع المؤشر على إذاعة الكويت يريد سماع أغاني بأسرع وقت ممكن، أتاه الشوق إلى الطرب، يا للغرابة ، بعد ان كان لا يسمع الطرب منعاً أصبح يبحث عنه ادماناً ، تصادف بث الإذاعة لصوت محمد زويد وهو يشدو بقصيدة :

مال ريم الفلا باهي الجبين المحجب

¹ سورة النور آية (31).

والتي تعمق بكلماتها وبإلحانها بشكل استثنائي حتى داهمه النعاس ونام
نوما هائلاً.

- الجولة التاسعة -

تغيرت الأحوال بعد الثلاثة أشهر الأولى في الحارة بشكل دراماتيكي، فالسلمي صار أقرب إلى مغير ، بنك المعلومات المحدثّة، تقارب أدى إلى إفصاح مغير بسرّه الكبير للسلمي ، مفاده أنه يحب بنت الخباز أمان ، من سنة ونصف ، ورغم بوحه بسرّه هذا ، هيهات، هيهات أن يعرف أن السلمي يعشق شيخة الشيخات ، فالسر عند السلمي في بئر ليس له قاع، سواء له أو لغيره.

أما كحلة ورقلة فمعظم وقتيهما سويا في مقهى أبو رقلة، يشربون مجانا ما يتبقى من الشيش وما يبقيه الزبائن من الشاي، يستمعون إلى راديو المقهى بالنهار ويشاهدون الأفلام التي يستأجرها والد أبو رقلة ليلاً، حيث يبدأ عرض الأفلام على الزبائن بعد الساعة التاسعة مساءً، وهو الوقت الذي ينام فيه غالبية أهل الشمع.

وقت القيلولة كان هو الوقت المناسب لمغير ليزور فيه السلمي في منزله، يستمعان إلى أغاني الصوت الخليجي، الذي يعجب به مغير كثيراً، والسبب بسيط، إنه فن يعتمد على الصفة (التصفيق) ومغير يجيدها.

بدأ مغير بسرد أخبار زبائن ملحمة والده:

-تصدق يا السلمي جانا ابو شديق بالدكان اليوم ،كابتن فريق السبالة ،وتوصيت معه باللحمة الزينة اللي ما بها عظام، نسي اننا متزاعلين، قال لي ودهم يلعبون مباراة معنا في حارتنا00قلت : أبسأل العيال.

رد السلمي باستغراب:

-تقوله صادق؟

-قسم بالله أني ما أكذب.

قالها مغير وكأن أحدا اتهمه بالكذب.

وقف السلمي وقال:

-قم، قم مشينا للعيال بقهوة أبو رقلة نلقاهم مجتمعين.
ولأنه سمين ،وقف مغيير باتكاء على يديه أولا ثم حملته قدماه، فوزنه
الزائد يوقعه بحرج شديد في أمور كثيرة من أهمها الفهم السريع ، وإلا
كيف يذهب مع السلمي بكل هذه الحماسة دون أن يعرف ما السبب؟

وصلوا إلى أصحابهم في المقهى التي تقع جنوب شرقي مستشفى الشميسي،
وجدوا الثلاثة يجلسون على ثلاثة كراسي ،مصنوعة من الخشب والخيش
،تقليدا لكراسي مقاهي "حوض البقر" في مكة المكرمة، رتبت وضعية
هذه الكراسي الثلاثة على شكل حرف نون ،والنقطة هنا طاولة وضع
عليها إبريق صيني ،يسمى "براد أبو أربعة" ،وسمي بذلك لكمية الشاي التي
بداخله فهي تكفي لثملاً أربع بيالات ،والإبريق الأكبر منه يسمى أبو
ثمانية.

بعد إلقاء السلام عليهم ،أبلغهم السلمي بعرض أبو شديق لإجراء مباراة بين
فريق السبالة وفريق حلة الفحم، اعترض طقطق بقوة ،مبرراً ذلك بالخوف
من هزيمة جديدة ،كروية وجسدية ،كما حدث سابقا، نزل السلمي من
الكرسي وهو يقول:

-هذا اللي نبي، نبي القضي □ يا طقطق ،والمثل يقول: "من لا تقاضى وهو
حي يقمح إلى مات" الثار يا مال الغنيمه.
تدخل رقلة قائلاً:

-وشلون ننتقم منهم وهم ثمانية وحنا خمسة، الغلبة مضمونة لهم ،وهزيمتنا
مرة ثانية حاصلة حاصلة.
ابتسم السلمي وقال:

¹ الاقتصاص منهم.

-الحل عندي وأنا أبو هندي، حنا تسعة مهوب خمسة ،عد يا مغير،
كحلة واحد، رقلة اثنين، طقطق ثلاثة، مغير أربعة، أنا خمسة، طراح
سته، جراح سبعة، عصما ثمانية، عنتره بطل الأبطال تسعة،
كلابكم ها اللي تغدونها وتعشونها لكم أشهر، هذا يومهم، إذا بدأت
المعركة ،كل واحد منكم ينادي كلبه باسمه ويقول له ،شحو، ويؤشر
بأصبعه إلى احد عيال فريق السبالة ،هنا سيمزقه الكلب إربا إربا.
أعجبت الفكرة أعضاء الفريق ،وكانهم ينتظرون التعامل مع نتائج تربية
كلابهم من مدة طويلة، ليستمتعوا بإطاعة الأوامر، موافقتهم أراحت
السلمي كثيراً ،فالتأثر كان يراوده كلما ذكرت حارة السبالة ،وها هو
قد أصبح التأثر قريباً منه.

طلب السلمي من مغير سرعة التسيق مع أبو شديق لتحديد موعد للمباراة
التي ستنتهي حتماً بمعركة حاسمة ورد اعتبار لحلة الفحم.

مرت أيام ليست بالطويلة ولكنها كانت كافية لشفاء جرح الأحباب جرح
مكوى غرسة، شفاء سيساعد السلمي في معركة التأثر من أبو شديق.

اليوم، عصر الاثنين، الموعد المحدد لمباراة الرد،مباراة الكلاسيكو.
بدأت المباراة بخشونة متعمدة من السلمي على أبو شديق الذي لا ينتظر
استفزازاً ليُقدم على ضرب خصومه، دقت ساعة الصفرا اشتبك السلمي وأبو
شديق، أبو شديق أقوى ،شعر بذلك طقطق فنادى بأعلى صوته لكلبته
عصماء ،أشربيده على أبو شديق قائلاً:

-عصما شحو.

انقضت عصماء على أرجل أبو شديق ،ما أعطى فرصة للسلمي ليتفنن في
ضرب أبو شديق وينتقم من العار السابق الذي لحقه والآلام التي عانى منها
بسبب ضرب أبو شديق في المعركة السابقة،حمي وطيس المعركة ،كان

للكلاب دور كبير في حسمها لمصلحة فريق حلة الفحم، فُض الاشتباك ،راح أعضاء فريق السبالة يجمعون اشمغتهم الحمراء من هنا وهناك ويضمدون جراحهم بها من عض الكلاب ،وخصوصا الكلبة عصماء ،فقد أبلت بلاء حسناً ،وكانت أشجع الكلاب على الإطلاق ،عكس عنتره الذي كان ينبح أكثر من مما يعرض.

ثمّ أعضاء الفريق للسلمي نجاح هذه الخطة الحكيمة والتي بسببها جاء الانتصار المظفر.

ارتفعت أسهم السلمي في الحارة وأصبح قائداً متوجاً لمجريات الأحداث في الحارة ،وأمين سرها ،ويُلجأ له في معالجة أي مشكلة تحدث ،ساعد على ذلك كونه يكبرهم سناً.

بدأ التركيز من قبل السلمي على الملفات الحساسة لمنسوبي الحلة ،ومحاولة فهم العلاقات المتباينة بين سكان الحارة .

يسأل بلا حرج عن أي شيء فيجد الإجابة ،أبو الفلان وين يشتغل ،أم الفلان تقرب للفلان ،بنت الفلان مزيونة ،وبأي سنة تدرس ،ومن يغازلها من الحارة أو من خارج الحارة.

تواترت المعلومات التي جمعت وتم التأكد من صحتها وصيغة في خياله بالتشكل التالي :

1 - كحلة مشغوف بشيخة بنت غرسة ويخطط هو وعمه لتزويجها منه.

2 - أبو محسن الكفيف جار النباش منتج فني يملك اسطوانات نعيمة فون ،ويسجل الأغاني للفنانين وفتى الشميسي ووحيد منفوحة ومطرب الصحراء كل ليلة جمعة على مسجل ريل، يتم طباعتها في بيروت على اسطوانات نعيمة فون، وجلسات شرب الميرندا كل ليلة جمعة تحوم حولها الشبهات.

3 - مغبير يقيم علاقة متقدمة مع بنت الخباز "زكية".

- 4 - هناك وعد من زكية لمغير أن تقرب بين بنت خالها "فتحية" وطقطق عند زيارة أخوالها لحلة الفحم العيد القادم، وهذا يعتبر معروف أسداه مغير لطقطق دون مقابل.
- 5 - سبق وأن ضرب الخباز أحد أعضاء المشرق وتحديدًا المدعو متيح وشج رأسه ولا زالت الخصومة مستمرة بعد أن صدر حكم الشرع بتعويض متيح عن الشجة.
- 6 - رقلة يحوم حول أخت كحلة "شمة" بحذر شديد منذ مدة رغم فارق اللون بينهما.
- 7 - أبو طقطق مصلح الساعات يضع دهن عود على ملابسه، له علاقات مشبوهة مع بعض الزبونات الحسان.
- 8 - طقطق يعتبر أجبن شاب في الحارة.

معلومات تجمعت لدى السلمي بوقت قياسي والفضل يعود بذلك ،لمغير ،و للمكانة التي بلغها بعد الانتصار الساحق على شباب حارة السبالة في مباراة الثأر ،وللعشاء اليومي الذي يتكرم به على غالبية شلة الحلة بشكل شبه دائم، فجلسة بعد المغرب في مقهى أبو رقلة دائماً على حسابه، فبعد أن كانوا يشربون ما يتبقى من الشيش و براد أبو أربعة أصبح لهم الآن صفة اعتبارية ،ويُقدّم لهم طلباً كبقية الزبائن، أيضاً لا ننسى البيسي والميرندا عند دكان الحارة ،فالحساب في الغالب على السلمي ،والله يطول بعمر زوج أخته فايز النباش ،الذي لا يبخل عليه بشيء ،يعطيه من الريالات فوق حاجته.

أصبح وضع السلمي في الحارة أحسن حالاً، وهذا أسعد الصديق الأول مغير والصديق الثاني مع وقف التنفيذ طقطق، كحلة و رقلة غير مرتاحين لهذا النفوذ الذي بدأ يتمتع به السلمي.

مرت الأشهر الأولى في حلة الفحم ممتعة للسلمي، كل ليلة جمعة يجلس على عتبة البيت للاستماع للطرب الشعبي المنبعث من نوافذ روشن أبو محسن، عود رنان، تصفيق يتلوه تصفيق، وأحياناً يتطور الأمر إلى طق الإصبع.

في كل ضحى يقف متشوقاً أمام بيت غرسة، حتى يكون قريباً ويشرف بجلب الاحتياجات عند طلبها، خبز من الخباز أمان، لحم من الجزار أبو مغير، طماطم من أبو رشيد، فالشلة في هذا الوقت مشغولون.

كحلة يكد مع أبوه على الحمار، ومغير يكسر العظام نيابة عن والده، وطقق يبيع المناديل عند إشارة المرور بقرار من والده الذي لا يريد أن يكون معه في الدكان ويخرجه مع زبونات الحسان، أما رقلة فيعمل بتحصيل قيمة الطلبات في المقهى نيابة عن والده كما يستغل وجوده في المقهى ويشرب ما يتبقى من الشيش والشاي فإذا أذن الظهر أصبح رأسه كالقدر الكبير لكثرة ما دخن من الجراك.

-الجولة العاشرة -

ما أجمل حلة الفحم ،وما أسعد الحياة فيها ، هذا هو حال السلمي ، سيزيد من سعادته التحاقه بالدراسة في مدرسة حلة الفحم هذه السنه حسب المفاهيمه التي تمت مع فايز بعد لقائه الاول مع الشله ، يومها لامه كحلة لعدم انتسابه لسلك التعليم ،

يأمل بموافقة المدرسة على التحاقه وهو المتجاوز للسن النظامية للدراسة بالمدرسة صباحاً فهو يقترب من سن السادسة عشر .

الوقت ضيق ، بعد أيام ستبدأ الدراسة ، وجميع من في الحارة يتحدثون عن شراء حاجيات المدرسة أكثر من حديثهم عن شراء ملابس العيد ، ما دعاه لتذكير زوج أخته بوعده له وأخذه إلى "سوق الحساوية" لشراء ملابس جديدة ولشراء الأقلام والدفاتر من "سوق أوشيقر" قبل التسجيل في المدرسة. وافق فايز النباش برحابة صدر ، كم كان يتمنى في حياته أن يذهب إلى حي الديرة ، ويشترى لأبنائه ، كباقي الناس لكنه قضاء الله وقدره أن يكون عقيماً ، ولا راد لقضاء الله.

وصلا إلى سوق الحساوية ، كان عبارة عن دكاكين صغيرة تعرض ثياباً خيطة مسبقاً وجاهزة للبيع ، تعلق بمسامير على درفت الباب بعد فتحه. أخذ صاحب الدكان مقاس السلمي بخيط يستعمل كالمتري ، وضع طرفه أعلى كتف السلمي والطرف الثاني على كعب قدمه اليسرى ، بهذا يعرف البائع الحجم التقريبي للثوب المناسب للمشتري ، زيادة قفلتين¹ ، نقص قفله لا يهم ، وجد المقاس المقارب ، اشترى ثوبين ، أحدها للعيد والآخر للمدرسة ،

¹ مقياس لزيادة طول الثوب وقصره (0 قفله بعرض اصبع وقفلتين بعرض اصبعين .

رفض رفضاً باتاً أن يشتري شماغاً أحمرًا يقيه برد الشتاء، واشترى بدلاً عنه غترة لونها بين الأبيض والأصفر، تسمى "زبد الرّخال"¹، ثقيلة وتقي من البرد، وتعتبر بديلاً للشماغ في أيام الشتاء، واشترى غترة أخرى، ناصعة البياض، علق في حوافها كور صغيرة من القطن، تعتبر الأحدث مودياً تلك السنة، كما اشترى طاقية نوع "شالكي"، وهو النوع الجيد الذي يتحمل عوامل كثرة اللبس والغسيل بشكل مجرب، كما اشترى نعال "زبيرية" وهي المصنعة من جلد الحيوانات وتستورد من الزبير بالعراق، واشترى أيضاً ملابس داخلية.

غترتان وثوبان ونعال وطاقية وملابس داخلية، هي كسوته هذه السنة للعيد وللمدرسة وللولايم، تكفيه حتى السنة القادمة.

لاحظ أن هناك باعة متجولين يحملون ما يبيعون في صندوق خشبي معلق برقبة البائع بواسطة حبل مثبت بطرف الصندوق، خطر على باله أن يتاجر مثلهم، ولكن سيكون ذلك على حساب فكرة العلم والتعلم، وهذا ما لا يخطر على باله أبداً، فصرف النظر عن ذلك.

ذهبا بعد ذلك إلى سوق أوشيقر، واشترى منه شنطة للكتب وقلمين رصاص في أعلاهما مساحتان، وبرايه، ودفاتر، واقلام ملونة بجميع ألوان قوس قزح يطلق عليها مجتمعه تشكيله، وكراسة للرسم، ومطارة ماء يحملها الطلبة عادة لتروي ظمأهم في الصفوف الدراسية الحارة.

بعد نهاية التسوق قصد فايز النباش دكاكين صغيرة الحجم مليئة بالبضائع المكدسة، قماش، رز، سكر، والتي تقع غرب سوق الحساوية، يطلق عليها دكاكين أهل الجفرة، وسميت بالجفرة لأن أرضها أنزل من بقية الأسواق المجاورة لها، ولكي تدخل إلى إحدى هذه الدكاكين عليك أن تنزل درجتين.

¹ وهي ما تسمى حالياً بـ "الشال".

دخل فايز يتبعه السلمي إلى أحد متاجر الجفرة ،وجدا رجلا جاوز الستين من عمره، قصير القامة، نحيل ،تلوك أسنانه السواك، يتكئ على صندوق خشبي، صنع خصيصاً ليكون متكئاً، هذا الرجل يدعى "أبو مشذاب"، تعود أصوله إلى قرية "شد لي واقطع لك"، التي سميت معركة أهل الشمع باسمها والتي انهزم فيها أهل الشمع وأصيب فيها أبو السلمي.

استقبل أبو مشذاب صديقه القديم فايز بترحاب بالغ، بدأ كل منهما يتحدث عن تخصصه في التجارة، كل يعيب على صاحبه، تعليقات لا تخلو من الهمز واللمز، وبمعنى أدق، مزح برزح.

دخل أحد الزبائن، وكان أبو مشذاب على ما يبدو بانتظاره، قام له أبو مشذاب قائلاً:

-وراك ابطيت □ عن الموعد، ياالله حط يدك على القماش هذا وقل: اللهم أني اشتريته بخمسة عشر ألف ريال من أبو مشذاب وأسدده بعد سنة.
قال الزبون العبارة بكل دقة.

أكمل المشهد أبو مشذاب بطلب شراء القماش قائلاً:
-هاالحين يوم انك شريته ، ابشتره منك بعشرة آلاف عدأ ونقدأ
قال الزبون:

-موافق عطني العشرة.

دفع له أبو مشذاب عشرة آلاف ريال بعد أن قام بعدها ثلاث مرات. تمت العملية وأصبح الزبون مديناً بخمسة عشر ألف استلم منها عشرة، تم توثيق العملية بورقة كتبت مسبقاً، شهودها الدائمون من الدكاكين المجاورة، وليس على المستدين إلا التوقيع.

يتضح لمن يرى عملية البيع والشراء التي تمت بين الزبون والتاجر أبو مشذاب إنما هي لتمرير إقراض التاجر عشرة آلاف إلى الزبون ،مقابل أن يردها بعد سنة خمسة عشر ألف ريال.

¹ تأخرت.

ولكي لا تكون - بزعمهم - متاجرة ربوية، عملت هذه الصفقة الوهمية للقماش ليقتنع الزبون والتاجر بشرعية الإقراض، وأنهما بعيدان كل البعد عن الربا ولم تطبق آلية الربا وهي بيع المال بالمال، وأن ما حصل الآن عند تاجر الجفرة من بيع وشراء للقماش المحنط في المتجر حلال، والفارق في السعر خسره المشتري بمحض إرادته عندما أعاد بيع القماش لتاجر الجفرة، ابتسم أبو مشذاب حيث لا شبهة في ذلك ولا داعي لاستخدام مفردة أحوط والتي لطالما تبجح بها أهل الشمع الأفاضل .

مسرحية لم تقنع فايز النباش، فور خروج الزبون التفت فايز على أبو مشذاب وقال:

-الله يستر عليكم يوم القيامة من تجارتكم هذي.

نظر إليه أبو مشذاب وهو يدخل بقية الدراهم في الصندوق قائلاً:

-عشنا وشفنا أهل الغتر ينصحون أهل الشمع ، هاالحين ما شفت قدامك

بيع وشراء ؟

بكل رزانة علق فايز على استهزاء أبو مشذاب:

-اللي شفته شي والنوايا بالقلوب شي ثاني.

وقد روى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) متفق عليه.

وقف فايز ومد يده إلى السلمي وقال مشينا، خرجا دون الالتفات أو انتظار تعليق أبو مشذاب على حديث عمر رضي الله عنه الذي استشهد به فايز.

واصلا مسيرهما إلى البيت بعد إتمام شراء جميع الحاجيات، توقف السلمي فجأة فسأله فايز عن السبب:

فأجابه : نسينا ما اشترينا ربابة.

تفهم فايز بروح كريمة رغبته لامتلاك الربابة لمعرفته مدى تعلقه بها، استدارا عائدين باتجاه قيصرية "حراج الرواد" شمال الصفاة وتحديدًا غرب الجامع، قيصرية تباع فيها آلات الطرب مثل العود والمرواس والربابة والاسطوانات، معروضة أمام الملاء، بعد صلاة كل عصر يبدأ الدالين بعرض المواد المستعملة كالروادو والبكمات للبيع مع ترديد عبارة: كم نقول، الراديو بعشرين، من يزود، وهكذا .

اشترى الربابة، و الربابة هي الآلة الموسيقية الوحيدة المستخدمة في نجد وشمال الجزيرة العربية قبل أن تنتشر آلة العود، يكثر العزف عليها عند أبناء البادية بشكل كبير، هيكلها وقوسها مصنوع من خشب الأشجار الموجودة في الصحراء، يغطي هيكلها بجلد صغار الإبل "الحوير" أو الماعز أو الشاة، وترها يسمى "سبيب" وهو مصنوع من شعر الخيل، والشبة التي يمسح بها الوتر من دموع الأشجار، أما الحمير فهما عودان مربوطان ببعضهما على شكل علامة ضرب يحملان الوتر.

لا تختلف الربابة التي لا يرى بعض أهل الشمع بأس في العزف عليها عن العود الذي يُنكر على أهل الغتر العزف عليه، مع أنه مصنوع من الأدوات نفسها ويعزف نفس الألحان.

عند سؤالك لأحد رموز أهل الشمع عن السبب في رفض العود والقبول بالربابة سيفيد:

أن العود أجنبيا، أتان من ديوان الرشيد في بغداد، وقد غنى به زرياب كلمات كان يجب أن لا تغنى بمدح الخليفة الرشيد، كفنائته:

يا أيها الملك الميمون طائرته هارون راح إليك الناس وابتكروا

أما الربابة فهي من بيئتنا ، ويغنى بها أبيات رجولية حتى وإن كانت غزلية
، كقول المنشد :

يا ذيب يا اللي هاضني بعواه قبلك وأنا عن صاحبي سالي

كانت فرحة السلمي بالربابة كبيرة ، لكن فرحته بأدوات العلم أكبر.

لم ينم تلك الليلة باكراً ، شده الشوق إلى المدرسة والانضمام إلى طلبة العلم ،
يتمنى طرد شبح أفضلية المتعلمين بالمدارس عليه ، خصوصا كحلة و رقلة
وشیخة ، ينتظر الصباح بفارغ الصبر ليخبر أصحابه عن مشترياته ، التي يرى
أنها أفضل من مشترياتهم ، باستثناء طاقيه الزري التي زجره فايز النباش
عندما رغب في شرائها ، لكن لا بأس ، هو اشترى غترة وهم بلا غترة ،
واحدة بواحدة ، كم كان يتمنى أن تعلم شیخة أنه سيكون أحد الطلبة
هذا العام.

-الجولة الحادية عشرة -

اليوم هو الجمعة وغداً السبت أول أيام العيد المبارك، استيقظ السلمي باكراً، صلى الفجر وأحضر طعام الإفطار، تناول إفطاره وشرب الحليب، والشمس لم ترتفع قيد رمح .

الحارة ساكنة ، لا غرابة فالجمعة يوم راحة ، أهل الحارة مستغرقون في نوم الضحى.

قصد بيت كحلة الغريم المنافس له على النفوذ ، عله يغيضه بما اشتراه للعيد وللمدرسه ، دخل شارع بيتهم الضيق، وجد "فئيس" أخو كحلة قد جهّز الحمار المربوط دائماً أمام البيت، وربطه بالعربة فأصبحت جاهزة الآن للانطلاق، قال له:

-وين يافئيس هاالصبح.

-نروح نترزق الله ،نوم الصفرة □ هذا ما نعرفه مثلكم.

-ما شاء الله عليك يا فئيس صغير وكداد، وين اخوك كحلة؟

-بالبيت، وخّر بس عن الحمار لا ياطاك □ ،انا مستعجل عندي حمولة ،أبروح انقلها.

طرق باب بيت كحلة كثيراً ،واخيراً أتى الرد:

-طيب، طيب، فتحت الباب شمة أخت كحلة ومحبوبة رقلة.

، فتاة سمراء ،تضع على رأسها شيلة □ لم تخف شعرات شعرها الواقفة كجندي يستعد أمام ضابطه.

-ياالله صباح خير ،وش تبي كسّرت الباب؟

-أبي أخوك كحلة.

¹ نوم الضحى.

² يطاق.

³ نوع من غطاء الرأس.

كحلة نايم، ثم أغلقت الباب بقوة في وجهه دون انتظار الرد.
قصد بعدها الغريم الثقيل في له رقلة، ليخبره عن الالتحاق بالمدرسة، علّه
يخفف من الاستخفاف بثقافة من لا يذهب إلى المدرسة، التي طالما ردها
على مسامع السلمي.

استيقظ رقلة بنفسه بعد طرق الباب الذي استغرق أكثر من ربع ساعة.
فتح الباب، أخذ يفرك عينيه ويقول:

-هلا السلمي.

إذ بصوت أجش من الداخل يقول:

-من اللي عند الباب يا ورع؟

أجابه رقلة بسرعة:

-هذا ولد النباش.

-الله ينبش رأسك أنت واياه، نعبو شيطانه، هاجدنا هاالصبح، هو ديك
هو؟ هو ما يدري إن ليلة البارح، جمعة جامعة وملائكة سامعة، قفل الباب
وتعال افطر.

نفذ رقلة على عجل أوامر والده، مؤشراً بيده للسلمي بأنه سيأتي إليه بعد
قليل.

قصد بعدها بيت طقطق، خرج إليه أبو طقطق لابساً سروال إلى الركبة
،وفنيلة أم عسكري، وطاقية لونها أصفر من عوامل الزمن وقد كانت
بيضاء، يبدو أنه استيقظ باكراً، قبل أن يتكلم السلمي قال:
-تدور دُبان؟ مر عليه مغير وراحوا جميعاً.

دُبان لقب لمن كان سميناً، وطقطق أحدهم.

عاد أدراجه إلى البيت قاصداً طريق العبور المعتاد الذي يمر امام بيت غرسه
، ليفاجأ بمغير واقفاً عند زاوية الحارة لوحده، استهل الحديث معه بخبر

شراء التشكيلة ، ثم النعال الزبيرية ، ثم تحدث عن بقية المشتريات ، ثم بشره عن قرب تسجيله في مدرسة حلة الفحم الابتدائية.

سأله بعد ذلك عن طقطق فقال مغير:

-طقطق رجع لبيتهم يلبس ثوب العيد وكنادر العيد.

يبدو ان السلمي لم يتقابل معه لاستخدام طقطق الطريق المختصر .

-وش عنده دُبان ؟

إستفسار لماذا يريد لبس ثوب العيد والعيد غدا.

-موعد مع فتحية بنت خال زكية بنت الخباز.

-أوه ، هذي البنت اللي تخططون تصير حبيبته؟

-إيه جايين ها العيد عند خالتهم أم زكي.

هذا الاستعراض الذي يستعد له طقطق باللبس الجديد ، تنفيذا للتفاهات التي تمت بين مغير وزكية قبل مدة لغرض التقريب بين طقطق وفتحية.

نظر إليه السلمي بعتب قائلاً:

-وانا يا مغير ليش ما توسط لي عند زكية ، تشوف لي من قرايبهم مثل

طقطق؟

أجابه مغير بلغة المدير عندما يخاطب موظفاً صغيراً يعمل لديه:

-ياالسلمي زكية ماهي بخطابه ، وبعدين كل قرايبهم فنس[□] وعيونهن

صغار ، وانت ما تحب الفنس.

قبل السلمي تبرير مغير ولكنه قرر أن يلبس الملابس الجديدة ويذهب

معهم ، من باب حب النظر إلى البنات والاستعراض أمام أهل بيت شيخة علّها

تراه بالثياب الجديدة فالرجل حنّ للأجواء الرومانسية والتجاذبات الغرامية.

لم يمانع مغير.

¹ الأفنس ذو الأنف الأفطس.

ركض السلمي إلى البيت ركضاً لارتداء الطقم كاملاً، نعال، وثوب، وطاقية، و غترة .

كان لديه الثقة بأنه سيحظى بالتميز عند زكية وفتحية عن مغير ابن الجزار ذو اللون الحنطي، وعن طقطق ولد مصلح الساعات دُبان. لاحظ مغير أنه الوحيد الذي ستكون ملابسه قديمة ،فقرر تقليدهم والذهاب بأسرع ما يمكن لارتداء ملابس العيد لتشاهدها زكية. مرت ربع ساعة بعدها اجتمع الثلاثة عند زاوية الحارة بالملابس الجديدة، توجهوا إلى بيت الخباز، الجو أمان ،الخباز في مخبزه ،وأهل المشراق لم يباشروا مشراقهم بعد فالشمس لا زالت باردة.

مروا أمام سنيينة الجالس على عتبة بيتهم كالعادة، سلموا عليه بالإشارة باليد وبلا صوت، وقف سنيينة فجأة ،دقق النظر في ملابسهم ثم نظر إلى ملابسه ،التفت يميناً والتفت شمالاً ثم دخل إلى المنزل دون أن يرد التحية،

استغربوا نظراته واستعجاله في الدخول ،لكنهم واصلوا مسيرهم،توجهوا يميناً مع سكة بيت الخباز، حتى صاروا أمام بيت الأحباب وجهاً لوجه، ها هن زكية وفتحية وبنت ثالثة خلف الكواليس، صوت بدون صورة، يشرقن بإطالاتهن البهية مع نافذة غرفة الجلوس، كن ينتظرن مغير وطقطق فقط ،لم يآبهن بالمغازل الثالث أبو غترة حين رأينه، بادرت زكية بالكلام قائلة: -مرحبا غبوري -والمقصود هنا مغير وتدليعه غبوري -فين طقطق

حقك هادا اللي تبغى فتحية تصادقو؟

رفع طقطق يده قائلاً:

-أنا طقطق.

قالت:

-وعم عباس أبو غترة جديدة هازا اللي جنبك، ايش جابوا معاكم ؟

قهقهت فتحية على وصف السلمي عم عباس، أحس السلمي بحرج كبير وتلعثم، وصفه بعم عباس إشارة إلى كبره بالسن، وهذا ما سوف يُنزل من أسهمه لدى الجنس الآخر، لا بارك الله بالفترة، هي من توحى لمن يراه وهو يلبسها أنه كبير بالسن.

بعد انتهائها من القهقهة قالت فتحية لزكية:

-يا زكية ما انت ملاحظه كل ثياب الجماعة جديدة، شكلهم معيدين. قهقهت زكية، ولم يستطع أحد من الثلاثة الرد على هذه التعليقات الظريفة. وهم على هذه الحال أقبل عليهم سنيّة يخبط الأرض بعرجته وقد لبس ثوباً جديداً وشماعاً يابساً لم يغسل بعد مما يعني أنه شماغ جديد، وكان يمسك بيده عصا من الخيزران.

صاح مغيير:

-الهجة يا عيال، سنيّة شافنا يوم نمر من عنده قبل شوي، لابسين ثياباً جديدة، يحسب إن اليوم عيد، لبس ثياب العيد الجديدة، وجاكم يبي القمرق، وقمرق مأخوذة من كلمة جمرك، ومعنى الموقف هنا أن من كان بيده خيزران وهو الأقوى فإن له الحق بأخذ محصول العيد من الضعيف أو صغير السن كجمرك، وعادة ما يكون المحصول: قريض¹، أو حلاوة، أو بعض القروش.

قصد السلمي، وصار يتمم، لم يفهم السلمي ماذا يقول سنيّة لأنه أبكم، أيضاً فأهل الخب لا يعرفون عادة أخذ محصول العيد من المتعبد باسم الجمرك كما هو الحال في احتفالات عيد الرياض، لغة التفاهم انعدمت بينهما، وتحركت لغة الخيزران والعنف.

، بدأها سنيّة بضربة قوية على فخذ السلمي الأيمن، اشتبك الحدثان، الحدث الأصغر أبو غترة، والحدث الأكبر أبو شماغ، الدافعان بينهما للمعركة مختلف، السلمي كرامة أمام فتحية وزكية، وسنيّة دافعه

¹ الحمص الحب.

الطمع بمحصول العيد الذي لم يأتي يومه بعد، كان الهجوم كاسحاً، والدفاع مستमित، والغبار ثائراً، شراسة سنينة كانت أقوى حيث أسقط السلمي أرضاً، كان مغير وطقطق يرقبون المعركة من بعيد وكانا يرغبان بالهرب، لكنهما لما رأيا صمود السلمي كل هذه المدة أمام ضرب سنينة الأصم الأبكم، والأكبر سناً، والأضخم جثّة، تشجعا وعادا إلى أرض المعركة ببطء.

صاحت زكية متوسلة لمغير:

-ياواد ليش ما تساعد صاحبك عم عباس، الأطرم قتلوا بالضرب؟
مسك مغير طاقيته الزري ورماها أرضاً بقوة حتى بدت شعرات رأسه الواقفة تهفهف، وهذا يعني الإشارة بدخول المعركة،
ساعد مغير السلمي، وتبعه على استحياء طقطق الجبان، أصبحوا ثلاثة ضد واحد، والكثرة تغلب الشجاعة، بادر سنينة إلى إنهاء الشجار بالتدريج لشعوره أن النهاية لن تكون لصالحه، رحب السلمي بالتوجه إلى فض الاشتباك بعد أن مُني بإصابات بالغة في جميع أنحاء جسمه، ناهيك عن ثوب العيد الذي اتسخ بشكل كبير وهذا ما آلمه، وهذا أيضا ينطبق على مغير وطقطق، لكن آلام مغير من الاتساخ أكبر، فشعرات رأسه المفلفل تشبعت بالتراب، اختلط دهن الكريم الذي وضعه على شعره بالتراب، فلم يعد يلمع. أخذ السلمي ينفذ التراب الذي علق بثوبه وهو يتألم من جلد الخيزران،

لديه علامة استفهام كبيرة، لماذا هو الوحيد الذي ناله نصيب الأسد من عنف سنينة دون مغير وطقطق اللذين شاركا في جزء المعركة الأخير؟ لماذا مغير تخلص من الطاقية الزري قبل الاشتباك مع سنينة؟

توقفوا جميعاً عن التشابك الجسدي، ايزاناً ببدء المرحلة التالية والأخيرة للمشاجرة والمتمثلة بالسب والشتم، سنينة لا يعلم ما يقولون وهم لا يفهمون تأتاته، تفرقوا جميعاً، وقبل أن يغادر السلمي سأل مغير عن سبب التخلص

من الطاقة الزري قبل النزال ، فأفاده بأن سنيته يزداد شراسة وقوة عندما يكون الخصم لباساً طاقياً زري أو غترة بيضاء وأقل عدوانية إذا لبس الخصم شماغاً أحمرأً ، آه ، آه ، استشعر السلمي النوازع العدوانية لسنيته قبل معلومة مغير التي أكدت هذا الاستشعار ، هز رأسه لمغير.

عاد السلمي إلى البيت متخماً بجراحه ، ومحبطاً من تعليقات البنات ومناداته بعم عباس ، وخاسراً فرحة لبس ثوب العيد الجديد يوم غد ، فبعد غسله سيصبح ثوباً قديماً ، وقبل هذا وذاك فشيخة لم تشاهد كشخته رغم تعمده المرور أمام بيتهم ، فكر كثيراً لتحضير عذر مقبول يقدمه لأخته التي لا يريد إغضاها ، فقطعاً أنها ستطلب توضيح سبب اتساخ ثوب العيد ، استقر الفكر على أن يكون العذر هو الادعاء بممارسته لعبة "من قام عكرفو له" ، والتي أقيمت بالمراغة¹ ما تسبب في اتساخ الثوب بعد سقوطه على التراب عدة مرات من العكرفة المتكررة ، فهو جديد على اللعبة.

وطريقة اللعبة باختصار هي أن يجلس جميع اللاعبين على الأرض ومن يقف يتم إسقاطه عنوة بواسطة عرقلة قدميه.

قبلت أخته العذر بعد التوبيخ الشديد بأنه لم يعد طفلاً يلعب مثل هذه اللعبة ، وأن هذه الممارسات لا تليق بابناء الخب ، وأنه أكبر من هذه التصرفات ، وان علم فايز بها سيفضب ، ثم أكدت عليه بعدم العودة لمثل ذلك مرة أخرى ، والتوقف عن مجارات عيال الحارة بسلوكهم وألعابهم . قامت بغسل الثوب والغترة في الحال ليكونا نظيفين يوم غد أول أيام العيد السعيد.

¹ بقعة من الأرض مليئة بالتراب والغبار.

-الجولة الثانية عشرة -

اليوم هو العاشر من ذي الحجة، عيدت حلة الفحم مع حارة الشميسي كلها، بدأ تبادل الهدايا من قطع لحم الأضاحي.

الدم يسيل من متعاب [□] كل بيت لدى أهله أضحية ومنهم أخت السلمي التي تضحي لأبيها سنوياً دونما وصية، فالعرف يلزم الأبناء والبنات القادرين على أن يتقربوا إلى الله عز وجل بأضحية سنوية للمتوفى دون وصية، وهذا مخالف لرأي العلماء القائل بأن الأضحية للحى وليست للميت إلا بوصية من مال يوقفه بعد وفاته، وإن أراد أن يتصدق لأحد والديه بكبش فله الأجر بإذن الله، صدقة وليست أضحية.

بدأ التسابق إلى الزيارات بين أهالي حارة حلة الفحم لتذوق حميسة [□] كل أضحية، كل شخص من الحارة قد يأكل خمس مرات في خمسة بيوت من خمس ضحايا على أقل تقدير، ولا يشبع.

أولاد الحارة مسرورون، يمشون جماعات بين أزقة الحارة، صغيرهم وكبيرهم، باستثناء فنيس الذي يقول كحلة أن عنده طلبية في حارة "شلقا" والمقابل المادي له مغري، ما دعاه إلى التضحية بالمشاركة في فرحة العيد.

مرت أيام العيد وبدأ الناس في الحارة ينتظرون عودة الحجيج، السلمي ينتظر قدوم يوم غد السبت على أحر من الجمر، اليوم الذي سيذهب فيه إلى مدرسة حلة الفحم، لينظم إليها كطالبا، لأول مرة في حياته، أووه، ما أطول هذه الليلة.

¹ فتحت اسفل الباب الرأس يخرج منها الماء عند تفسيل البيت
² قطع من اللحم تشوى على النار، قد يضاف إليها أحيانا بعض البصل.

استيقظ السلمي مبكراً ،لبس ملابسه ،وحمل حقيبته ،وجد زوج أخته يتناول الإفطار في المصباح[□] ، ظل واقفاً قرب الباب للضغط على فايز كي ينهي إفطاره بسرعة ، فهمت أخته هيلة استعجاله فقالت:

-وراك ما تقعد تفطر وتخلي الرجال يتهنى بفطوره ، المدرسة ماهي بطائره.

علل استعجاله بقوله:

-ياخيتي أخاف يضربونن بالفلكة إذا تأخرت.

ضحك فايز وقال : يضربونك وهم ما بعد سجلوك؟

ضحك الجميع ثم قام فايز للذهاب معه.

دخلا على مدير المدرسة ،بعد السلام بادر فايز النباش بإعطاء نبذة مختصرة عن تعلّم السلمي في الخب في مسجد خب النباش ، وأنه يجيد القراءة والكتابة ويحفظ غالبية سور القرآن كما يحفظ بعض الأحاديث، وأشار إلى أنه يحفظ عن أبيه بعض القصائد النبطية والفصحى ،ومن الظلم أن يبدأ من السنة الأولى.

تفهم المدير تميز السلمي واقترح أن يُعمل له اختباراً ليتم التأكد من المعلومات التي أفاد بها فايز، وبعد ذلك يتم تقييمه ليلتحق بالسنة الدراسية المناسبة.

بقرار جريء منه وبعيد عن البرقراطية نادى المدير اثنين من معلمي المدرسة ، أحدهما يدرس اللغة العربية ،والآخر يدرس المواد الدينية لإجراء الاختبار. تم اختباره فوراً وظهرت النتيجة التي تقول بأن السلمي يستحق الالتحاق بالصف الرابع الابتدائي فكلا المعلمين اندهشا ولم يصدقا ما سمعاه من السلمي حفظاً وفهماً.

¹ قبر البيت وقد سقف جزء منه.

تَحَفَّظَ أحد المعلمين وكان يلبس شماغاً أحمرأ بدأ يبلى من كثرة الغسيل ،وسبب تَحَفَّظَه أن السلمي قد بلغ الحلم وبقية الطلبة صغار فكيف يجلس بجانبهم ، تم تجاوز هذا التحفظ بالتوصية على تشديد الرقابة عليه . استكملت الإجراءات على عجل ، وتم توجيه السلمي إلى فصل رابعة (أ) ، وهو الفصل الذي يحتوي على الطلبة كبار السن ، والسلمي منهم ، صحيح ان جسمه لا يدل على ذلك ولكن تقاسيم الوجه تفضح السنين .

مفاجأة سارة أثناء دخوله الفصل فكحلة ومغير ضمن تلاميذ رابعة (أ) ، طالبان غير مجتهدين في تحصيلهم العلمي ، والدليل أنهما مسبوقان من طقطق ورقلة اللذين يتبححان بالصف السادس ، وسيقومان هذا العام بتعبئة الاستمارة ، وهذا معناه الانتهاء من المرحلة الابتدائية والعمل بوظيفة أو الانتقال للمرحلة المتوسطة.

تسببت إجراءات تسجيله الاستثنائية إلى تأخر حضوره إلى الفصل حتى بداية الحصة الثالثة.

ها قد بدأت الحصة ، دخل المدرس ، يا للمتعة شعور دغدغ مشاعر السلمي وهو يرى الأستاذ لأول مرة ، رجل في منتصف العمر شرس الملامح يلبس الشماغ الأحمر يسمى الأستاذ "رخيم أبو رزة" ، كسب لقب أبو رزة نسبة لجدّه رخيّم الأول ، الذي كان يمتهن بيع الأرز ، ولأنه دقيق ومنصف ، فقد كان يوفى الكيل بحبة أرز ، سواء كانت له أو عليه ، فسمي أبو رزة ، تعود أصوله إلى قرية الشعيب الصفراوي والذي يبعد عن الرياض بأقل من مئة كيلومتر.

سَلَّمَ الأستاذ ، بدأ يتفحص الطلبة ، والذين لم يسبق له أن درّسهم في الأعوام السابقة ، توقف عند السلمي وقال :

-أنت يا أبو غتيرة وش اسمك ؟ ومن أنت من أهله ؟ ومن أي مدرسة ناقل ؟

غضب السلمي من مناداته بأبو غتيرة ولكنه أجاب:

-أنا سليمان حمد النباش ، من أهل خب النباش ، ولم يجب عن المدرسة التي انتقل منها لأنه مستجد.

-والنعم بالنباش وأهل الخب كلهم إلا أنت ، قالها المدرس وهو يبتسم .
تعالى ضحكات جميع من بالفصل وخاصة كحلة على خفة دم الأستاذ أبو رزة وطرافته لتحقيره السلمي.

-غضب السلمي وقال ليش أنا بلا نعم ؟

صمت الجميع لانتظار معرفة العيب الذي بسببه أستثنى السلمي من النعم.

-لأنك تلبس غترة بيضا وأهل الخب كلهم أهل شمع حمر.

قالها أبو رزة وهو يجذب طرف شماغه العلوي إلى جبهته.

سبب بارد لحرمانه من المدح لم يكن يتوقعه السلمي ما دعاه للجلوس وهو يقول:

-وهذي السالفة يا أستاذ ، أثرك ما هنا أحد ، ما عندك ما عند جدتي □ .

قهقه الجميع بصوت عالي إلا الأستاذ الغاضب الذي طلب من السلمي بصوت جهوري الوقوف بجانب السبورة فوراً ، وطلب من عريف الفصل إحضار العصا من الإدارة بأسرع ما يمكن.

ياالله صباح خير ، ردها السلمي في نفسه وهو ينتظر الضرب في اليوم الأول له في المدرسة ، لا ، بل في الحصة الأولى له ، لا ، بل في الدقائق الأولى ، فآل ليس بالحسن ، لكن لا بأس ففرحته بالمدرسة أكبر.

أحضرت العصا وتم ضرب السلمي 10 ضربات نصفها على يده اليمين والبقية على يده اليسرى مع توبيخ شديد اللهجة بأن يحترم مدرسيه وأن يقبل ما جاء منهم دون نقاش أو نقد أو استهزاء فالقاعدة تقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

انتهت الحصة الثالثة ، حصة الأستاذ رخير أبو رزة ،

¹ جمل استهزاء وتحقير تفيد بأن المخاطب جاهل أو سفيه.

أعلن المراقب بداية الفسحة (وقت الاستراحة) عن طريق الصافرة التي يحملها، والمراقب هو أحد المدرسين الفاشلين، تكمن مهامه بالنفخ بالصافرة كإعلان عن نهاية كل حصة وبداية الفسحة، يقوم خلالها بالتجول بين الطلبة لإظهار الهيبة، وأخطر مهامه هي الضرب بالفلكة، أثناء الفسحة الرئيسة (بعد الحصة الثالثة) تنفيذاً للأحكام الصادرة من إدارة المدرسة، وهي عقوبة المفاختين والمتجاوزين في تعاملهم مع الحالة الدراسية بشكل عام، والمفاختين هم الطلبة المتغيبين عن الحضور للمدرسة دون علم أهاليهم، أما المتجاوزين فمنهم الأقشر وهو المتعامل بعنف مفرط عند أي إشكالية، ومنهم المتطاوّل على أحد رموز المدرسة، أما التجاوزات البسيطة كالسرقة والتحرش الجنسي فعقوبتها ليست بالفلكة، بل بصقة خفيفة على الوجه مع مفردة انقلع يا السروق^١ أو تقلع يا السربوت^٢، وتنتهي القضية.

تقابل شلة حلة الفحم بالفسحة وهم يتجولون في ساحة المدرسة، والساحة عبارة عن فناء ترابي ليس فيه ظل، ولا تجد فيه أي نبتة خضراء. ابن الجزار مغيبر كان مستعجلاً للذهاب إلى المقصف لشراء "شابورة شريك" وميرندا قبل الزحمة، تبعه رقلة والسلمي. سأل السلمي مغيبر عن سبب عدم ذهاب ابن الحمّار كحلة وابن مصلح الساعات طقطق إلى المقصف.

فأفاده بأنهما لا يملكان المال وأهاليهم لا يعترفون بالفسحة أصلاً، استدار السلمي عائداً إليهما ودعاهما إلى المقصف، مصراً على أن يدعوهما للشراء من حسابه الخاص، قبلاً الدعوة على استحياء، مثنّين للسلمي حفاظه على عرى الصداقة وحرصه على تواجد الشلة عند المقصف مجتمعاً لإرهاب

^١ السروق هو الحرامي.
^٢ هو من يأتي المعاصي والمنكرات أمام الملاء.

الشلل الأخرى إن هي فكرت بالتعرض لأي عضو من أبناء حلة الفحم الخمسة.

قام مغير بالشراء من المقصف ، أحضر المطلوب بعد أن أخذ المال من السلمي ، جلسوا جميعاً على عتبة أحد الفصول المطلة على الساحة ، يأكلون ويشربون.

أمعن النظر السلمي بذلك المعصقل □ الجالس في ركن الساحة الملاصق للمقصف ، أمامه قارورة ميرندا وقارورة ببسي وفوق كل واحدة منهما شابورة ، الميرندا وشابورتها في مراحلها النهائية ، يبدو أنه تم التعامل معها بسرعة ليتمكن من شرب الببسي قبل انتهاء الفسحة ، هل هو فنييس اخو كحلة.

التفت إلى مغير مستفسراً وهو متأكد ، أكد له مغير أنه فنييس. وبصوت خافت ، بعد اقترابه من إذنه ، سأل السلمي:

كيف أن كحلة ليس معه فسحة ، وهذا لديه فسحتان ولا يعطي أخاه؟

جاء الرد سريعاً من مغير ، بصوت خافت أيضاً:

يا رجال هذولا متزاعلين لهم أكثر من سنة، وريالات فنييس الكثيرة من مكدته على الحمار، إذا جاء أبوه الظهر ، لقط الحمار ، وكد عليه ، والمغرب مثل ، يعني إذا توقفت الناس عن المكدة يكد هو، القايلة وعقب العشا ، وهذا اللي خلى مخباته مليانة دراهم.

يا كاي في ، القايله وعقب الأخير ، هذا (غزو هليل لا يمرح ولا يقيل) ، قالها السلمي وهو ينفذ ثيابه من بقايا الشابورة.

صفر المراقب بعد مضي ربع ساعة إشارة إلى انتهاء الفسحة وبداية الحصة الرابعة.

دخل عليهم رجل يلبس شماغ أحمر وعليه عقال مليء بالتراب ، يلبس بنطال أزرق وقميص أبيض ، عريض المنكبين ، له شنب كثيف وأسنان صفراء ، لم

¹ النحيل.

يسلم عند دخوله، اسمه الأستاذ "فتحي" حسب إفاده رقلة للسلمي، أما عن حال الطلبة عند دخوله، فلم تعد تسمع لهم أي صوت أو همس أو حركة، كأن التلاميذ "نار وسكب عليها ماء"، الخوف واضح على الجميع. لم يطلب من أحد أن يعرفه بنفسه، اتجه إلى السبورة مباشرة وكتب عليها في الوسط الأعلى تحديداً:

المادة : قواعد.

الموضوع: الفعل.

مثال: قتل فتحي اليهودي.

وبداً يشرح الفعل وموقعه من الإعراب والجميع صامتون، عند انتهائه من الشرح لم يسأل أحداً للتأكد من استيعاب ما تم شرحه، بل اكتفى بالطلب من الطلبة إعطائه أمثلة لجمل مفيدة تحتوي على فاعل، وعرضها عليه للتصحيح حالاً.

جلس بعدها على الكرسي الملاصق للجدار، واضعاً كرسيه آخر أمامه لتجلس عليها قدماه مرفوعتين باتجاه الطلبة.

بدأ كل طالب بتركيب جملة مفيدة بها فاعل حسب خلفيته المعرفية:

كحلة قال : (ضرب الرجل الحمار)

طقطق أورد : (نظف الرجل الساعة)

أما السلمي فقد رغب ان يستعرض اما المدرس خلفيته الدينيه علها ترفع من اسهمه عنده ، وذكر اسمه في الجملة تقليداً للأستاذ عندما ذكر اسمه كفاعل أثناء الشرح وكتب:

(تزوج السلمي الكتابية)

قام أحد الطلبة بتكليف من أستاذ فتحي بجمع الدفاتر لعرضها عليه.

صحح لعشرة طلبة دونما تعليق، وعندما قرأ جملة السلمي،

نادى: وين سليمان النباش؟

فرح السلمي كونه الوحيد المنادى باسمه وقال:
-نعم يا أستاذ.

-ولك عاوز تتجوز يهوديه ؟ ، قالها الاستاذ فتحي وعيناه تتسعان
أجاب السلمي بارتباك:

-لا يا أستاذ بس هذا مثال للفاعل.

-ولك مالمقيت غير المثال هاظ، لا ومدلل اسمك بدل سليمان ، مخليه
السلمي.

بسرعة رد السلمي:

-أنت يا أستاذ حاط اسمك بمثالك (قتل فتحي اليهودي) وأنت جالس
بالفصل لا رحت ولا جيت، ولا قتلت أحد.

رفس الأستاذ فتحي الكرسي الذي تحت قدميه غاضباً من كلام السلمي،
واقفاً وقفة عسكرية ثم اتجه للسلمي الجالس في آخر الفصل بسرعة،
امسكه من مؤخرة رقبته وأخذ يسحبه بعنف وهو يردد:

-ولك بترد عليا يا حقير ، ما كفاك انك إنفضحت وانك بتريد تتزوج
يهودية؟

ثم دفع السلمي إلى السبورة بعنف حاقداً، الذي ارتطم رأسه بها ما أفقده
توازنه وسقط.

شعر السلمي بألم شديد وصاح بأعلى صوته:

-خف ربك يا أستاذ ، هذي ماهي بسواة مسلمين.

قالها وهو على الأرض يومئ بيده واليد الأخرى اتكأ عليها ، واسترسل:

-وش أنا قايل يا أستاذ ، يوم تضربني ، كلامي ما يغضب الله ، يقول الله
عز وجل ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

إِذَا اتَّيَمُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ □

وأنا إذا تزوجت يهودية ، فهو حلال ، أما أنت في مثلك الذي كتبته على
السبورة (قتل فتحي اليهودي) خالفت كلام الله ، ليش تقتل يهودي والله
يقول في محكم كتابة ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا
قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ □

لم يستطع الأستاذ إسكات السلمي المنفعل من أهانته أمام الطلبة ومنهم
كحلة ورقلة ، هنا تدخلت صفارة المراقب لتعلن انتهاء الحصة وتضع حدا
للوضع المحرج للسلمي والأستاذ على حد سوا.
غادر الأستاذ فتحي الفصل مستعجلاً وهو يقول:
-هاذي ذقني إن نجحت.

الحصة لخامسة كانت حصة الرسم ، اكتفى المدرس بإعلام الطلبة
بالأدوات المطلوبة لممارسة الرسم عند الحصة القادمة ، شدد على قضية
مهمة ، وهي أن رسم أي مخلوق لا بد أن يكون مقطوع الرأس ، بما في ذلك
السمكة.

الحصة السادسة كانت قرآن ، والسلمي يحب القرآن ويحفظ الكثير من
سوره ، ما أعجب الرجل الكفيف المكلف بتدريس القرآن لفصل رابعة (أ)
، ومن شدة إعجابه بحفظ السلمي للكثير من السور كلفه بالاستماع إلى
الطلبة والتأكد من حفظهم لما يطلب منهم حفظه ، في قادم الحصص.

^١ سورة المائدة آية (5).
^٢ سورة المائدة آية (32).

يوم دراسي جميل لو لا ضرب المدرس أبو رزة ،وجندلة الأستاذ فتحي له ،
على السلمي أن يعي جيداً ،أن جلافة الخب ، التي اكتسبها وتشربها منذ
نشأته ،قد أخرجته كثيراً ، وعليه يجب التخلص منها بأسرع وقت ممكن ،
ليتمكن من تحسين علاقاته مع أصحاب القرارات المهمة في المدرسة والحارة
،وقبل ذلك مع الحبيبة الجديدة ، التي شغف بها .

يوم دراسي حافل أعاد للسلمي حيويته وثقته في نفسه التي كان سيفقدها ،
لو رأى أولاد الحارة يذهبون للمدرسة وهو لا ، وخاصة الناعمة شيخة ، الآن
أصبح هو وهي سواسية ، رابع ابتدائي ، الفرق أنها تدرس في مدرسة شارع
عسير للبنات ، وهو يدرس في مدرسة حلة الفحم للبنين ، ولو كان يُعمل بنظام
الاختلاط لكانا في فصل واحد ، ولربما على طاولة واحدة رغم بلوغه الحلم .

تعيينه في الصف الرابع ابتدائي ، رفع من معنوياته أمام كبار السن في
الحارة ، كانوا في السابق -و عند الحاجة لقارئ بقراءة الخط الوارد أو
كاتب لكتابة الخط الصادر - لا يأخذونه في الاعتبار ، رغم قدرته الفائقة
على ذلك .

سارت الأمور في السنة الدراسية سريعة ، بسرعة استيعابه للمناهج المقررة ،
مندمجة ، كاندماجه مع كل شيء في الحارة ، السيرة الذاتية له تحسنت
وارتقت لدى المدرسين والإدارة بحد سواء ، كثر مديحه بين أهل حلة الفحم
،وقبل ذلك كانوا أهل الشمع في جميع جنبات الحارة يهمسون له بالمديح
لمحافظته على الصلاة ، مُجبرين على ذلك وليسوا مُخَيَّرين ، أسباب عدة
، وراء هذا النجاح والتفوق أهمها :

خلفيته المعرفية بالدين ، التي اكتسبها من والده الوسطي في كل شيء ،
والتعلق في الأدب ، أيا كان مصدره .

الدهاء والفراسة التي رآها بأم عينه في أصحاب والده كوزيان وغيره .

الأعمال الشاقة التي كانت توكل إليه من المعزب القريب البعيد عمه دنقور.

ما شاء الله على سليمان النباش سمعة طيبة ، مدح دراسي ، مدح ديني ، أناقه ، لبس كبك ، الأمور تحسنت كثيرا ، لكن ، كل ذلك لا يكفي ، السعادة التي يعيشها هذه الأيام يكتنفها بعض المنغصات البسيطة ، أهمها ، سنيّة آكل الطماطم وحالة التوتر المستمر معه ، منذ ذلك اليوم المشؤم ، يوم الخيزرانه والقمرق ، يوم تسميته عم عباس.

هما الآن متخاصمان ويحصل بينهما بعض التحرشات عند الخباز ، عند الدكان ، في الشارع ، والمقلق في هذا كله أن بيت سنيّة يقع متوسطاً بين بيت الخباز وبيت أهل المزيونة شيخة ، شيخة رائعة الجمال.

الوقوف أمام بيتها ، والاستمتاع بنظرة عابرة ، أو بسمة مرسلّة عند فتح الباب لأحد الزوار أو عند فتحه للطلب من أحد أبناء الحارة شراء بعض الحاجيات أو عند فتحه لسكب ماء الغسيل ، هذا الوقوف محفوف بمخاطر التصادم مع هذا الأسمر الجلف ، وما يكسب العلاقة مع سنيّة أهمية مضاعفة ، عتبة بيتهم ، فهي مطلة بشكل مباشر على ملعب العصر وتكاد تكون منصة للعب لا يفارقها راعي المباراة ، صُبح مساءً ، صيفا وشتاءً ، ومن الصعوبة بمكان أن تلعب في ملعب ومراقب المباراة في المنصة يرغب في العراك معك.

فَكَرَّ في الأمر جلياً لحل هذه الإشكالية ، وضرورة التنازل عن بعض الكبرياء ومداهنة أبو شماغ على الكتف وتصفية الأجواء ، لا بد من إنهاء مخاصمته وتحسين العلاقة معه بشكل عاجل ، خاصة أن مغير وطقطق أعادوا العلاقة معه منذ مدة دون إبلاغه ، ولكن ، كيف السبيل إلى وصالك دلي ، كيف يكون تحسين العلاقة مع من لا يحسنها أصلاً ؟ بل قل لا يعرفها. كيف ، كيف ؟

وجدها ، الطماطم وليس سواه ، نقطة ضعف سنيّة الوحيدة ، المنطق والإقناع لن ينفعنا مع ، جلف ، أصم أبكم ، يلبس شماغه فوق رأسه عند أداء الصلاة

وعلى كتفه بعدها، دخل مطبخ بيت أخته، أخذ ثلاث حبات طماطم ووضعها في جيبه الأيمن، أما جيبه الأيسر فقد وضع فيه قليل من الملح الجراش^١ لتكتمل متعة سنيينة عندما يضع الملح على الطماطم بعد كل قضة.

أقبل السلمي عليه وهو جالس على العتبة، ركز نظراته على عيني السلمي، حتى صار قريباً منه، إقبال السلمي بهذا الأسلوب الواصل أربك سنيينة وجعله يقف مستعداً لأي مشاجرة.

أدخل السلمي يده وأخرج الطماطة الأولى، قدمها له كهدية وعربون صداقة وبداية مرحلة جديدة، تهلل وجه الأبكم وقام يتأثى وهم بالدخول إلى البيت وبيده الطماطة، فامسكه السلمي، أخرج له الملح من الجيب الآخر وكان السلمي يعرف إن سنيينة كان ينوي إحضار الملح من الداخل لذره على الطماطم، بدأ يقضم الطماطة الأولى بشراهة وينثر عليها بعض الملح، قبل أن يكمل أكلها أخرج له السلمي الطماطة الثانية فقفز بكلتا قدميه فرحاً بها، ثم أخرج له الطماطة الثالثة فكاد أن يغشى عليه، استبشر السلمي خيراً بنتائج هذه العطية التي من ورائها بكل تأكيد جزية.

تفاعلات إيجابية أفرحت السلمي وجعلته يجزم بنجاح خطته في كسب سنيينة وإزالة الرواسب السلبية المزعجة بينهما، لكنه أحس بتأنيب ضمير خفي، هل الطماطة والملح إذا قدمت في مثل هذه الحالات تعتبر رشوة ؟ الله أعلم.

يا للفرحة، الآن ضمن أن سنيينة لن ينكر عليه ذهابه وإيابه من أمام بيت حبيبته شيخة، حتى لو وصل الأمر إلى المخاطبة الشفهية مع المزيونه، فهذا الأبكم لن يبلغ كحلة.

^١ الخشن.

بقي المنغص الثاني ، وهو الرقابة اللصيقة من أهل المشرق على بيت غرسة ،إنهم يحرمونه من توطيد الود الجديد الذي غيّر كثيراً من جفاف أحاسيسه تجاه الجنس الآخر ،هذه الأحاسيس التي جفت بعد الكشة الشهيرة من الحبيبة الغدارة اللولو يوم زواجها من الطهوري.

لدية رسالة رومانسية ،تعب في صياغتها ،يريد إيصالها هذا الصيف إلى شريحة ، وشلة المشرق يعيقون إيصالها ، لسوء الحظ نحن نعيش حالة المشرق الصيفي ، ما يعني أن الجلسة أول النهار قبل أن ترتفع حرارة الشمس ،وكذلك جلسة العصر بعد امتداد الظلال ، ستكون مقابل البيت ، إذن عليه أن يجد حل ، ليتمكن من التواصل مع العسل المصفى ،شريحة بنت غرسة النورية.

أمامه خياران ، إما العمل على طرد هؤلاء المتفرغين من هذا الموقع الاستراتيجي ، أو الوقوف أمام البيت في غير أوقات الذروة ،كوقت القيلولة ،أو الساعة الرابعة ليلا ، رغم مخالفة ذلك للعرف التواجدي العام في الحارة ،فربما يعرضه ذلك للشكوك والأقاويل وهو في غنى عن ذلك.

التعامل بالقوة أو المواجهة لتغيير هذا الواقع أمر غير وارد ،فهؤلاء شخصيات عامة لها تأثيرها القوي في الحارة ، والأرض العامة التي احتلوها والمسماة أرض المشرق تمثل حياة أو موت بالنسبة لهم ، لذا لابد من العمل السري المنضبط لطردهم ، هذا ما يفكر فيه السلمي.

خطرت له فكرة ،الأذية ،نعم الأذية لا سواها ،أذيتهم بالخفاء سوف تدفع هؤلاء المراقبين المحليين لترك المشرق والبحث عن مشرق آخر.

قصد حراج الفحم قلب حلة الفحم النابض ،في وقت سكون الناس،آخر الليل ،ووقت آخر الليل في حارة الشميسي تعني الساعة أربع غروبي أي ما يوافق التاسعة بالتوقيت الزوالي ، قام بجمع حتاتة الفحم (السنو) في ورقه ملفوفة على شكل مخروطي ومر على الخرابة بعد أن تأكد أن كلاب

الشلة في رحلة سياحية لحلة السبالة، جمع بقايا الشحم والعظام المتبقية من وجبة الكلاب التي يحضرها مغير يومياً من دكان والده، جمعها كلها في خرقة، حملها على ظهره إلى أن وصل المشراق، وبدأ تنفيذ العملية، نثر السنو على المكان الذي يجلسون فيه، وعلى الجدار الذي يتكئون عليه، أعقب ذلك بتوزيع الشحوم العفنة والعظام بنفس المكان الذي يجلسون فيه. عملية خطيرة وتوتر الأعصاب، لكنها تمت بنجاح وسرية، ومع ذلك تبقى النتائج غير مضمونة، وإن غداً لناظره لقريب، فغداً ستتضح الأمور. عاد إلى البيت ليغتسل من آثار العملية، صعد إلى الروشن استعداداً للمدرسة يوم غد.

يوم غد، صباح جميل، حمل حقيبته وتوجه إلى المدرسة، عبر الطريق الذي يمر من أمام بيت شيخة، كالعادة اليومية التي انتهجها منذ أول يوم دراسي، يريد أن يشرق صباحه برؤية وجهها الجميل الذي لا تغطيه إلا طبقة واحدة من الشيلة، تضعها حرجاً من كلام الناس، وأولهم كحلة.

يمر السلمي كل صباح ليستلم ابتسامتها الندية، التي تهديها له بصدق، وهي تقف مع بقية بنات الحارة في زاوية الحارة (العاير) حيث يجتمع بنات المدارس كل صباح، لابسات الثوب الأزرق والآبه¹، ليذهبن في موكب واحد إلى مدرسة شارع عسير للبنات، ولزاوية الحارة دور آخر في المساء (العاير)، ففيه يجتمع شباب الحارة الساقط آخر الليل.

لاحظ هذا الصباح أن البنات غيرن مكان التجمع، فقد وقفن في آخر الشارع عند دكان الحارة.

تساءل عن هروب البنات عن المكان المعتاد، لم يمر وقت طويل ليجد التفسير، فالتفسير يقول أن السبب هو هذه العفنة التي تعم أجواء الشارع بأكملها، عفنة الشحم واللحم والعظام المنتثر في المشراق أمام بيت غرسة جعلت الموقع مرتعاً للذباب واستراحة للققطط ومصدراً لبعث الروائح الكريهة.

¹ قطعة قماش بيضاء تلبس حول العنق والجزء العلوي للصدر تلبسها الطالبات (الباقة).

ظهرت النتائج الأولية للعملية السرية ، يبدو أنها سلبية ، فالمتضرر منها حتى الآن هم الغنادير ، وهذا مالا يرغبه ولم يكن في حسبانهم .
واصل مسيره إلى المدرسة وهو يتمنى أن يرى النتائج على الأعضاء الدائمين للمشراق ، عليهم يخلون المكان .

عاد إلى البيت بعد يوم دراسي لا جديد فيه ، وجد أخته وزوجها في المصباح ينتظرانه كالعادة للغداء ، إلا أنهما هذه المرة ينتظرانه بغضب واضح ، قام فايز بإخراج خط □ من جيبه واستعد لقراءته فبادرت هيلة بالطلب منه الانتظار حتى ينهي السلمي تناول غداءه ، فقد أتى متعباً من المدرسة .
أحس بالقلق من مضمون هذا الخط ، وخشي أن يكون مكروها قد أصاب والدته ، والدته التي افتقدها كثيراً هذه الأشهر ، قلقه مبرر فالخط لا يكتب غالباً ويُرسل إلا لأمر هام .
أصر على سماع ما كتب في الخط من فايز ، الذي يجيد القراءة أفضل منه بكثير ، قرأ فايز بصوت خافت :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المكرم ابن العم فايز العبد الكريم النباش حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدام المولى علينا وعليكم نعمة الإسلام

إن سألتوا عنا فنحن بخير وعافية أما بعد

وصل خطك الذي تخبرنا فيه أن السلمي عندكم ، ونقول لكم انه عندنا علم بروحته للرياض

الغشرون شايغه راع القت يوم يركب مع أبو زاحم راعي الوנית

وأعلمك عن نسيبك السلمي علم مهوب طيب الغشرون أهل الخب كلهم قاموا علينا الغشرون

وجلسونا شرع الغشرون من سواياه صبحية سفرته الغشرون نشبنا بهم .

¹ رسالة بريدية .

براك المنفلق يطالبنا بقيمة عنزه أم قذيلة اللي حلتها[□] السلمي بالقلب^{بُغِشُورُون} وحماره اللي أنهبل من الخنافس اللي محطوطة بأذنه^{بُغِشُورُون} والطهوري يبي كروة[□] الصبيان ألي نظفوا قلب مزرعته من السمار إلي دحا[□] به القلب^{بُغِشُورُون} وعبيد الهطق مدعي علينا بالضرر من رفسة حماره لكبده لأن السلمي هو اللي ربط ذنب الحمار بالمفتاح ويقول انه كيف^{بُغِشُورُون} وكل ما دفر الباب^{بُغِشُورُون} تل ذنب الحمار ورفسه^{بُغِشُورُون} وكل ها الخساير نبي نخصمهن من حق السلمي بورث أبوه^{بُغِشُورُون} علم ياصله ويتعداه.

هذا ونوصيكم بالصلاة^{بُغِشُورُون} الله الله بالصلاة^{بُغِشُورُون} واحرص على ردي الصلاة اللي عندك^{بُغِشُورُون} تراه يدور الرخص^{بُغِشُورُون} سلم لي على نفسك وبننت اخوي هيلة^{بُغِشُورُون} ومن عندنا تسلم عليكم أم السلمي والإخوان اللي بالخب كلهم^{بُغِشُورُون} وفي الختام نصلي على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.
المرسل دنقور سليمان النباش.

خجل السلمي بعد استماعه لقراءة الخط من ابن عمه ، وخجل بشكل أكبر من شقيقته الوحيدة وهي تقرب له صحن الغداء بحنان ، تردد قليلا ، ثم قال :

- ما بيّنته على ارتكابي كل هذه الأعمال ، أليس هو من يطلب مني بداعي أو بدون داعي البيئة في أمور كثر ظلمني فيها ، عليه أن يحضر البيئة.

أجابه فايز وهو يهم بالذهاب للقليلة :

- البيئة يا السلمي بينك وبين ربك ، إن كان انك مسويها ، وإلا لا ، والجماعة اخذوا حقهم من تحت يد الشيخ ، وانت لا تكررها مرة ثانية ، ثم ذهب للفراش.

¹ رماها.
² اجرة.
³ ملا.

لم ينم السلمي تلك القيلولة، فاشتياقه لوالدته أطار النوم من عينه حتى أذن لصلاة العصر، توضأ ثم ذهب إلى المسجد.
 في عودته وجد مغير يزبرق[□] دراجته في ظلال بيتهم، طلب منه المساعدة فرحب وساعده إلى أن زبرق عمداً الدراجة كلها.
 اتجه بعدها إلى ظلال العصر المقابل لبيت غرسة، أم حبيبته ليطمئن ويستمتع بنجاح خطته الثانية الخاصة بطرد المراقبين المحليين، بعد نجاح خطته الأولى المسماة خطة الطماطم التي أزال التوت مع سنيّة، وجعل الوقوف بترقب عند باب شيخة وعند بنات الخباز أمر لا خطورة فيه.

يبدو أن الخطة الثانية لم تتجح، المنظر يوحي بذلك، هناك اثنان من أعضاء مجلس ظلال العصر المسمى مشراق الشتاء متواجدون، متيح ولعل، أقبل عليهما ليهوله ما يرى، الاثنان قد مدوا سيقان أرجلهم في نفس الموقع الذي أُلقي فيه الشحم والعظم ليلة البارحة ولم يحركا ساكناً، لا، للإنصاف، قاما بإبعاد الشحوم والعظام عن يمينهما، مسافة نصف متر وجلسا، الذباب والعفنة تضاعفت مع الوقت وأهل الشمع راضين، لم يتخذوا أي قرار بتغيير موقع ظلال العصر، آه، لقد فشلت الخطة فشلاً ذريعاً.
 اكتشف الداهية لعل من وضع العظام والشحم والسنو، يا للمصيبة، أبلغ جميع أهل حلة الفحم به، نعم، لقد اكتشفه، المعلومات العميقة، الواقعية، والمنطقية، والخطيرة، التي اكتشفها لعل وأدلى بها تقول: إن الفاعل من الجن، يريد من جماعة المشراق ترك الساحة له، ليتلبس بمن يريد من سكان الحلة، لكن هيهات، فلسان حالهم يقول سنجلس مهما فعل الجني، سيتحملون العفنة والذباب الذي تسبب بها هذا الجني بصدر رحب.

¹ يزبرق بلف الوان مصنوعه من البلاستيك حسب الوان النادي المفضل.

متيح رجل عملي، توجه إلى البلدية ،يبلّغهم أن الكلاب هي من نقلت العظام والشحم إلى المشراق ،ويطالب البلدية بدس السم لها ،لإراحة الحارة من أذاها فالرجل رأى بأم عينه ،طراح ،وجراح ،ونباح ،وعصمه ،يأكلون وجبتهم ويستلقون في المشراق ليلة البارحة، صاحب الشماع لا يكذب ،على البلدية تنفيذ الحكم بإعدام الكلاب الأربعة، لم يعد من البلدية إلا والمندوب معه ،يحمل كيسا فيه سم ،بينما يحمل متيح كيساً مصنوعاً من الخيش فيه عظام من مجزرة المقيبرة، توجهها إلى الخرابة ودسا السم بالعظم، أتت الكلاب بعد الظهر جائعة لتجد العظام الطازجة ،عظام خرفان ذبحت اليوم ،عرمشت الكلاب العظام لتموت بعدها مباشرة ،ظلماً وعدواناً ،تسبب السلمي في ظلمها، واعتدى عليها متيح ومندوب البلدية.

خيم الحزن على أبناء حلة الفحم للإبادة الجماعية لرفقائهم في الخرابة، ومعاونيهم في مضاربة عيال حلة السبالة ،إنه يوم حزين حقاً. فشلت الخطة فشلاً ذريعاً، فقد أربعة كلاب وبقي أعضاء المشراق الثلاثة في مكانهم آمنين مطمئنين ،هذا يعني اقتصار شوفة شيخة على وقت ذهابها إلى المدرسة فقط، أما اختلاق الأعذار للتلاقي فلن تجدي نفعاً.

عم كحلة ،المدعو سرور ،زوج غرسة ،يتسبح بها المصباح ،ويأكل ويتن ،ويسمع اسطوانات نعيمى فون طول النهار ،ولم يتقبل السلمي وهو مريض زائراً يطلب العلاج ،فكيف به وهو سليم !! وما يزيد الطين بلة،تواجد كحلة هذه الأيام بساعات طويلة عند عمه، لا هم له إلا الاستمتاع بالنظر لجمال شيخة المميز جداً وتجاذب الأحاديث معها ،وشرب الشاي.

رغم عجزه عن التواصل مع المعشوقة الجميلة ،إلا أن الأيام مرت سريعة في حلة الفحم ،ممتعة بالأحاسيس والمشاعر التي تولدت لديه ،غنج شيخة وصدقها وجمالها الأخاذ يطربه، خفة دم بنت الخباز ،صديقة مغيبر، ، ولقاءاتها غيرالمبرمجة ،وايحاءاتها، وإشاراتنا عند الباب وفوق السطح

، وكتابتها الكاريكاتورية له بدون علم مغير ، عن تخلف أهل الحارة
لبساً وغذاء ولهجة ، كلها تضحكه ، لا غرابة في انطباعات زكية ، فمن
أتى من مدينة جدة إلى حارة الشميسي فسيجد الفرق في كل شيء.

ما أحلى الشميسي ، كرة ، راديو ، وناسة مدرسية ، أيام ممتعه ، لم يصدق
معها السلمي أستاذه وهو يكتب جدول مواعيد الاختبار على السبورة
، ويطلب من الطلبة كتابته ، معقول ، السنة الدراسية شارفت على الانتهاء
بهذه السرعة ؟!

خرج الطلبة في ذلك اليوم الدراسي قبل الموعد المحدد للانصراف
، استعداداً ليوم السبت المهيّب ، يوم الامتحان النهائي ، يوم فيه يكرم المرء أو
يهان.

أول المواد التي سيختبر بها الطالب ، حساب ، وخط وإملاء ، الحساب المادة
الصعبة على قليلي الذكاء.

وهم في طريق العودة إلى المنازل ، نصح السلمي زميليه مغير وكحلة
بمضاعفة الجهد للمذاكرة ، كلها سويغات متبقية ، ما تبقى من يوم
الخميس ويوم الجمعة ثم يحل الاختبار ، هز الرفيقان رأسيهما استخفافاً
بالنصيحة ليتعمد كحلة بعدها تغيير الموضوع إلى موضوع الجني الذي قصد
أذية رفاق المشرق ، والخوف الذي بدا يسود الحارة عن أصل هذه العظام
وهل يسمح لهم برميها بالخرابة ، أم دفنها ، أم تركها للشمس والهواء.

عبرت الامتحانات وظهرت النتائج ، كان السلمي الأول على فصول الصف
الرابع ، كل فصل لا يقل عدد طلابه عن خمسة وعشرين طالباً ، مغير
وكحلة نجحا بالقوة ، المهم أنهما نجحا.

رقلة وطقطق ،ينتظران معرفة النتائج عبر إذاعة الأسماء عن طريق الراديو ،فشهادة السنة السادسة تعتبر شهادة تخرج.

عرف جميع من في الحارة صغاراً وكباراً، نساء ورجالاً ،بتفوق السلمي، وأصبحت النظرة له مختلفة، زاد الإعجاب به من الجميع، من جماعة المسجد لحفاظه على الصلاة، ومن قبل شلة الحارة للقيادة الحكيمة لهم في المعركة الحاسمة بين حلة السبالة وحلة الفحم والتي أبلى فيها الكلاب بلاء حسناً بتوجيهات ملاكها حتى الانتصار الذي أنهى حقبة من زمن الذل والهوان لعيال حلة الفحم.

إعجاب خاص جداً راح يلمسه من الجنس الناعم ،فهاهن يحرصن على الوقوف أمام النوافذ ،والطرم[□] ،وأحياناً من الأبواب ،بمجرد مرور السلمي أمام البيت، إعجاب لم يأتي بسهولة، تعب كثيراً ليصنعه في قلوبهن، تعامل رومانسياً أثناء لقاءاته غيرالمبرمجة لهن عند الخباز أو عند الدكان ،الانتظار الطويل قبل ذهابهن إلى المدرسة ليلقي عليهن تحية الصباح ،فإذا لقيت تحيته الأولى لدى البنت قبولاً فسيمدح ،والغواني يغرهن الشتاء، يتجمل لهن، حريص على عدم إحراجهن، يختار الوقت المناسب للنظرة ،والوقت الأنسب للبسة ،والوقت المضمون للكلمة، يجيد لعبة الوقت المناسب والحرص المعقول باحترافية.

توج تلك الإبداعات بنجاح متميز، الأول على المدرسة كمجموع درجات ،والأول على طلبة الصف الرابع قاطبة.

نجومية ولقب جعلت شيخة تخرق الحواجز بالحارة ،وأمام أعين كحلة ،وبغطوة خفيفة ،تتادي السلمي ،بحجة تنفيذ أوامر والدتها غرسة بإعطائه ،سقاء[□] معباً باللبن الرايب ،لأخته هيلة.

¹ جمع طرمة وهي صندوق خشبي فيه فتحات يوضع فوق الباب للتأكد من الطارق مشابه لدور العين السحريه .
² اناء معدني يوضع فيه اللبن.

عند اقترابه منها أبدى خجلاً مصطنعاً للتمويه على كحلة، سلّمتة سقاء اللبن، ورسالة شفوية مفادها، الموعد الليلة بعد المغرب عند باب الحوش الخلفي، لم يستفسر عنه فلديه فكرة كاملة عن بيت غرسة الذي يتميز بكونه على شارعين متظاهرين، الشارع الأساس جهة حلة الفحم، والشارع الثاني على حيالة¹ المكبة، وهي الحيالة التي يرمي فيها جزاري شارع الشميسي مخلفات محلاتهم، حيالة شبه مهجورة العبور لقلة نظافتها. استلم سقاء اللبن، وحفظ الرسالة عن ظهر قلب، وبكل جرأة مر من أمام كحلة، الذي احتقن بشكل فاضح، وأصبحت عيونه حمراء من الغضب على هذا اللقاء العلني لشيخة بنت زوجة عمه مع ها الخبي.

بقي على الموعد وقت العصر كله، يا الله 00، وكثيراً من وقت الظهر، يا للزجر 00، ألا يحق لي أن تختفي يا شمس بسرعة هذا اليوم !!
خواطر في نفسه تعبّر عن دوافع جياشة للقاء الشيخة النورية. اغتسل بصابون، نوع يسمى صابونة أم عنز، وغسل ثوبه وطاقيته وغترته بالصابونة ذاتها، ونشرهن على السطح، استرخى مضطجعا في أحد أركان الروشن وعليه ملابسه الداخلية، وهو يستمع لإذاعة للكويت وهي تبث الفنان عبد اللطيف الكويتي في أغنية:
فز قلبي، فز قلبي.

نشفت الملابس، رفع أذان المغرب، صلى الرجل، وجرى سريعا إلى الحيالة. وصل موقع الأحباب ولكنه لم يجد أحدا عند الباب. ذهب وإياب، وذهب وإياب أمام الباب، ولا أحد. ظلام الليل تمكّن من النهار، والحيالة أظلمت، وخلت من المارة، وفجأة شاهد من بعيد عربية وحماراً وعليها صغير أسمر، خاف، شك أنه كحلة، التصق بالجدار، وعندما اقتربت، هذا فنييس أخو كحلة يمتطي عربية والده

¹ كانت قبل سنين مزرعة صغيرة جدا واصبحت مهجورة وسط الأحياء.

،يمشي بسرعة 60 كيلو بالساعة ، طرِف غترته كجناحي طائر ،
يضرب الحمار بالعصا، يريد منه السيربالسرعة القصوى.
توارى عن الأنظار بسرعة ،وبقي غبار عربته، جر نفسا عميقا وهو يحدث
نفسه قائلاً:

-الله يروحك يا فنيس مثل ما روعتني ،لغنبو ابليسك صايرن (عكوز
بكوز في كل مكان مركوز) □ ،والله أن فيك بلا على هالسرعة.
سمع صرير باب الحوش وهو يُفتح، قُرْب ليتحقق ،إذا بها الشيخة
،وكانها عروس قد تزينت بأجمل زينة ،كحل وبودر وشعر منثور،ورائحة
طيب زكية ،وأنفاس ترد الروح.
ارتبك السلمي قليلا ،ثم سلّم قائلاً:

-قوة شيخة، اممممممم ،قصدي الله بالخير يا شيخة.
قالت وهي مبتسمة من كلامه:
-تسلّم على شيبان أنت ،قوة ،الله بالخير ،إنس سلام الخب ،أنت
بالرياض ،وشلونك يا شيخة، كيف حالك يا شيخة ،هذا سلام الرياض؟
قال وهو يعلوه الخجل:

-وشلونك يا حبيبتي شيخة ؟
-إيه هذا الحكي، بخير الله يسلمك ،ومبروك النجاح يا الأول بالمدرسة.
-الله يبارك فيك ،وانتي بعد ،مبروك النجاح.
-الله يبارك فيك يا السلمي، هذي هدية نجاحك ،طاقية زري، مطررتها أنا
بنفسي لك ،لا تلبسها إلا للمدرسة ،واذا جيت لمي بس.

أخذ الطاقية وقد طارت روحه من السعادة ،فالهدية من الغالين ثقافة لا
يعرف أبجدياتها، وما زاد من سعادته نوع الهدية ،فالطاقية الزري هي الموضة
الشبابية التي رفض أن يشتريها له زوج أخته فايز ،بحجة أنها ملبوس السمر،
وضعت شيخة يدها على يد السلمي غير المسسكة بالطاقية ،أحس بجو

¹ مثل يطلق على من يتواجد في كل الأماكن.

شاعري أقرب إلى الخيال منه للحقيقة، قلبت كف يده لتلتقي الراحتين
،يدها ترتجف ،باردة ،عينها إلى الأرض ،وضع يده تحت ذقنها يريد أن
ترفع رأسها إلى الأعلى قائلاً لها:

-ارفعي رأسك ،انت تدورين شي بالأرض.

ضحكت بصوت مثير، وخجل ساحر.

قطع هذا الجو الشاعري الرومانسي الرائع صوت أجش أتى من داخل البيت:

-شيخة وين أنتي ،عطينا العشا ،ذبحنا الجوع، إنه زوج أمها.

أمسكت الباب باليد اليمنى وكشف السلمي باليد اليسرى وقالت له:

-رح، رح بسرعة ،الكور □ جوعان.

-عساك ما تحدر عشاك ياسرور، مثل ما نكدت علي، قالها وهو يشق

طريقه وسط الحياالة عائداً إلى روشنه.

استلقى على ظهره بلا فراش ،وبلا مخدة ،راح يسترجع اللقاء ثانية بثانية،

المباركة، الهدية ،خفة الدم ،الطهارة الجسدية ،الطهارة الروحية.

¹ لقب يطلق على الرجل شديد السمار.

-الجولة الثالثة عشرة -

حلت الإجازة السنوية المدرسية ،الإجازة الأولى التي يعيشها السلمي في الرياض ، لا يعرف ماذا عليه أن يعمل ، عَرَض عليه فايز أن يزور الخب في هذه العطلة والسلام على والدته ، لكنه رفض بشدة وتوتر وقال:
-أمي بخير وإن شاء الله تـجي هي للرياض ،أما الخب لا يطري عليك إني أطبه مره ثانية ،الله يغنيني عنه.
رضخ فايز لرغبة السلمي ، واقتـرح عليه خياراً آخر ،وهو مشاركته في أعمال دكانه ليكتسب الخبرة في البيع والشراء "والحركة فيها بركة".
وافق السلمي بترحاب ،واتفقا على أن يكون يوم غد هو اليوم الأول لمباشرة العمل.

أصبحنا وأصبح الملك لله ،لازمَ السلمي فايز جل الوقت أثناء الذهاب للصلاة ،والإفطار ،والمشي ،وأخيراً في المحل.
هناك أوقات مستثناة ، يؤمن فيها بعض الحاجيات المنزلية.
العمل الصيفي ،هذه السنة الحسنة ،التي سنّها السلمي ،قلده فيها بقية الشلة ، بعد أن كانوا يشاركون آبائهم في الأعمال بشكل غير مستمر.

كحلة بدأ يسابق أخاه فريس على المكدة على عربة الحمار ،أراح والده كثيراً.

رقلة أصبح يتواجد بمقهى والده ويلبي طلبات الزبائن ، يعمل كذلك كمحصل مالي لجماهير السينما في صالة المقهى الداخلية.
مغير التحق بدورة تدريبية مكثفة تحت إشراف والده ،منهجها كيف تدس العظم باللحم دون أن يشعر الزبون.

أما طقطق فكافه والده ببيع المناديل في سوق البطحاء لضمان إبعاده عن ما يدور مع الزبونات الحسان.

أصبح الجميع لا يتقابلون إلا مساءً، مرهقين، جيوبهم مليئة بالمال، يذهبون لمقهى أبو رقلة، يأكلون الكبسة و المعرق، ويتفرجون على نصف فيلم وينامون أثناء النصف الثاني، ثم يعودون لمنازلهم الساعة الرابعة من الليل (بالتوقيت الغربي).

معهم معهم، عليهم عليهم، هذا هو حال سنيّة الأبكم، رأى جميع الشلة يشتغلون في العطلة، قرر أن يشتغل مثلهم، بالرغم من أنه لا يذهب إلى المدرسة أصلاً، فالسنة الدراسية بالنسبة له كلها عطلة، انتسب إلى بائعي "حراج الرخوم"، وهو حراج يقع شرق المقيبرة، يباع فيه سقط المتاع، اختار سنيّة تجارة بيع الأكوات المستعملة، الوقت حار، و اب اللهاب قد حل، وأخونا في الله يرمي شماغه على كتفه ويعرض الأكوات في بسطته، لا، وما يدعوك إلى الدهشة والضحك معا أنها أكوات طويلة (بالطو)، إذا رأيته حسبتها مخلفات الجيش الألماني المهزوم في الحرب العالمية الثانية أو أكوات أموات سيبريا.

من مر عليه من الزبائن حمد الله على العقل، ثم واصل مسيره، لا زبائن تشتري، ولا تسوم، انتهى الصيف كله وهو يحمل أكواته من البيت إلى حراج الرخوم صباحاً ويعود بها ظهراً، يعاود الكرة عصباً حتى المغرب، ولا فائدة، تجارة بائرة.

لم تمض أيام طويلة على السلمي بائعاً حتى بدأ يفكر في الاستقلالية التجارية، يريد أن يكون لديه دخله الخاص، أحب السلمي مهنة البيع والشراء من أول نظرة، كانت صور بائعي البسطة بقبصرية الحساوية وقبصرية سوق السدرة راسخة في ذهنه، يوم رآهم لأول مرة عندما دخل السوق لشراء الأدوات المدرسية.

اقترح على زوج أخته وداعمه الأول مادياً ومعنوياً فايز أن يشتري له بضاعة كالبضائع التي يتاجر بها الباعة الصغار ،وييسط بها على الأرض ،أمشاط، كحل، ديرم ،أزارير، يريد أن يعتمد على كسب يمينه ،يريد أن يشتري لأمه قلادة هندية وكنادر أم وردة ،يريد أن يشتري لحبيبته شيخة هدية تليق بجمالها الأخاذ ، وافقه فايز بحماسة وتشجيع.

بعد وقت قصير تحولت الفكرة إلى واقع ،بدأ يبسط في سوق الحساوية ، ينقل بعض الأحيان الى سوق السدرة ،ومع مرور الايام صار يقضي جل وقته في عرض تجارته في سوق السدرة ،فالنساء هناك كُثر، بعكس سوق الحساوية.

تطوير أسلوب البيع مطلب، فهو لن يظل يبيع مفترشا الأرض، اشترى صندوقاً خشبياً، ثبت بطرفيه سيراً من المطاط، يعلق على الرقبة، يحتوي على بضاعة البسطة نفسها ، والاختلاف هنا في موقع البيع، فبياع الصندوق متجول، أما البسطة فموقعها ثابت.

يتجول وينادي بأعلى صوته:

إبر خياطة، أمشاط، كحل ،هذه تسوم ولا تشتري ،وتلك تشتري دون أن تسوم ،هذه تماكس بعد تدقيق وتمحيص للبضاعة .

يوماً بعد يوم صار يتجاوز الموزع ويشتري بضاعته البسيطة من المورد الرئيسي ،تضاعفت أرباحه ، ما كان يأخذه الموزع منه صار يربحه لنفسه.

مضت أيام الإجازة بشكل سريع ،وتجارة السلمي تربح كثيراً، وقلبه يتشرب حب شيخة الصادق يوماً بعد يوم.

اشترى ملابس المدرسة هذه السنة بنفسه ومن حسابه الخاص.

اشترى طاقية زري ،وكنادر صاروخ ،وكبك ،دون أخذ رأي أحد.

أصبح الرابع الأول في حلة الفحم ،وهدية شيخة لم ينسها ،لكنه أخر شراءها لتردده في تحديد نوع الهدية.

ذهب مستحيل، سيسأل أهلها (من أين لك هذا).
 ملابس، احتمال قوي بأن يقولوا لم نرها عليك من قبل، من أين أتيت بها
 ومتى اشتريتها.
 إذن، لا أفضل من الطيب، دهن العود هو الغالي ويصعب السؤال عنه من قبل
 المقربين لها.
 اشترى نصف تولة دهن عود جيد بقيمة 15 ريال، وبريال ونصف كليجا □
 هدية لأمها غرسة، فالتقرب لأم شيخة وكسب ودها يزيد من اتصاله
 بشيخة وسيطمئنها أكثر.
 ادعى أمام أخته أن سرور طلب منه أكثر من مرة كليجا واقتراح على أخته
 أن تُرسل الكليجا باسمها لغرسة، فلطالما أرسلت لهم حليباً، من إنتاج
 عنزتها، وهو على استعداد لإيصال الكليجا، (الآن الآن وليس غداً).
 وافقت هيلة بلا تردد قائلة:
 -شور طيب، اي والله يا السلمي انك صادق، مهيب تقصر معنا، اطمر
 يا السلمي عطهم الكليجا.
 طمر السلمي بسرعة ومعه الكليجا، وضعها في وعاء مفتوح.
 تعمد أن يمر أمام جماعة المشراق ويلفت النظر إلى أن بيت النباش يرتبط
 ببيت غرسة بعلاقات اجتماعية وتموينية.
 طرق باب بيت غرسة، ردت صاحبة الصوت الساحر الجميل:
 -من عند الباب؟
 أجاب وهو يبتسم لنفسه: أنا السلمي.
 فتح الباب قليلاً، وبصوت خافت:
 -وش تبي الله يقلعك؟، رجل أُمي بالمصباح يستمع للبكم.
 كان صوت البكم مسموعاً والفنان ناصر بن حيان يغني:
 آه، واعلة في ضامري داخلية علة روتني للطبيب الرخاوي

¹ حلوى شعبية تعمل على شكل دائري منفوخ.

بكل ثقة قال لها :

- ما عليك منه طربان الرجال ، عساهم يودونه للرخاوي ، المهم ، أنا جايب لكم كليجا من اختي لأمك.

ثم أكمل بصوت خافت ما جاء لأجله :

- وشريت لك هديه أعطيك إياه عقب المغرب عند باب الحوش الشمالي ،
قولي تم.

ابتسمت وقالت :

- وش اللي تم ما تم ، نبيع ونشري هنا ؟ ،

هنا صدر صوت تحركات سرور من الداخل ، يبحث عن اسطوانة ثانية
وينادي :

- شيخة ، شيخة ، ووجع ، وين كرتون اسطوانات أبو حمد ؟

خافت وقطعت حديثها مرددة :

- طيب طيب يا عم .

ثم وجهت كلامها للسلمي :

- خلاص يا السلمي وعدنا عقب المغرب ، بس رح هالحين ، والله أن شافك هالكور ، أن يكسر هالكليجا على رأسك ، ثم أغلقت الباب على عجل .
ما أن استدار السلمي من عتبة الباب ، إلا وكحلة بجانبه ، ينظر إليه بتعجب ،
مستغرباً وجود السلمي عند باب عمه سرور ، ما دعاه إلى الاستفسار
الغاضب :

- وش عندك يا السلمي ؟

أجاب السلمي بسرعة :

- أبدو والله ، اختي مرسلة كليجا لام شيخة ، كليجا عليها دبس لا تفوتك
يا كحلة .

- لا يا شيخ ، عليها دبس يا السلمي !!

قال ذلك وهو يركل الباب بقدمه ويردد بصوت أجش :

-افتحوا ، افتحوا ، عسى ما يأكلونها عني.

استعد السلمي لصلاة المغرب وكأنه يستعد لصلاة الجمعة ، هذا ما قالت له أخته عندما رآته يعتني بنفسه ملبساً ونظافة والذي بدوره أجابها بعبارة واحدة:

-سلام عليكم.

بعد الصلاة قصد الحيالة وسلك طريقاً يضمن عند عبوره عدم التقائه بالشلّة ، حتى وان كان هذا الطريق أطول مسافة ، لعبور هذا الطريق الآمن اضطر أن يستدير من خلف قسم شرطة المنطقة الخامسة.

وصل الحيالة ، لم يجد أحداً عند باب الحوش الخلفي بانتظاره ، صار يمشي ذهاباً وإياباً ، يصل إلى شارع الشميسي ثم ويعود ، وكأنه يقيس عدد أمتار طول البراحة[□] ، عينه على الباب يأمل أن يسمع صرير باب الحوش ، وهي الإشارة بأنه يُفتح ، أخيراً فُتح الباب ، ظهر القمر المنير ، عليه ثوب كحلي ، التسريحة شعر منثور ، العطر فوّاح ، كان الضوء خافتاً إلا عندما ينظر لوجهها ، يرى شعاعاً من نوع آخر.

بصوت حنون همس لها :

-هلا والله بقمر حلة الفحم.

ردت بخجل :

- هلا بمهبول الخبوب.

وباحترافية رومانسية قال وهو ينظر لوجهها : يا زينك يا شيخة.

طاطات رأسها بحياء حقيقي.

أدخل يده في جيبه وأخرج دهن العود وقال :

-دهن عود ، هدية لعود الموز.

نظرت إلى الهدية بازدراء وقالت :

¹ قطعة أرض فضاء.

-وشو ذا ، عجوز أنا عندك ، جايب لي دهن عود يا القروي ، الناس تهدي
قوارير عطر ، وأنت إلى هاالحين بدهن العود؟.

استشاط غضباً وهي تسخر من هديته والتي تقدر قيمتها بأكثر من 15
ريال ، أعاد دهن العود إلى جيبه وهو يقول:

-من زين هديتك عاد ، تراك مهديتني طاقية ، بزر □ أنا عندك ؟ ، وبعدين
قيمة هديتك نصف ريال وهديتي ب 15 ريال.

أحست أنها أغضبته ، ضربته على قفصه الصدري بجمع يدها وهي تتغنج
صوتا وحركة:

-أمزح معك ، يا شينك ياالسلمي ، ما ينمزح معك ، عطني هديتي ، والا أنت
تحسفت علي بال 15 ريال؟

غمرته سعادة مفرطة وهو يمسك يدها التي لم ترفعها عن قفصه الصدري
، أخرج بيده الأخرى من جيبه دهن العود وهو يقول:

-سمي يا بعد خب النباش كله ، وأهله على بكرة أبيهم ، ثم توقف للحظة
واستطرد: إلا أمي ، وضحك كلاهما ببراءة وصدق.

جو رومانسي ولا أروع ، رغم أصوات كلاب الحiale البعيدة عنهما بعض
الشيء ، في غمرة هذا الجو الرائع ، جاءت قاصمة الظهر ، صوت سرور من
الداخل وهو ينعق:

شيخة وين المرقوق ذبحنا الجوع.

ثم تبع الطلب برفع صوته مررداً مع البكم أغنية:

جتني هدية فلة كاملة بالبحر الأحمر بالملزيا سلام

وسرور لديه عادة منذ كان صغيرا ، إذا جاء وقت انتظار المرقوق ، رفع
صوته بالغناء وطق إصبعه.

¹ الطفل الذي لم يبلغ.

-اففففففف، قالتها شيخه بعصبية ،واعقبتها بالطلب من السلمي المغادرة فوراً داعية بينها وبين نفسها ،ان الله يريحها من سرور ،هذا العاقل عن العمل ،المتفرغ فقط لإصدار الأوامر ،الطبخ والنفخ.

قبل المغادرة استفسر السلمي:

-من اللي معطي سرور فلة بالملز هدية؟

أجابته شيخه وهي تغلق الباب:

-هذي أغنيه محمد راشد الرفاعي يا قروي.

-طيب وراكم مشغلينها ها الوقت يا شويخة ،تبون أهديكم فلة؟ هذا اذا حجة البقر على قرونها.

ثم استدار بسرعة لتدارك يد شيخه التي هوت عليه لعبارة الأخيرة. غادر السلمي البراحة منتعشاً مسروراً ، توجه مباشرة إلى مقهى أبو رقلة ، الشلة في هذا الوقت متواجدون هناك ،مغيروكحلة أدمنا تدخين الشيشة بشكل يومي ووجودهما بالمقهى شبه مؤكد.

سلم عليهم بسلام كسلام العيد ،وهو الذي كان معهم في هذا الصباح ،طلب لهم شرابا جديدا نزل للأسواق حديثاً ، اسمه "كراش" ،مذاقه أقرب للكندادراي منه إلى الببسي.

ما أسرع أن تتقضي الأيام الجميلة ، هذا هو حال أول أجازة مدرسية قضاها السلمي في حلة الفحم.

-الجولة الرابعة عشرة -

اليوم السبت أول أيام السنة الدراسية الثانية للسلمي في طلب العلم ، الساعة السابعة صباحاً ، طوابير الطلبة مصطفة بفناء المدرسة بشكل شبه منظم ، المراقب يسمي الفصل أولاً ثم ينادي الطلبة الذين سيتلقون الدروس فيه خلال العام.

ظهر اسم السلمي في فصل خامس (ج) ، وهو الفصل المثالي من حيث العناصر الطلابية المميزة ، أما مغيبر وكحلة فتم إلحاقهم بفصل خامس (أ) ، وهو ما يعني أنهما مازالا محسوبين ضمن المشاغبين الكسالى .
رقلة وطقطق كبرت رؤوسهم ، أسماؤهم أعلنت بالراديو وانتقلوا إلى المرحلة المتوسطة.

اكتمل جلوس طلبة خامس (ج) في الفصل ، لاحظ السلمي أن أغلبهم صغار السن ، هو تجاوز الخامسة عشر من عمره وأعمار زملائه بين العشر سنوات إلى الاثنى عشر ، وضعه بينهم نشاز .
نفسياً هو غير متقبل لهذا الفصل ، ولكن ما يُهَوِّن الأمر عليه أنه سيضمن منصب العريف على هؤلاء الصغار فالمؤهلات المطلوبة لذلك متوفرة لديه .

الدرس الأول لليوم الأول عادة ما يكون للمدرس رائد الفصل ، ورائد الفصل هو المدرس الذي توكل إليه مسؤولية الفصل الإدارية عند الإدارة ، رصد درجات ، حل مشاكل ، ترتيبات أثناء عقد الفعاليات .
دخل عليهم الأستاذ ، مفاجأة غير سارة ، رائد فصل خامس (ج) هو الأستاذ رخيم أبو رزة .

قاموا جميعاً تحية للأستاذ، وقفوا حتى أذن لهم بالجلوس، الفارق الجسمي للسلمي عن بقية الطلبة واضح للعيان وقوفاً وجلساً، نظر أبو رزة إلى السلمي وقال:

-هذا أنت يا أبو غتيرة، وش جابك بفصلي، ورا ما قعدوك عند ربك كحلة ومغير؟

رد بأسرع مما كان الأستاذ يتوقع :

-ودي والله إني معهم يا أستاذ.

لم يعجب أبو رزة عدم تأثر السلمي من الاستهزاء به فقال :

-هه أنثربس، ثم وجه كلامه للطلبة جميعاً قائلاً:

اخترت لكم طالبين، الطالب نهير والطالب ثعل ثعل اختاروا منهم يصير عريف الفصل، اللي يبي ثعل يرفع يده.

يا للعجب، سيموت من الجن ألف، عملية انتخابية يمارسها الأستاذ أبو رزة، أبو شماغ؟

رفع ما يقارب النصف أيديهم بالموافقة على ثعل.

أحصى العدد ثم أنزلوا أيديهم.

طالب الأستاذ الراغبين في اختيار نهير عريفاً برفع أيديهم أيضاً، رفع أقل من النصف أيديهم.

بعد مقارنة الأعداد، حُسمت الأغلبية لثعل، وصدرت أوامر الأستاذ أبو رزة بتعيينه عريفاً دائماً حتى نهاية السنة الدراسية.

هناك صوت واحد امتنع عن التصويت وهو السلمي، عندما سأل أبو رزة عن السبب، بدا غاضباً لتجاهل ترشيحه مع المرشحين الآخرين، فهو الأول على صفوف رابع، وأطولهم قامة، وأكبرهم سناً، وأفهمهم شغباً، فالمرشحان ثعل ونهير طيبان لدرجة السداجة.

لم يكثرث المدرس للاحتجاج.

سارت الأيام الأولى على هذه الحال، ثعلب عريفاً، والمدرس أبو رزة ينتظر أي هفوة من السلمي ليحاسبه عليها.

افتقد السلمي المرح في هذا الفصل البارد، افتقد ذلك الشغب في العام الماضي، فلا هم لهؤلاء الطلاب المهذبين إلا العلم والدرجات، يأتون صباحاً مرتبين نظيفين وجوههم لها بريق مما يضعونه عليها من الكريم، يتوجهون إلى كراسيهم بحرص، طرائفهم ليس لها طعم.

غدا الخميس، اليوم الأخير في الأسبوع ويجب أن يتشج هذا اليوم بالاستهتار والأنس، عل هؤلاء الباردين أن يتحركوا من ثقل دمهم.

-أستاذ أبو رزة 00أبو شماغ مائل، أبو أرجل كبيرة 00لم تجعلني العريف 00لا تريدني في فصلك 00إذن سنرى.

خواطر تداخلت في ذهن السلمي وهو في الروشن يحل واجبه المدرسي، بعدها حك رأسه، والسلمي عندما يحك رأسه، فهذا دلالة على أنه يبحث عن حيلة ما، انتقام لجرح، رد اعتبار لإهانة سابقة أو إساءة لكبرياء. بعد الحكمة، ركض إلى المطبخ، فتح علبة الحبر □ الأحمر المطحون، ملأ منه صرة صغيرة، وضعه في جيبه ثم استرخى في الروشن يستمع إلى هيئة الإذاعة البريطانية قبل أن ينام، وتحديدًا برنامج أقوال الفلاسفة، الذي يأتي بعد صلاة العشاء.

طلعت شمس يوم الخميس، ذهب لمدرسته كالعادة، حصة الأستاذ أبو رزة هي الحصة الرابعة، زمانها بعد الفسحة الأولى مباشرة، تمكن في هذا الوقت وأثناء غياب الطلبة عن الفصل في الفسحة، من وضع الحبر المطحون فوق الريش الثلاث للمروحة، المعلقة بالسقف، على كل ريشة حفنة حبر.

بدأت الحصة الرابعة، وهم في انتظار المدرس، حرص السلمي على صرف انتباه الطلبة عن تشغيل المروحة بالنظر من النافذة الشرقية، التي تطل على

بيت مهجور، شاع بالحارة أنه مسكون بالجن ، لذلك لم يُستأجر ولم يُشتر من سنيين.

جاء الأستاذ أبو رزة ، كان واضحاً أنه يشعر بحرارة الطقس من شمس الضحى ، وضع دفتر التحضير على الكرسي الخاص به ، أغلق الباب بيده اليسرى ، وبيده اليمنى أدار مفتاح تشغيل المروحة ، ومن سوء حظه أنه ثبت المفتاح على رقم واحد ، الدرجة القصوى للسرعة ، خلال ثوان هبت رياح الحبحر على الفصل بالكامل ، فذب الذعر بين طلبة الفصل ، فمنه من يصيح ، و منهم يكح ، ومنهم من يعطس ، وبعضهم أصابه ضيق بالتنفس ، ومنهم من لم يستطع فتح عينيه وهذا هو حال الأستاذ أبو رزة الذي سارع إلى فتح الباب وهو يمسح بشماغه الحبحر عن وجهه ، طلب من الطلبة الخروج عن الفصل فوراً ، وفي لحظة أصبح الجميع في الموزع المقابل لباب الفصل ، باستثناء نهير الذي يبدو أن لديه ربو ولم يستطع تحمل أجواء الحبحر المنثور في هواء الفصل فأغمي عليه.

خاف السلمي من عواقب فعلته بعد أن رأى نهير بهذا الشكل ، أسرع إلى إقفال مفتاح المروحة ، توجه بعدها إلى نهير محاولاً حمله خارج الفصل ، اذ بالأستاذ أبو رزة يطبق بيديه على كتفي السلمي ويصيح:

-خلّه خلت منك الأرض.

فتح أزرة ثوب نهير ، صار يقرأ عليه بصوت خافت يجهل من كان بجواره إن كان صادقاً في قراءة القرآن أم لا ، وهل يحفظ بشكل جيد أم لا ، وهل يجيد التجويد أم لا

بين كل قراءة وقراءة ينفث على نهير ، تارة على وجهه ، وتارة على صدره المفتوح.

السلمي وقف وهو يرتعش من الخوف ، أفاق نهير من غيبوبته ، الحمد لله ، بدأ يؤشر بيده إلى النافذة ، يريد هواء يتنفسه ، إلتفت الأستاذ أبو رزة إليهم وصاح:

-أغلقوا الدريشة الجنوبية ، البلى جاء منها، سَمّوا ،وتعوذوا، هاالغبار الأحمر إللي أعماكم يا أبنائي الطلبة وكتمكم ،جاء من جن هاالبيت المسكون إللي عنا جنوب ، أحد منكم متعرضهم بشيء ؟ او رمى على بيتهم شي ؟

-لا والله يا أستاذ ، ما قد كبينا شي على بيتهم.
أطلبه بصوت واحد ، يجيبون على استفسار أبو رزة.
تنفس السلمي الصعداء وهو يرى نهير يعود لوعيه ،وبدا بالإنصات والتركيز على طرح الأستاذ وتفسيره لظاهرة الحبحر وأنه من عمل الجن.
في هذه الأثناء ،تجمهر ثلاثة مدرسين أتوا من فصول دراسية مجاورة بعد سماعهم للغوغاء، يا لتوارد الخواطر، فالأساتذة الثلاثة يشاطرون الأستاذ أبو رزة الرأي بصحة فرضية قيام الجن بنشر هذا المسحوق الغريب.
لم يحتمل السلمي هذا الهراء وهو العارف بخفايا وحيثيات وأهداف هذا المسحوق وطريقة التنفيذ المبتكرة لنشره.
رفع إصبعه طالباً السماح له بالتعليق على تحميل الجن المسؤولية.
وافق له أبو رزة بامتناع قائلًا:

-هها وش عندك؟

وقف السلمي وأزاح الكرسي قليلا وعدّل الفترة وقال:
-يا أستاذ ،الله ما شفناه، لكن بالعقل عرفناه ،هذا حبحر مطحون ،تلقى أحد هاالمقاريد حطه فوق المروحة وانتشر وأعمانا، لا جن ولا غيره ،لنا عقول يا أستاذ ،جن ينثرون حبحر وش هاالخرابييط؟
رفع الأستاذ أبو رزة طرف الشماع إلى قنة الرأس (سقف الجمجمة)،استعداداً للرد على تعليق السلمي، ورفعت الشماع على القنة إحياء بأنني لست غاضباً وهو عكس ذلك تماماً ، مسح أنفه بيده ثم قال:

-شف يا أبو عقل بمجرد أن يقيّم المؤمن الأمور بالعقل اغسل يدك منه ،أنت يا أبو غتيرة تردد مهوب معقول ،والعقل وهاالخرابييط ،أنت الظاهر

إنك من المعتزلة، شف يا النبّاش أنهاك، لا تردد ها الحكي وإلا تراي أبرقع بك للإدارة ونجلدك بالفلكة ،ياالله انثبرواقعد بكرسيك يامعتزل.

أنهى الأستاذ النقاش بقرار منه ، أقول ما أريد ، وانتم اسمعوا فقط ولا تجادلوا ، هذه هي طريقة أبو رزة في النقاش.

أدار أبو رزة وجهه إلى زملائه المدرسين الثلاثة مقترحاً عليهم الذهاب إلى أحد فصولهم الخالية من الحبحر.

ذهب هو ومن معه فقط دون الطلبة الذين أكملوا وقت الحصة في مكانهم يستنشقون الحبحر ويكحكون .

لم يتمكن السلمي من الفهم الكامل لتوبيخ المدرس له، لا يعرف شيئاً عن فرقة المعتزلة، اقتنع أن الموضوع أكبر من مفهومه ،وتفسيره لدور العقل، ففضلّ السكوت.

عملية الحبحر عملية فاشلة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، المتضرر الأول منها لم يكن الأستاذ أبو رزة ،عكس ما خطط له وهذه أبرز نقاط الفشل.

أما النقطة الثانية فهي سقوط الطالب نهير مغشياً عليه، بينما كان الأخرى أن يسقط مغشياً عليه مغتصب منصب العريف الطالب ثعليل.

أما النقطة الثالثة في نظره هو فشله بإقناع الأستاذ وبحضور الأساتذة الثلاثة بعدم وجود حبحر لدى الجن ينثرونه على الإنس، وعدم قدرته على التعليق على موضوع فرقة المعتزلة لجهله التام بهذا الموضوع.

قيدت الجريمة ضد الجن في البيت المجاور ،لا داعي لإبلاغ الإدارة والتحقق من الفاعل ، لا شبهات في الأمر.

انتهى يوم الجن الدراسي وذهب الطلبة إلى منازلهم ،محمّلين بالمعلومات الجديدة لتكون إحدى الثوابت التي لا تتزعزع طول العمر.

ما أحلى الرجوع من المدرسة، كأنه هروب، هروب من ماذا؟ الإجابة لدى الهارب.

دخل السلمي المنزل ، وجد أخته في المطبخ ، تعمل الترتيبات النهائية لما يشبه
الوليمة ، يبدو أن هناك ضيوفا مهمين ينتظرون أن يقدم لهم الغداء ، سألها
، فأخبرته أن الضيف أحد أصدقاء والدهم القدامى.

ألقى بالشنطة في المصباح ، راح يركض للروشن يريد معرفة من هو هذا
الصديق ، نظر من باب الروشن لقد رآه ، نعم ، انه الغالي ، رفيق الصديق
، رفيق الشجاعة ، رفيق الوفاء بعد الممات.

العم وزيان ، أنا بعلم ، والا بحلم ؟! ، قالها وهو يجري باتجاه وزيان ، حاول
وزيان القيام له ولكن السلمي أصرّ على تقبيل رأسه وهو جالس ، الدمع
أسبق للتعبير في بعض المواقف ، نزلت الدموع من كليهما ، ثم دار الحديث
بينهما :

-هلا بالغالي ، ولد الغالي ، وينك يابوك (وينك وانا ابوك).

-إلا أنت وينك يا عم ، طول ها السنين.

-والله يا وليدي عفت الخب عقب أبوك الله يرحمه ، واليوم بالصدقة جيت
أنقضى هيل واقهوة من شارع التمر إلا وعين حميدة فايز النباش وهاالحين
أنا عندك.

-يا هلا والله ومرحبا يا عم ، يا مرجعنا بعلم البر ، اما البحر فلا ، البحر
ما تعرف عنه شي يا عم ، ما انتب سماك. ، ضحك الجميع.

-عيار يا السلمي طالع على أبوك ، وحا كلنا يا عيال دبوج عيارين.

-منهو دبوج يا عم؟.

-تبي تعرف منهو دبوج ، قللي أول وش اسمك لخامس جد.

-اسمي سليمان حمد سليمان فايز نباش بن جحير ابن عكيسان.

-وقف عند عكيسان ، وأسمع أسمى ، وزيان ابن وذي ابن ضب ابن ذريع ،
ذريع هذا اخو عكيسان ، عيال دبوج اللي تشد عنه ، لكن جحير أبو جدك
نباش استقر بالخب وحب الزراعة وصار فلاح وعياله فلاليح.

-يعني حنا وإياكم في جد واحد يا عم؟

-إيه وأنا عمك ،والله يعز الإسلام والمسلمين ويرحم من جمع الناس وحقن دماءهم بكتاب الله وسنة نبيه ، والله يا ولدي إن الدم أول يسيل بين عيال الجد الواحد ،حنا يا آل ذريع وانتم يا آل عكيسان صار بيننا الشق والبعج ،غزو ، ومكاون[□] ، وحنشلة ، والله يتوب علينا بس.

-وشو الغزو وشو المكاون وشو الحنشله يا عم.

-الغزو^١ رجال عددهم مهوب واجد ، يقودهم فارس يقال له العقيد ، يغيرون على بعض فخوذ القبائل المنافسة لهم و يأملون في الانتصار عليهم ، ان كان هناك حلال طارف نهبوه وهجوا ، والا غاروا اخر الليل والناس نيام ، قتلوا الانفس وروع الامهات واطفالهن،واخذوا ما طاح تحت ايديهم ، وصاروا يتغنون بهالقصايدالموثقة لما تم ، بلأحياء ولا مخافة الله ، آل عكيسان يصبّحون آل ذريع ،وبعد مدة آل ذريع يصبّحون آل عكيسان (وما جت به غدت به).

ثم أردف مكملا حديثه:

أما المكاون وأنا أبوك حرب حقيقية بين قبيلتين ،والسبب إما على مرعى وإلا على ثأر،والضحايا حدث ولا حرج ، يموت فيه ناس واجد ، وترى كل فرسان القبيلة يشاركون فيه.

أما الحنشله فهم حرامية القبيلة ،رجالين أو ثلاثة يجون لهم راعي شويها[□]ت ويأخذون شويها[□]ته والا عابر سبيل يأخذون عشا[□]ه ،وان ما لقوا شي اخذو ثوبه وخلوه مصلوخ[□].

-يعني يا عم ،الفصل كافي عددهم للغزو ، والمدرسة كافي عددهم للكون ،والاداره كافي عددهم للحنشلة.

^١ المعركة بين قبيلتين تسمى كون.

^٢ القطيع الصغير من الشياه.

^٣ عريان.

-بالعدد نعم ، اما الشجاعة معصي أنت ومدرستك، تدري إن واحد من فرسانا يا آل ذريع إذا انتهى المكاون ياالله يفكون من يده السيف بالماء الحار ، من الدم اللي ثبت السيف على يده.

-حشا يا عم، صار صمغ ذا مهوب دم.

-لا تمهزا وانا عمك ، فيه قصايد تثبت الكلام هذا.

-والله ماادري يا عم، لكن كلن شاعره عنده ويقول اللي يبي والله يرحم اللي قوله أفعال.

شارك الرجل المتعلم فايز للتأكيد على الشجاعة فقال:

-هو صادق عمك ياالسلمي ،فيه فرسان يتحلون بشجاعة خارقه ،انت تدري إن فيه فارس عندنا يا آل عكيسان يقال له أبو إصبعين وسمي أبو إصبعين بسبب فقدانه لثلاثة أصابع في وقت واحد في يده اليمنى، هذا الفارس يكر بضربه وحده من سيفه يقتل فيها خمسة مقاتلين بوقت واحد.

-حشا ، هذا سيف عنتره يا عم فايز.

-لا تهزأ ياالسلمي الله يهديك ،الأولين ما يكذبون.

انزعج وذيان من استهزاء السلمي المتكرر فقاطعهم قائلًا:

-المهم يوم الجمعة غداكم عندي ،أنا ساكن حارة سكيرينة ، وعلي الحرام ما تردوني ،وان توافقون على الغداء.

بادر فايز وقال:

-تم ، تم، يا أبو مرزوق تامر أمر ،وحنا عندك إن شاء الله يوم الجمعة.

أكملوا قيلولتهم في بيت فايز بتناول الغداء ،ثم القهوة حتى نودي للصلاة العصر ،ذهبوا للصلاة في المسجد ثم تفرقوا.

اليوم هو يوم الجمعة الموعودة ،أحضر السلمي تاكسي من شارع الشميسي ،ركبوا الثلاثة فايز والسلمي مع السواق في المقاعد الأمامية ،أما هيلة فركبت في المقعد الخلفي لوحدها.

السائق يسأل عن الوجهة ، وفايز يجيبه حسب وصف وزيان
بعد البرج الطيني في شارع منفوحة ، تجاوز شارع بيت أم خلوي للأفراح
بشارعين ، تتعطف بعدها إلى اليمين ، قبل مسجد سكيرينة بعدة بيوت يقع
بيت وزيان .

خلال ربع ساعة توقف التاكسي أمام البيت ، باب البيت مفتوح ، مصنوع من
الخشب ، ألوانه متسخة بالدهنيات من كثرة اللمس ، دخلوا وهو ينادون ، يا
أهل البيت ، يأبو مرزوق ، جاءهم الترحيب وهم بالمجبب من صوت وزيان
الجالس في المجلس على يمين الداخل من الباب ، تفضلوا ، يا هلا ومرحبا ،
رائحة البيت خليط من رائحة السمن مع حليب الماعز ، توجه فايز والسلمي
إلى المجلس ، كان أثاثه عبارة عن مساند بدا عليها القدم ، ومكتئات
خشبية في أعلاها حشو من القطن مغطى بقماش أحمر ناعم ممزقا بعض
الشيء من كثرة الاتكاء عليه ، يتوسط المجلس سجادة مصنوعة من
الصوف.

المتواجدون في المجلس خمسة رجال ، يلبسون الشمع الحمراء ، تميل بشرتهم
إلى السمار من أثر الشمس ، يجلسون متفرقين على جهات المجلس الأربع ،
وزيان في صدر المجلس ، وابنه "مرزوق" يجلس في الجهة المقابلة في ذيل
المجلس ، وفي ركن المجلس يجلس شاب متجهم إنه ابن عم وزيان وزوج ابنته
الشقحا واسمه "لافي" .

أما هيلة ، فقد دخلت إلى داخل المنزل ، لتجد الترحاب من أم مرزوق.
في خلال نصف ساعة جهزت أم مرزوق طعام الغداء ، صحن كبير مليء
بالرز الأبيض ، وضعت الذبيحة في وسطه ، صاح أبو مرزوق:

-سموا ياجماعه ، الله يحييكم على واجب ابن عمكم فايز النباش
، ونسيبه سليمان ولد حمد النباش راعي العمالة ، اللي خبركم يجينا بالقطين
، ياخذ زكاة الحلال.

تجمعوا حول صحن الأرز ، باستثناء مرزوق ابن وزيان ، فقد أمسك بغضارة بها ماء للشرب ، يقف بانتظار إشارة طلب الماء من أحد الآكلين.

أكملت مراسم وليمة النباش ، ذهب الضيوف المعزومين من جيران أبو مرزوق إلى منازلهم ، بعد أن أدوا مهمة أكل الغداء بشراهة على أكمل وجه ، وبعد أن بيضوا وجه وزيان وجاملوا فايز النباش بدعوته للغداء في اليوم التالي ، بأسلوب روتيني مكشوف. دعوة اعتذر فايز عنها.

لم يتبق في المجلس سوى النباش وأصحاب الدار ، صاح وزيان لام مرزوق: -يا أم مرزوق تعالي ، ما فيه أجناد.

أقبلت أم مرزوق بكل جرأة ، بدأ وزيان بالتعريف:

-هذا فايز ولدعم حمد النباش اللي يأخذ الزكاة منا يوم حنا بالقطين ، اللي جابلك الدكتور بالبريوم تصخين.

هلت ورحبت أم مرزوق بهما ترحابا يؤكد أنها تتذكر جيداً المرحوم بإذن الله أبو السلمي.

واصل وزيان التعريف:

-وهذا السلمي ولد حمد ، وتراه يعرف يغني على الربابه.

انطلق السلمي بكل براءة صوبها وقبل رأسها بود صادق مقدرة له ذلك بقولها:

-تسلم يا ولدي ، الله يعز مقدارك.

سأل أبو مرزوق عن هيلة ، وراها ما تجي تسلم ، فاعتذرت أم مرزوق بالنيابة عنها ، بالقول أنها تستحي.

قام أبو مرزوق وأحضر الربابة من مخبئها خلف باب المجلس ملفوفة بعباءة قديمة.

مكان سري ، ينم عن ذكاء مستخدمه ، فباب المجلس لن يغلق أبدا ، لذلك لن يُعرف ما خلفه ، ولو فرضنا جدلاً أنه أغلق ، فليس هناك سوى عباءة قديمة.

شدا السلمي على صوت الربابة بلحن حزين:
البارحة يوم الخلايق نياما
بيحت من كثر البكاء كل مكنون
نزلت دمة من أم مرزوق وهي منصتة لأداء السلمي، يبدو أنها تذكرت
موقف مشابه لأحد أقربائها ، ما اضطر السلمي إلى اختصار الأبيات ليقفز
إلى البيت قبل الأخير:
والله لولا هالصغار اليتاما
وخايف من السكه عليهم يضيعون

أنهى السلمي الغناء ثم وضع الربابة جانباً وهو يستمع إلى التشجيع على
الأداء والصوت الذي ذكرّ وزيان بصوت صديق عمره أبو السلمي حمد
النباش.

-يا السلمي انت تدري من قايل هالقصيد؟
وزيان يختبر معلومات السلمي الذي أجاب بلا تردد:
-هذي لنمر ابن عدوان ، في حزنه على زوجته وضحي يا عم.
-هذا هو الخطا بعينه ، والذي يقع فيه كثير من الناس ، هذه القصيدة
للشاعر محمد بن مسلم ، وهو أحد شعراء الإحساء ، وأصله من أهالي
الحريق ، إلا أنه مولود بالاحساء ، وفي القصيدة بيت يؤكد نسبها إلى المسلم
في قوله:

وخايف من السكه عليهم يضيعون
نمر ابن عدوان في البر ، ماعنده سكة ، ومعاني القصيده و كلماتها تبين
أنها نجدية ، ماهي من بادية الأردن.
اقتنع بشكل تام بتصحيح وزيان ، فهو يثق بخلفيته التراثية ، قصائداً ، ومعاني
، وتواريخ.

استمتعوا جميعاً بهذه الزيارة الحميمة ، حتى أنهم تمنوا لو يبيتون ليلتهم في سكيرينة ، ولكن دكان فايز ومدرسة السلمي ، أمور تجبرهم على إنهاء مراسم الزيارة.

قام السلمي بإحضار تاكسي من شارع منفوحة ، لينقلهم إلى حلة الفحم ، وصلوا الحارة قبل مغيب الشمس بقليل ، إذ بتجمهر غير معتاد عند المشراق ، طلب السلمي على عجل النزول من السيارة ، ليتجمهر مع المتجمهرين ، ويعرف الموضوع ،

أنزلوه من التاكسي وأكملوا طريقهم إلى البيت ، شاهد السلمي وتمنى أن لم يشاهد ، مناظر مسيئة لأناس عرف عنهم في الحارة الانضباطية التعاملية ، أبوظقطق مشجوج الرأس ، يلعن ويشتم وهو في مكانه وبجواره متيح ممسكاً بيده ، الثاني أبو رقلة جرحت شفته السفلى ، يشتم ويهدد.

لعلع ممسكاً بالفاعل ، ولولا الإمساك به ، لزادت الإصابات ، وتدخلت أطراف أخرى ، وعمت الفوضى حلة الفحم ، الفاعل الذي تبين من المنظر العام للحدث ، أنه سرور عم كحلة.

سبب المشكلة حسب المعاني الواضحة أثناء التلاسن أن سرور العاقل عن العمل ، يتمشى في كل وقت ضحى في سكك حلة الفحم ، وإذا رأى إحدى نساء الحلة تمشي ، ذهب يمشي خلفها ويدندن بأغنية:

ولا منه مشى والكعب عالي

حدي 000000 يشكي من خويه

تضايق نسوة الحارة من هذا التحرش المفضوح من خلال معاني الأغنية ، واشتكين لأزواجهن ، من ضمن تلك النسوة أم رقلة وأم طقطق ، اللتان أبلغتا زوجيهما ، وحصل التشابك ، الذي نتج عنه إصابات بليغة.

فض الاشتباك بعد مناشدات من الجميع ، وأولهم غرسة وبنتها شيخة ، اللتان ينظران من الباب دون عباءة ، واضعتين على رأسيهما شيلة خفيفة تظهر تقاسيم الوجه من ورائها.

هنا وجد السلمي الفرصة مواتية للظهور أمام بعض الناس ،
انطلق إلى سرور وجره من عضده وهو يقول:
-يا رجال تعوذ من الشيطان وادخل ،⁰وانت يا أبو رقلة ويا أبو طقطق
،روحوا لبيوتكم وفكّونا من المشاكل.
أثمرت المحاولات المشتركة للسلمي ومتيح ولعلع في تفريق المتضاربين ،كل
إلى بيته.
متيح رافق أبو طقطق، ولعلع رافق أبو رقلة ،والسلمي أدخل سرور للبيت
بالقوة وهو معه ،عين على سرور وعين على شيخة ، وهو يقول لسرور:
-يا رجال هذولا شكاكين ،وزوجاتهم نصابات ،والا أنت يا سرور تحرش
في هالكمكه[□] أم طقطق، هاللي كنها عريانة أبو كحلة ،ما تعرف
طولها من عرضها ،والا أم رقلة ،هاللي تذكرني بيرميل بياع القاز ،جاية
قطعة وحدة من رأسها لرجليها.
بهذا الكلام كان السلمي يهدئ من غضب سرور وهو يجبره على الجلوس
على المتكأ.
رد سرور:
-ياالسلمي قهروني وكذبوا علي آه، آه بس، ليتك مخليني افقع وجيههم.
-يا سرور ما قصرت فيهم الله يهديك ،تعوذ من الشيطان وأنت يا شيخة
عطينا شاهي لعمك خليه يروق وجيبي البكم.
-أي بكم ياالسلمي هذولا خلوا فيها بكم؟
-يا رجال فلها وعطنا اسطوانة أبو حمدتطربنا.
-والله انك صادق، عطينا يا شيخة البكم وكرتون اسطوانات أبو حمد
والشاهي لا يصير ثقيل وأنا عمك وكثري السكر.

¹ صفه من صفات الغبي المركب.

جاءك يا مهنا ما تمنى ، نعم ، الأمنية تحققت ، فالصداقة مع سرور كانت مطلباً مهماً للسلمي ، والبوادر تشير إلى تحقق هذا المطلب ، من الآن وصاعداً له الحق في طرق الباب في أي وقت ، وعلى مرأى من الجميع ، ربع المشراق وربع المغراب ،

والأهم من ذلك أن له الحق في الدخول إلى البيت وانتظار صديقه سرور لحين عودته.

صحيح أن الصداقة تتطلب تقارب سن الصديقين ، إلا أن السلمي كسر هذه القاعدة ، وتخطى فارق السبع سنوات مع سرور ، بالتعامل الخبيث والرفع من شأنه والتماشي مع مزاجه الطربي وتقليعاته السلوكية ، حتى أنه جعل من تحرشاته لبعض نساء الحارة خطأ يحسب على النساء ، وليس على سرور.

حصل شرخ كبير في الحارة ، انقسمت الشلة بعد مضاربة سرور لوالد رقلة ووالد طقطق ، مغيبر وكحلة حزب ورقلة وطقطق في حزب ، والسلمي وسيط غير نزيه.

ربع المشراق تفرقوا بالرؤى ، منهم من يتكلم مع سرور ، ويتجاهل التعامل مع أبو طقطق وأبو رقلة ، أمثال نشبة ، ومنهم من غضب من شراسة سرور ، وإسألته للدم بالحارة ، أمثال لعلع ومتيح ،

الخباز أخذ موقفاً منحازاً إلى سرور ، صار لا يبيع الخبز لأبو رقلة وأبو طقطق ، مساكين إذا أرادوا شراء الخبز والفلول عليهما الطلب من أحد الزبائن الآخرين ، دون علم الخباز للقيام بذلك ، تعاطف الخباز المفرط مع سرور ليس لوجه لله ، الرجل مدين لغرسة بألفي ريال ، اقترضها منها بواسطة زوجته أم زكية.

فايز بعيد كل البعد عن هذه التجاذبات التي بدأت تظهر بحلة الفحم ، لانشغاله المستمر في دكانه ، ولهمومه المستمرة التي سيطرت عليه ، في الفترة الأخيرة بعد تجاوزه الأربعين دون أن يرزق بأولاد.

أبو محسن الكفيف، صاحب اسطوانات نعيمة فون محسوب على حزب سرور دائماً، وبانحياز تام، لم لا، ونديمه كل ليلة جمعة، الشقيق الأكبر لسرور المدعو أبو كحلة، ولم لا، وابن أخو سرور المدعو كحلة، يُحضر مشتريات أبو محسن أولاً بأول، ويجلب له كل يوم مشروب الميرندا من دكان يحيى، ميرندا وليس ببسي، ولم لا يكون من حزبه وزوجة سرور، المدعوة غرسة تُرسل له بين وقت وآخر قدراً معبأً بالمرقوق (تحب الخير، جزاها الله خير).

أما السلمي فيعتبر هذه التجاذبات فوضى بناءً، استفاد منها كثيراً، فقد أتاحت له الفرصة بأن يزور سرورا يومياً ويشرب الشاي مع شيخة وأمها في أي وقت يريد، فالرجل أصبح صديق سرور، والصديق لا بد أن يكرم صديقة بعشاء أو غداء، مفهوم صداقة جديد يتبناه السلمي بحذافيره، فبين الحين والآخر يقوم السلمي بإحضار عشاء لسرور وزوجته غرسة والجميلة شيخة عبارة عن دجاج شواية مع خبز وليمون.

المعزب، السلمي، الكريم، الصديق، يجلس أثناء تناول العشاء بجانب شيخة، فيحصل في كل زيارة على همسة، لمسة، ضحكة، تعليقة، سائلة، والناس غافلون مشغولون بأكل دجاج الشواية. أصبح السلمي منهم وفيهم، أنسوه وآسهم.

مرت الأشهر سريعة على السلمي وهو يدرس في الصف الخامس، برنامج يومي غير ممل، لا يشعر بمرور الوقت، في الصباح مدرسة، وبعد العصر زيارة لسرور، موجود أو غير موجود لا يهم، فالضيافة حاصلة، بعد المغرب جلوس في مقهى أبو رقلة، فالتلفزيون بدأ يجذبه، الساعة الرابعة ليلاً تدار ماكينة عرض السينما.

برنامج يومي، كله متعة، أصبحت الأشهر تجري كالأيام، والأيام كالساعات.

بدأت الاختبارات، ظهرت النتائج بعد التصحيح، نتائج غير متوقعة، السلمي ترتيبه العاشر، نتيجة أغضبت فايز وأفرحت كل الشلة، لكن لا يهم، الآن أصبح في الصف السادس، وسيقوم بالعطلة الصيفية بمشروع تجاري في سوق أوشيقر،

اتفق زوج أخته فايز مع أحد تجار أوشيقر على استئجار ربع فتحة دكان تكون أرصف يبيع عليها السلمي ما خف وزنه وغلي ثمنه.

موقع العمل سوق أوشيقر غرب الصفاة بالديرة بعيد إلى حد ما عن مقر سكنه بحله الفحم، سيذهب يومياً مرتين صباحاً ومساءً، لا بد من وسيلة مواصلات، دباب (موتر سيكل)، نعم دباب، وتحديدًا نوع خرينق، طموحه من أول يوم أتى فيه إلى الحارة، لذلك لم يفكر بشراء سيكل قط، اقتنع فايز بضرورة شراء دباب، ينقل السلمي إلى مقر دكانه يومياً.

ذهبا عصراً إلى حراج الدبابات غرب حي الغرابي، كان ساحة تحيط بها دكاكين صغيرة، تصطف أمامها الدبابات المعروضة للبيع، احتاراً لسلمي بالاختيار بين ثلاثة أنواع متفاوتة من حيث الشكل والسعر، دباب حقباني، ودباب خرينق، ودباب سرى طوقه، دباب سرى طوقه أحدث الأنواع وأكبرها، لكن فيه عيبين رئيسيين:

الأول: شرعي، وهو عدم وجود نساكات تحمي الركب والسيقان كما للخرينق والحقباني، وتكمن أهميتها أنها تشكل سدا منيعاً يمنع الهواء من أن يرفع الثوب من على الركب وما فوقها فتتكشف العورة.

والثاني: فني، وهو وجود كلتش، وهذا يزيد من صعوبة القيادة. لإعجابه المسبق بالخرينق ولسهولة قيادته مع عدم وجود كلتش، قرر أن يشتري خرينق.

دفعت قيمة الدباب البالغة مئة وعشرون ريال نقداً، تم استلام الدباب، عملت تجربة قيادة للسلمي في البراحة الواقعة في تقاطع شارع الريل مع شارع الغرابي، ليطمئن قلب فايز على معرفة السلمي لقيادة الدباب.

عاد فايز إلى البيت بتاكسي وترك السلمي يعود على الدباب.
وصل السلمي إلى الحارة ، شاع خبر امتلاكه دباب خرينق ، وأكد الإشاعة
هو بنفسه بذهابه وإيابه المتكرر أمام بيت غرسة راكباً الدباب ، والفترة
تتطاير من الهواء.

أزعج هذه الوضع أهل المشرق ، ما دعا متيح أن يرميه بحجر صغير ، كاد
أن يصيبه ، مع توبيخ بذيء ، أقله بذاءة جملة: أدوختنا يا السربوت أنت
ودبابك.

دباب السلمي هو الدباب الوحيد بحلة الفحم ، ساهم هذا الدباب بلم الشمل
من جديد بعد الخصومة التي تسببت بها معركة سرور مع الزوجين
الغيورين ، وذلك بأن أعطى كل واحد من الشلة دورة [□] ، يقود الدباب إلى
طلعة الشميسي ويعود ، وهكذا ، جميع الشلة يتمنون قيادة الدباب.

عادت الحيوية لعلاقة أبناء الحارة بعد أن كادت الخلافات أن تعصف بهم
، ومع أن هناك امتعاض باطني لدى كحلة من زيارات السلمي لبيت عمه
وغيرته الكامنة على المرشحة الوحيدة لأن تكون زوجته ، الزواج الذي
ترفضه شريحة رفضاً قاطعاً ، وإن تم هذا الزواج فسيتم بقرار تعسفي من عمه
سرور وزوجته غرسة ، وبمباركة مهمة من أبو كحلة.

صحيح أن كحلة قوي ومقدام ، لكنه لا يذهب بعيداً ، فامتعاضه من زيارات
السلمي لا تخيف ، فالسلمي استطاع أن يزيل هذا الإمتعاض بدفع حساب
الشيخة والكبسة ، واهداء كحلة كبك أبو فص ، وإعطائه دورات لقيادة
الدباب أكثر من غيره ، باختصار ، أفضال السلمي ومعروفه قد غطى
كحلة من رأسه إلى أخمص قدميه ، فلو رأى السلمي يتحدث مع شيخة ، لا
يستطيع الكلام أو التذمر ، بل يسكت ويغض الطرف.

دون أن يخطط لها فقد تحققت كثير من آمنيات السلمي واستقرت أحواله
، الدباب أمن ، ومصدر الرزق من رُبْع الدكان في سوق أوشيقر أمن ، الحبيبة

¹ تجربة لقيادة الدباب

التي أحالت جلالة الخب إلى حنان وحب أمنت، والفضل يعود بعد الله في كل هذا إلى فايز النباش، زوج أخته ،الذي أكرمه بسخاء وأحبه بعمق، آه، آه، كم دعا ربه سراً وجهاراً، وفي صلواته ،أن يرزق الله شقيقته وبعلمها بالذرية الصالحة.

-الجولة الخامسة عشرة -

دخل السلمي فصل سادس (ب) مزهوا بنفسه.

جميع الطلبة يُوقِفون سياكلهم في فناء المدرسة الخارجي وهو الوحيد الذي يملك دباب ويوقفه بجانب المقصف، شاربه قد خط ،جيبه مملوء بعشرات الريالات من أرباح الدكان الذي لن يتخلى عن البيع فيه عصراً أثناء الدراسة، بعد صلاة العشاء يزور صديقه سرور ،كالكبار ،ولا يأتي لهم خالي الوفاض ،فأحيانا جحة[□] ،وأحيانا خضار ، وفي بعض الأحيان لحم بعير ،يلقه على الدباب ويستعرض أمام شلة المشراق ،والله يستر عليه من العين.

سادس (ب) جُل طلبتها غير ملفتين للانتباه، شباب ليسوا كبارا وليسوا صفارا، لا يؤثرون ولا يتأثرون ،ينطبق عليهم المثل المعروف (حطني تلقاني يا بعد خلاني).

أميزهم شاب هادئ ،مرتب ونظيف ،تشم رائحة عطره من بعيد ،ولا يحب العنف اسمه "عناد" ،دوماً يطلب من مناديه أن يسموه عنيّد ،يمشي الهوينا من وإلى الساحة.

أثناء الفسحة الأولى اتجه الثلاثة السلمي وكحلة ومغير للمقصف الخشبي الواقع في ركن الساحة ،لشراء الفسحة، ومسمى فسحة إضافة إلى إطلاقه على وقت الاستراحة بين الحصص فهو يطلق أيضا على الوجبة التي تؤكل في هذا الوقت.

كان الطلبة يشيرون إلى السلمي بالبنان، هذا صاحب الدباب، هذا صاحب الدباب، وهو متكيء بكل غرور على مرتبة الدباب المزركشة

¹ حجب.

بتلبيسة صنعت خصيصةً لضمان عدم تأثر المرتبة الأصلية بعوامل التعرية،
يشرب الكندادراي،

بجانبه يقف مغير وكحلة.

عرض مغير على السلمي أن يذهب ليلة الجمعة لبيت "أم خلوي" للأعراس في
حي منفوحة ، للاستمتاع بمشاهدة فرقة السامري التي تحيي الزفاف كل
ليلة جمعة هناك.

قبل السلمي العرض بشرط مرافقة كحلة الذي رحب قبل أن يشترط
السلمي.

ها نحن في ليلة الجمعة ، ليلة المناسبات ، العامة والخاصة ، ركب الثلاثة
الدباب بطريقة ملفتة للنظر، متجهين إلى بيت أم خلوي للأعراس بمنفوحة ،
عبروا شارع الرئيس إلى الديرة سلكوا شارع الفريان باتجاه الجنوب إلى أن
وصلوا شارع البرج في منفوحة فتوجهوا غرباً باتجاه بيت أم خلوي ، دخلوا إلى
ساحة بجانب البيت ، علق فوقها عقود من اللمبات المضيئة ، مفروشة بسجاد
مختلف الأنواع ، وبسط مختلفة المقاسات ، يتوسط هذه الساحة حلقة من
الشباب وقليل من متوسطي الأعمار وندرة من كبار السن ، يوجد في ركن
الساحة جمر ملتهب صفت عليه دلال القهوة وأباريق الشاي مملوءة وجاهزة
لمن أراد الشرب.

الطيران[□] تصدح بأيدي شباب سمر يلبسون الشمع ، صوتهم حاد وعالي:

ما يطيق الصبرا ، يا مل قلب ، ما يطيق الصبرا

نحت أنا له وبر ، نوح الحماما ، نحت أنا له وبر

ما بلغ مقصوده ، عزي لقلب ، ما بلغ مقصوده

قمت أهل واقرا ، لاضاق صدري ، قمت أهل واقرا

¹ جمع طار وهو طبل كبير مغلق من جهة واحدة يمسك بيد ويضرب عليه باليد الأخرى

حدثان صغيران يتمايلان وسط صفين من أعضاء الفرقة يقفون على رُكبتهم ويقومون بالضرب على الطار، يبدو أن هذين الحدثين يتدربان على الرقص. الجماهير تستمتع بالمشاهدة ، وتردد مع الفرقة أبيات القصيدة المغناة ، تتمايل بين وقت وآخر ، خاصة من كان واقفاً. فضل كحلة ومغير والسلمي الوقوف مع الجماهير الواقفة .

انتهت القصيدة الأولى ، صاح بعدها قائد الاوركسترا(الفرقة) الجالس على ركبتيه مقابل أحد الصفين بالبيت الأول من القصيدة الثانية من البرنامج غير المعد مسبقاً:

يا حمام على الغابه ينوحي ، 0ساجع بالطرب لا واهنيه

بكل إتقان شال أفراد الفرقة الأغنية وأكملوا أبيات القصيدة دون انتظار قائد الاوركسترا أن يلقي بقية الأبيات ، يبدو أنهم سبق ورددوها آلاف المرات في أعراس ومناسبات عدة:

قلت حيه ولا كنه بيوحي ، 0مر عجل ولا سلم عليه
يا شريفة متى ودك نروحي ، 0يم ديرة هلك يالعسوجية

عندما أتوا على البيت الأخير والمذكور في صدره اسم شريفة ، بدأت الفرقة تبدل الاسم حسب الطلب السري من قائد الاوركسترا ، تهمس بأذنه باسم حبيبتك ، فيقوم بتصغير الاسم أو تكبيره لضمان وزن تفعيلية بيت الشعر. انتبه السلمي لذلك ، بينما مغير وكحلة يترنمان طربا دون انتباه لما يدور حولهما ، انسل من حيث لا يعلمون وهمس بأذن قائد الاوركسترا باسم شريحة ، وعاد بسرعة.

صدق القائد :

يا شويخة متى ودك نروحي 00 يم ديرة هلك يالعسوجية

أرعد كحلة وأزبد وهو يصيح بأعلى صوته: يا روعي ،ثم اتجه إلى الساحة المخصصة للرقص وهو يتمايل، تبعه مغير ،باللروعة ،أهذا كحلة الذي يرسم لوحة فنية رائعة بحركات جسمه ، تناسق غريب بين حركات يديه وتمايل كتفيه وهزات رأسه ،عكس مغير الذي اكتفى بحركة واحدة يكررها باستمرار مكدرًا بذلك صفو استمتاع السلمي برقص كحلة. ما الذي يحدث ،تغيّر الحال ، اللهم أصلي على محمد ، ما هذا ؟! بدا على تقاسيم وجه كحلة تقلصات مريبة ، وسواد عينيّه صار يتحرك يميناً وشمالاً وبشكل سريع.

صاح القائد وقال:

-يا عيال ، اللي عليه جنابة يفكنا ،ويروح لبيتهم .

تنفيذا لتوجيهات القائد انسحب اثنان من المتفرجين.

سقط شماغ كحلة وطاقيته الزري فأسرع مغير بأخذها ، وخرج من ساحة الرقص وتركها لأهل الزار الحقيقيين أمثال كحلة.

استمر على هذا الرقص الجنوني حتى أسقط كحلة نفسه عمدا وتمدد على بطنه ، أقبل القائد ليتفحصه ،بعد أن قرب منه ليسمع ما يريد ،تمتم كحلة للقائد وصاح القائد :

-جرمة ، جرمة

تجاوب أحد حاملي الطيران مع القائد ،قرب من إذن كحلة بطبل صغير ،بدأ يدق الطار الصغير بشكل سريع ،وهذا الرتم السريع للحن هو الجرمه الذي طلبه جني كحلة ، بعدها أمسك القائد برجل كحلة لثنيها بقوة وهي تعتصي عليه حتى استطاع أخيرا ، وهذا دلالة على انتهى الحالة الزارية. قام بعدها كحلة ونفض ثوبه وأخذ شماغه وطاقيته الزري من مغير وعاد لمكانه وكأن شيئا لم يحدث.

استمر البرنامج بنفس السيناريو مع تغيّر الراقصين والأغاني.

في هذه الأثناء كان المشرفون والمسؤولون عن العرس يتربحون وصول أحد

ما، هذا ما لمسهُ السلمي من التحركات، والاستفسارات هنا وهناك، التفت السلمي إلى مغير لعله يجد الخبر اليقين عن هذه الشخصية المرموقة والمنتظرة من جميع طبقات المشاركين بالعرس معازيب وضيوف، في أقل من دقيقة، عاد مغير بالخبر اليقين، معرّفاً بالزائر المنتظر ليقول:

-إنهم ينتظرون فرقة قوم مجدي.

ليسأله السلمي:

-وهل تختلف عن هذه الفرقة عن التي أمامنا؟

أفاده مغير بان فرقة قوم مجدي فرقة مهمتها الرقص الرومانسي فقط، وبدون زار.

ما هي إلا لحظات، الا وتوقفت سيارة شفر مليئة بشباب أغلبهم أحداث، لكل منهم حلقة شعر مختلفة عن حلقة الآخر، حتى وإن اشتركوا جميعاً بطول الشعر الذي يخفونه عمداً في الأماكن العامة، من خلال تغطيته بالشماغ أو الغترة، أما في ساحة أم خلوي فيحرصون على كشفه أثناء الرقص، ثيابهم صممت لتكون ضيقة، ولياقة الرقبة أربعة أزرة، وجوههم تلمع مع إضاءة العرس، يبدو أنهم يضعون على وجوههم كريمات ومساحيق تجميل، منهم من له سن ذهب واحد كما هي الموضة الحديثة ومنهم من له سنان ذهب كما هي الموضة القديمة، زعيمهم رجل ثلاثيني، حليق الذقن والشارب، له سنين ذهب، يلبس جاكيت لون أسود ذا لمعة مصنوعاً من البلاستيك والذي لا يلبس عادة إلا عند نزول المطر، ونحن الآن في فصل الصيف، اسمه "ولد الطائر".

دخلوا ساحة بيت أم خلوي يحيط بهم المعجبون يمينة ويسرة، كلمات إعجاب ترمى على هذا، وتعليق سخيف من أحد العرابجة على ذلك.

دقق السلمي النظر في الراقص رقم 3 حسب ترتيب النزول من سيارة الشفر ضغط بإصبعه على كتف كحلة.

ليسأله:

-الثالث مهوب يشبه عنيد ؟!

أجابه بلا تردد:

-إلا هذا عنيد نفسه، اخس ،أثره قوم مجدي وحنا ما ندري!!

تداخل مغير بتطفل قائلاً:

-من هو، وشو، ياشينكم، علموني وش السالفة؟

أبلغه كحلة بالمشاهدة المفاجأة، فرح مغير بما رأى واتجه إلى عنيد الذي وجد حرجاً في البداية ،سرعان ما اختفى هذا الحرج بعد بداية أدائه وصلته الفنية الراقصة.

مناظر اشمئز منها السلمي، ميوعة، تجاذبات مع الجمهور تقشعر لها النفس قبل البدن، رجال تتحدث بلسان امرأة، أصوات منكرة تريد أن تكون صوتاً ناعماً بالقوة.

لم يستطع التحمل ،طلب من صديقيه المغادرة فوراً واللذين حاولا أن يثياه عن رأيه ولم يفلحا ،فغادروا جميعاً عائدين.

الساعة العاشره مساء ،الشوارع تكاد تكون خالية من المارة والسيارات، صوت الدباب والثلاثة فوقه يئن ،ماكينته تزأر بصوتها الجهوري ،لا سكون في شارع الفريان، ازعاج صوت دباب السلمي ،ونباح بعض الكلاب الضالة، يبدده.

في ظل هذا الضجيج سأل السلمي كحلة:

-آثاري فيك زيران يا كحلة.

بكل صدق أجاب:

-يا رجال خلك أعقل ،والله لا زيران ولا شي، سامرية يا حمام على الغابة ينوحي تعجبني واحب الرقص عليها ،خاصة يوم اطروا شويخة ،ويوم تعبت من الرقص سويت نفسي طايح وطلبت لحن جرمة.

غضب كحلة ، أحس بأنه جُرح بكرامته أمام السلمي ، التفت إلى مغير
وقد غطت بعض أطراف شماغه من الهوى عينه اليمنى وصاح:

-تثبت الكلام ذا يا مغير ، ترى بكرة الصبح أنا عند عمتي غرسة ، وتبي
تواجه بنت الخباز وتسألها.

أحس السلمي بارتياح لهذه الحقائق التي تجعله أكثر ثقة بحب شيخة له ،
فهو يثق بمعلومات مغير ، قرر أن ينهي الإشكالية وقال:

-وش اللي تواجه بنت الخباز وتسألها ، انهبت يا كحلة ، تبي تفضح مغير
وبنت الخباز ، اتركوا الكلام هذا ، أكيد بنت الخباز تكذب.

تأكيد السلمي لكذب بنت الخباز أعاد بعض الكرامة لكحلة ، ما دعاه
إلى قبول إنهاء الموضوع من أجل السلمي ، واردف بتهديد مغير بالتصعيد إذا
سمع منه هذا الكلام مرة أخرى.

أوصل السلمي كلاً إلى بيته ، توجه هو إلى منزله ، مصاباً بخليط من
المشاعر بعد هذه الليلة المجنونة.

احتقار لعنيد على تواجده كأحد راقصي فرقة الطائر ، بهذا التزيّن
والميوعة وتقبل تحرشات عرابجة العرس.

تأكيد حب كحلة العظيم لشيخة ، وهو ما أشعره بالرهبة ، من المنافسة مع
ابن الحمّار ، "والله لو ما يبقى من الرجاجيل إلا كحلة ما أخذته" عبارة
أراحته كثيراً.

جمال أداء كحلة للرقص.

صوراً داعبت أفق خياله لينام بعدها نوما قلقل.

انتظر يوم السبت التالي لتلك الليلة المجنونة بشوق ، ليعرف عنيد عن قرب
وعمق ، ويسأله عن هذا السلوك الشاذ ، فهذا الشاب الهادئ أوجد لديه شك
بكل شيء ، رآه بالطابور الصباحي ، يتميل كعود الخيزران ، ينظر إلى

السلمي بشكل عادي ، كأنه لم يرقص ليلة الجمعة بشكل مخزي ، كأنه لم يتعرض لتحرش خسيس برودة فعل أخس.

دخل جميع الطلبة إلى الفصل بانتظار مدرس الحصة الأولى لهذا اليوم ، فُتح الباب بشكل عنيف ، اذ بالأستاذ أبو رزة رائد الفصل قد جمع أطراف شماغه الأحمر أعلى رأسه ومعه المراقب الأول صاحب مهنة التصفير بالفسحة وبيده عصى وكذلك الوكيل والفراش.

قصد أبو رزة الطالب عنيد بشكل مستعجل ، أمسك بشماغه وطاقيته ورمها أرضاً فانكشف شعره الطويل والمقصوص بشكل مبتكر ، صاح فيه :

-قوم مجدي يا خسيس ، وبفصلي.

قالها وهو يمسك بشعر عنيد ويسحبه أرضاً إلى الباب سحباً ، ما ذكر السلمي بسحبة الأستاذ فتحي له يوم كتب المثال للفاعل في جملة مفيدة "تزوج السلمي الكتابية".

شارك المراقب بفاعليه أثناء سحب عنيد وذلك بإنزال ضربات العصا القوية وبشكل سريع ومتواصل على جسم عنيد النحيل مع ترديد عبارة :

-أهلك يا الخكري أهلك.

لم يرد عنيد بأي كلمة ، واكتفى بمنع العصا من النيل منه بيديه الناعمتين ، أقفل باب الفصل لينظر الطلبة إلى بعضهم البعض بذهول ، بين مفاجأة خبر أن عنيد قوم مجدي ، وبين التألم من العنف الذي تعرض له ، تألم السلمي بشكل مضاعف ، فكيف نسي أن يحذر مغيبر ويمنعه من إفشاء هذا السر ، نعم مغيبر هو من وشى بعنيد ، آه ، آه ، كم كان يرغب بالافتخار بستر مسلم ليستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، أفكار راودت السلمي بعد أن رأى جر عنيد كالخروف على الأرض ، قاطعها دخول أستاذ المادة الأولى ليكمل حصته بشكل طبيعي.

صفرت الفسحة بعد الحصة الثالثة ، قصد السلمي المقصف عاقدا العزم على قطع العلاقات مع من كشف سر عنيّد ، إن كان كحلة أو مغير ، والأخير هو الأقرب بنسبة 99.9.

-صباح الخير يا السلمي ، قالها مغير بانسراح.
لا إجابة ، والاكتفاء بشرب الميرندا وأكل الشابورة.
ردها مغير مرات ومرات حتى وصل لقناعة تامة أن السلمي قد اتخذ قرار مخلصته ، فغادر.

بعد مضي اقل من خمس دقائق يأتي كحلة مسرعاً مستغرباً مستبشراً.
-وش صار يا السلمي ؟ وراك مجارب □ مغير ؟
-كشف سر عنيّد يا كحلة ، وطقوه بالفصل طق سنة بساعة ، ويمكن يفصلونه بعد.

-هذا طبع مغير يا السلمي ، توك تعرفه ، ما عمره حفظ سر ، مقدي فيه يوم جاربته انا الظاهر ابجاربه مثلك ، عقب كذبه على شيخة ، عاد أنت تصدق يا السلمي إنها تقول لو ما يبقى بالرجاجيل إلا كحلة ما أعرست عليه؟

-مغير كذوب ، عني أنا ، ان شيخة ما تقول الكلام هذا. علق السلمي بتهكم ، صفرت الفسحة.

زبدة الكلام ، والسؤال الأهم ، هل كحلة ينوي محاسبة مغير على تسريب معلومة عدم رغبة شيخة في الزواج منه ؟

هل يستطيع قطع العلاقات معه أسوة بالسلمي ؟ وهل يحتمل تبعات مثل هذا القرار الخطيرة المتمثلة في الاحتمال الأكيد بانتقال مغير إلى المعسكر الآخر ، الذي بدأ يتشكل بعد مضاربة سرور مع أبو طقطق وأبو رقلة؟

هذا المعسكر الذي يقوده طقطق ورقلة ، بالرغم من الصلح الهش الذي حصل يوم شراء السلمي للدباب إلا أنه صار ينمو بشكل خطير ويكسب

¹مخاصم.

عناصر إلى صفوفه من أبناء الحارة يوماً بعد يوم ، إن كسبوا مغير ، حافظ
أسرار كحلة مؤقتاً ، فالكارثة ستحل.

عبر هذا اليوم والذي يليه من بقية أيام الأسبوع ، دون أن يعود عنيد إلى
مقاعد الدراسة ودون أن يصفح السلمي عن مغير ويكلمه ، هذا الأسبوع
يبدو كرها على السلمي والمصائب لا تأتي فراداً.

ضُحى الجمعة ، كان السلمي مستلقياً يستمع إلى برنامج يفند أسباب
انفصال الوحدة بين مصر وسوريا ، إذ يقوم يطرقون الباب بشكل فج
، صوت لعل ، يُلعل :

- اطلع يا السلمي ، اطلع يا السلمي.

نزل من الروشن بملابسه الداخلية ليجد فايز قد سبقه إلى فتح الباب وهو
يردد :

- خير ، خير ان شاء الله.

قبل أن يكررها للمرة الثالثة مد نشبة يده من جانب فايز ليتجاوزها إلى
السلمي مطبقاً على كتفه ويسحبه إلى خارج البيت وهو يقول :

- اللي يدعس غنم الناس ما يندس [□] ، اطلع ، اطلع.

وقف فايز حائلاً بين السلمي ونشبة ، متيح يشارك فايز في الفصل بينهما
، ومجموعة من الناس الذين تجمعوا يرددون :

- تعوذوا من الشيطان ، تعوذوا من الشيطان.

طلّع السلمي ولكن ليس من البيت بل من طوره ، دفع يد نشبة وصاح بأعلى
صوته :

- أنت يا حمير الهكره [□] وش تكلم عنه؟

¹ يختبأ.

² أهل حمير يسكنون شمال الكويت سابقاً ، حمير هم صغيرة الحجم .

-أتكلم عن عنزي السورية اللي دعستها بدبابك وماتت ،تدفع ثمنها
هاالحين 70 ريال ،والا أنا واياك للشرطة .

-عندك أشهود إني دعست عنزك؟

-زوجتي عند الباب ،وسمعت الدباب يوم صدم العنز.

رد السلمي بانفعال:

0زوجتك امرأة وشهادتها بنصف شهادة، والله سبحانه يقول في محكم
كتابه ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ □

قال نشبة:

-شف ياالسلمي لا تقعد تحدّث علينا ، ما عندنا دباب بالحارة إلا دبابك
،ومرتي تقول عنزي ضحية دباب.

هنا تدخل مغيبر الواقف مع الواقفين تقرباً إلى السلمي لعل وعسى أن يصفح
له كشفه لسر عنيد ،وتعود المياه إلى مجاريها قائلاً:

-العزاب اللي توهم نازلين بالبيت إلى جنب الخرابة عندهم دباب بس
حقباني مهوب خرينق مثل دباب السلمي.

هنا تكلم فايز بكل هدوء:

-يا نشبة رح واسأل العزاب اللي توهم نازلين إن قالوا ما صدمنا عنزك تعال
وأعطيك قيمتها.

استدار نشبة واستدار معه الجمع بحركة واحدة متوجهين إلى بيت العزاب
ولعلع يردد وهو يمشي خلفهم:

-امش الله لا يبارك فيك انت وعنزك

¹ سورة البقرة آية (282).

طرقوا باب العُزَاب كثيرا ما ساعد السلمي باللحاق بهم ، واخيراً فَتَحَ لهم شاب حنطي اللون رائحة الدخان النتنة تفوح من فمه ، قصة شعره تواليت ، خاف الشاب وهو يرى هذا الجمع أمام بيته ولكنه قال:

-نعم خير إن شاء الله ، وش عندكم ؟

أجابه متيح كوسيط نزيه وممثل لصاحب العنزة نشبة بسؤال:

-أنت عندك دباب؟

رد العزوبي بسخرية:

-لا عندي طيارة ، ما تشوف الدباب قدامك بالمجيب؟

-أنت صادم عنز الرجال هذا قبل ساعة ، قدام بيته؟

أجاب العزوبي وهو يهرش مؤخرة رأسه ويغمض إحدى عينيه:

-أولا ، من قاله يترك عنزة تسرح بالشوارع؟ ، ثانيا ، عنزة مريضة قبل اصددها ، فيها مرض أبو رمح ، ما تقوى تحرك ، اضرب لها بوري ما توخر عن الطريق ، تبيني أنا أواخر؟.

أراد نشبة الرد المباشر، سبقه متيح بالتوبيخ وترك معالجة الموضوع له ، والا لماذا أوكل إليه هذه المهمة ، التفت متيح وهو يحاول أن يكون حليماً على هذا العزوبي المستهتر وقال:

-هذي عنزة سورية ، مزيونة ، وغالية ، ولا فيها مرض أبو رمح ، وانت دعستها وماتت ، لازم تدفع الدية.

نظر العزوبي بالأرض للحظة ثم قال:

-مزيونة وإلا شينة وش دخلني ، قالوا لك انا تيس أبعرس عليها ، ما عندي دية ، ودوني للصفاء يقصوني ، علشان عنزكم ، أبوكم أبو عنزكم ، منكدين علينا بها القايلة.

عَرَفَ السلمي أن العزوبي سكران ، فردوده تدل على ذلك ، ولسانه ثقيل ، وأن علم متيح ونشبة بذلك فسيذهبون لقسم الشرطة ويبلغون عنه ، وسيسجن.

انطلق وحضن العزوبي ملتفتاً على نشبة وهو يقول:

- خلاص يا نشبة إذا ما أعطاك قيمة العنز أنا أعطيك إياها ، انا كفيله.

تابع دفع العزوبي إلى الداخل دون أن ينتظر موافقة نشبة على كفالته للعزوبي، ثم أغلق الباب صائحاً بالجمع أن يذهب كل إلى أهله.

العزوبي يتمتم :

-خل اتفاهم مع هالعرجون □ وخويه هالبصوة □.

والسلمي يطيب خاطره:

-يا رجال ما عليك منهم ، انت أعقل منهم.

أجلسه في المصباح ، فاسترخى قليلاً وغط في سبات عميق.

عاد السلمي إلى فايز الذي كان ينتظر نتيجة اتهام نشبة له ببرود ، دخل

البيت ، وجده يقرأ فتاوى ابن تيمية:

-هاه يا السلمي ، وش صار؟

-صار العزوبي هو اللي صادم العنز ، ويبي يعطيهم قيمتها يا عم ، قالها

وهو كئيب محبط.

-انتهت المشكلة ، وش مضيق صدرك؟

-ها الأسبوع كرية يا عم ، أوله المسكين زميلي بالفصل عنيد ، وآخره

عنزة نشبة.

-وش سالفه زميلك عنيد؟

قَصَّ عليه القصة بالتفصيل ، من الرقص في بيت أم خلوي إلى الإيذاء

الجسدي والتسحيب بالفصل والطرده من الدراسة ، تحفظ على ميوعته

ولكنه أبداً إعجابه بأخلاقه ، وامتناعه من الإذلال الذي حصل له بالفصل

، وختم كلامه بسؤال لفايز عن العقاب الشرعي لعنيد ومن هم على

^١ نبات قصير ومتين .

^٢ تشبيهه لصغر حجمه .

شاكلته من تميع غير مقبول وتشبه ، يحرمه الدين والعرف ، وتمنى على فايز
الإجابة عن حيرته بين احتقاره لعنيد والعطف عليه في آن واحد.
بكل هدوء أوضح فايز قائلاً:

-يا السلمي الدين الإسلامي عظيم وشامل ، لم يترك شاردة ولا واردة إلا
وتطرق لها ، من كان من الناس ليس ذكراً كاملاً ولا يحسب من النساء
لا يعاقب إلا قدر المعصية التي تثبت عليه ، حاله كحال المكلفين في تطبيق
الأحكام الشرعية ، فإن أقام حدود الله فيعامل معاملة حسنة رغم نعومته أو
عدم اكتمال رجولته ، يصلى عليه عند وفاته ولكن تتخلف جنازته عن
جناز الرجال وتتقدم على جناز النساء ، والفقهاء أدلوا بدلوهم في هذا
الشأن بآراء مختلفة.

توضيح شامل من رجل متزن ، يثق به السلمي ثقة عمياء ، أراحه كثيراً ووضع
حداً لصراع داخلي عاشه خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ، صراع بين
احتقاره لعنيد من منظور اجتماعي والعطف عليه من منطلق إسلامي
وإنساني ، فعنيد لم يرتكب معصية سوى الرقص ، وقد سبقه إلى الرقص
رجال بشواربهم ، والرقص ليس محرماً بحد ذاته ، أما ميوعته فيبدو أنه ولد
عليها ، والحكم الإسلامي فصل في هذا الأمر ،

كم كان يتمنى أن يكون الأستاذ أبو رزة حاضراً ليستمع إلى هذه
المعلومات الإسلامية القيمة ، المنصفة لمن أصيب ببلاء ، ويرد عليها أن كان
يفهمها أصلاً ، وهل يفهم من كان يضع على جمجمته الصغيرة أكبر مقاس
للشماغ الأحمر يباع في الأسواق ؟.

-الجولة السادسة عشرة -

حادثة دهس عنزة نشبة فتحت الباب على مصراعيه لعلاقة متينة بين السلمي والعزاب الذين سكنوا الحارة حديثاً ، أصبح يزورهم كل ليلة ، يسمع كل ما يقولون دون أن يفهم منه شيئاً ، لم يستطع تقبّل كل ما يقال ، بل قل أكثر ما يقال ، أفكار ، أطروحات ، ثورات ، أيدلوجيات.

يسكن بيت العزاب اثنان فقط ، الأول اسمه خميس وله أسنان بارزة إلى الأمام ، والثاني ابن عمه جمعة شعره مفلّ ولأذناه كبيرتان.

هناك مشتركون كُثر ، لكنهم يرتادون البيت بشكل متقطع ، أعضاء صحيح لكن مع وقف التنفيذ ، يلبس الجميع غتراً بيضاء ، ليس منهم من يلبس الشماع الأحمر ، لديهم راديو ومسجل ، يملك خميس عوداً جيد العزف عليه ، جمعة يملك دباب حقباني ، الجميع يحبون الكشتات ، خاصة كشتات المنصورية ، وهي متعة ينشدها السلمي منذ فراقه لنفود الخب.

تعود أصول هؤلاء العزاب جميعاً إلى قرية "صحن دحيم" ، وهي قرية تقع جنوب شرق الرياض ، قدّم أغلبهم لتلقي العلم في معهد المعلمين المتوسط بالرياض ، يتردد عليهم -من خارج مدينة الرياض -شباب يكبر أصغرهم بعشر سنين ، هداياه كثيرة ومحددة ، كتب اشتراكية ، وشيوعية ، وبعثية ، وماركسية ، وقومية ، وتقدمية ، ورجعية ، وامبريالية ، ورأسمالية ، واخوانية ، وعلمانية ، وماسونية ، وصهيونية ، الخير كثير ، عفوا أقصد الشر كثير.

يسمّى هذا الزائر "سبيت" ، له شارب كثيف وشفته من الدخان أكثر سواداً من عتمة الليل ، أسنانه تميل إلى الاصفرار ، عيناه صغيرتان ، فمه مائل إلى جهة اليسار بشكل واضح ، يلبس على الدوام أثواب ذات قماش خفيف يُمكنك رؤية ركبتيه وفنيلته العالّق من خلفها.

يقرأ خميس وجمعة وبعض الأعضاء غير الدائمين ما يهدي إليهم من سبيت ، يقتنعون في الحال ، صفحة بصفحة يتم التعليق من قبل المحاضر الخبير ، سبيت بعد القراءة ، دون أن يطلب منه ذلك.

قُسّم طرْحُه للقضايا بحسب هواه ، ففي وقت الظهيرة وبعد أكل الكبسة المليئة بالبحر ، يكون الطرح طرحاً فلسفياً ، يجعل من الثورة البلشفية أعظم ثورة في التاريخ ، وقائداها فلاديمير لينين ، وليون تروتسكي عظماء الدهر.

أما الحديث بعد أكل الفول وشرب سيجارة دخان "أبو بس" ، فغالبا ما يكون عن ماوتسي تونغ زعيم المرحلة الأولى في تاريخ الحزب الشيوعي الصيني ، والذي حقق حسب رأيه انتصار الثورة الديمقراطية الصينية الجديدة ، وساهم بإظهار دور الفلاحين والقضاء على الرجعيين ، فهو رسول المستقبل الوطني لأي بلد ينشد العدل والرفق.

أما الحديث عن أبو عفلق وأبو خالد فيأتي ليلاً مع بيالة الماء الأحماني و المزه المكونة من جح وبسر □ .

زكريته ، يفتقدون إلى التمعن بمحتوى ما يهدي إليهم من كتب ، ولما يسمعون من تعليقات أو تنظيرات سببتيه !! ولكن ، هل يتمعن من لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر؟ ، وهو المتوسط الأعلى لأعمارهم ، هل يتمعن من تربى في قرية صحن دحيم؟ ، ل يتمعن من كان موجهاً في سن الطفولة والتأسيس من لابس شماغ أكلته المفضلة عكرة الضب؟ .

راديو ، دباب ، غترة ، عود ، كتب غريبة ، أدوات دفعت السلمي للانضمام بسرعة البرق إلى شلة عزابي حلة الفحم ، شلة تختلف معه في أشياء كثيرة ، لكنها تتفق معه بالزكرته والهوى ، أصبحوا يستقطبون اهتمامه.

¹ البلح.

قل اهتمامه بشلة الحارة، شله الحارة التي بدأت الهوة تتزايد بينه وبين أعضائها.

رقلة وطقطق انقطعت الاتصالات معهم منذ مدة.

مغير لم يغفر له بعد كشفه لسر عنيّد.

كحلة هو الوحيد الذي يراه بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعياً، يلتقي به عند سرور في بيت غرسة، يلعب معه لعبة القط والفأر، إذا أتى كحلة لبيت غرسة غادر السلمي، لينتظر متى يغادر حتى يأتي من جديد، والأعذار للخروج والدخول كثيرة، المهم أن يأنس بقرب النورية شيخة.

الضعيف الدائم لشلة العزّاب سبيت هو ما يزعج السلمي باستمرار، لم يأنس السلمي، يعامله بشكل رسمي، يكره سماع السلمي وهو يغني على الرابة، وهي الإبداع الوحيد الذي يفتخر به، يقاطعه دوماً عند استشهاده بأي قصيدة يحفظها بقوله:

خرايبط الاولين ليست مرجعا يستعد فيه يا السلمي.

لو لا معروف السلمي على خميس في حادثة دهس عنزة نشبة لأبان سبيت الجفوة علناً له، معروف له شأن عظيم، ملم الموضوع بالوقت المناسب وأنقذ خميس من السجن والجلد.

ينفرد سبيت بين وقت وآخر بخميس وجمعة، لقول شيء ما في مكان منزوي بالمنزل، بهدف السرية وإشعار السلمي أنه لا زال غريباً، ولم يوثق به حتى الآن.

تعقب هذه المداولات السرية مطالعات كتابية، ومراجعات فكرية، يُقصد استبعاد استفسارات السلمي عنها، وعدم إعطائه أي اهتمام.

لاحظ السلمي في اليومين الأخيرين استعدادات مكثفة غير عادية، هناك وفد مهم يستعدون لاستقباله، يبدو أنه قادم من خارج الرياض، زاد من

ارتيابه قيام سبيت بإصدار توجيهات بتفريغ إحدى الغرف ، يبدو أن هناك بضاعة ما سوف تجلب معهم ، المفروشات نظفوها ، الأواني غسلوها ، وصورة الزعيم الخالد علقوها ، وأين ؟! يا للجور ، بديلاً لصورة الشحرورة ، علقت في أعلى منتصف جدار المجلس الرئيس ، جُهِز المجلس ليكون غرفة اجتماعات رئيسية مع هذا الوفد المجهول الهوية.

لم يستفسر السلمي أو يعلق على ما يراه من استعدادات ، ليقينه التام بأنه لن يحصل على أي إجابة ، ما دام سبيت هو المشرف العام على هذه الزيارة.

الوقت ظهر يوم الجمعة ، وضع العزاب السفرة استعداداً لتناول طعام الغداء الذي أعده خميس ، كبسة رز مع لحم حاشي ، اشتراها السلمي من أبو مغير .

في هذه الأثناء صعد سبيت على المتكأ ، أخذ يمسح صورة الزعيم برفق وعناية.

لم يستطع السلمي إخفاء ما يشعر به تجاه توجهات الشلة غير المنضبطة حيال السياسات العارمة ، والزممر والتطويل على غير هدى لزعماء ليس فيهم من الزعامة إلا تزعيمهم ، أمسك بالسفرة من الطرفين وكأنه يعدلها رافعاً رأسه تجاه سبيت ليدعوه إلى النزول قائلاً:

-هاالحين لو انك معلق صورة الموحد لهذه الأمة المؤسس لهذا الكيان ، الذي تنعم أنت و أهل قرية صحن دحييم كلهم بخيراته ، وتقلع صورة البك باشا مهزوم الملايين ما هو بأوفق؟

نزل سبيت من على المتكأ إلى الأرض بحركة استعراضية ، لا تنبئ بردة فعل غاضبة ، ولكنه غير ذلك ، ثم قال بأعلى صوته:

-شف ياراعي الربابة ، كلش ولا حبيب الملايين.

-يا رَجَّال وشي ملايينه !! عشرة عسكر فصخوا البدل وقاموا يهايطون بالشارع ، الملايين صدق موجودون في أطيانهم وإلا في بيوتهم ، وبعدين وش يحبونه عليه؟

ثالث بلدهم احتل والزعيم على الزعامة ،
الجيش أهنت كرامته والزعيم على الزعامة ،
الأحزاب وحرّياتها غيّبت والزعيم على الزعامة ،
العاصمة تغسل شوارعها بالصابون قبل أن يأتي والآن شوارعها مليئة بالأوراق الممزقة والزعيم على الزعامة ،
أعطيت جائزة زعامته الميمونة للفنانة المحترمة "برلنتي" على حساب الممثلة الفاتنة بنت حمامة والزعيم على زعامته.

هنا توقف السلمي فجأة مستغرباً على نفسه هذا الاسترسال المتمكن وأحس بأن الإدمان على الإذاعات السياسية ، والمشاهدة شبه اليومية للأفلام السينمائية في مقهى أبو رقلة أعطت ثماراً طيبة ، وإن كانت هذه الثمار غير مكتملة النمو.

دخول خميس حاملاً الغداء أوقف الجدل ، وضع الغداء على السفرة ونادى الجميع:

-تغدوا الله يحييكم على خير السلمي ، كبسة لحم حاشي.

تكفل السلمي بغداء هذا اليوم ، أخرج سبيت ، وجعله يتردد في الرد على التهكمات على الزعيم بألفاظ نابية ، واكتفى بعدم الاقتراب من الطعام ، مشروطاً لتناوله دفع قيمة لحم الحاشي ، امتناع خبيث يريد من ورائه إضاعة الفرصة على السلمي لرفع أسهم كرمه عند شباب قرية صحن دحيم ، ولأنه متأكد بأن السلمي لن يقبل ما عرض عليه مقابل كرامة تكرم بها ، أخرج من جيبه ثلاث ريات ومدّها إلى السلمي قائلاً:

-تبغاني آكل ياالسلمي هذي قطتي بلحمة الحاشي اللي شريتها.

أحس السلمي بحرج ممزوج بالغضب ، مع الحرص بأن لا يُظهر هذا الغضب ،
سمى باسم الله ومد يده للأكل قائلاً:

-رجّع ريالاتك بمخباتك يا سبيت ، هذا مهوب سلمنا[□] نأخذ قيمة كرامتنا
، هذا سلمكم يا الاشتراكيين.

تضاعف غضب سبيت ، تهكم على الزعيم وتسطيع لمفهوم الاشتراكية ،
قرب من السلمي ، سحبه من الكتف ، طالباً الإنصات التام لكلامه:

شف يا السلمي حنا لولا انك تلبس غترة بيضاء ، كان ما سمحنا لك تصير من
ربعنا ، لو ما لاحظنا عليك الحس التقدمي ما سولفنا معك ، لو ما اقتنعنا
بوجود بذرة ثورية قابلة للتبلور عندك لما تحملناك ، واليوم واضح من وصفك
السطحي للاشتراكية إن الجهل متجذر فيك ، والتقليدية مهيمنة على
التقدمية عندك ، لكن من حظك إن هذه الليلة بيجيننا زوار ، فيهم عالم
الكلام الأوحده أبو زليخة ، ينورك ويشرح لك كل ما تريد أن تعرفه.

قبل أن يرد السلمي على كلام سبيت طُرق الباب بقوة.

قام سبيت ، وهو الكبير ، لفتح الباب ، فالبقية مشغولون بالأكل ، بعد
دقيقة عاد ووقف على رأس السلمي وقال باللغة الفصحى وكأنه يهزأ:

-كحلة ومغيبر و رقلة وطقطق ، يطلبونك على عجل ، أشوا إنا ما توهقنا
فيك ، وهذا مستوى جلسائك.

قفز السلمي من السفارة على عجل توجه إلى الباب:

-هاه يا عيال وش عندكم ، عسى أهلي ما فيهم شيء.

أبو محسن جاركم يا السلمي ، يطقون عليه الباب ما يفتح من أمس ، حتى
صلاة الجمعة ما قام لها ، أكيد فيه شيء ، تعال اطمر من بيتكم على بيته
عشان تفتح الباب ، معلومة ردها الأربعة مع فارق التوقيت.

تفاعل السلمي بالركض منطلقاً لتنفيذ المهمة دون أن يعود ويلبس حذاءه ،
والأربعة وراءه.

¹ طريقتنا أو اسلوبنا.

وجدوا أبو كحلة وأبو مغير وأبو رقلة وأبو طقطق مجتمعين عند باب أبو محسن ، ينادون بأعلى أصواتهم:

-يا أبو محسن ، افتح ، افتح.

بمجرد مشاهدتهم للسلمي ، طالبوه بالقفز من سطح بيتهم إلى سطح بيت أبو محسن بسرعة ، فالجداران متلاصقان.

نفذ عملية القفز بحميّة واضحة ، نزل مع الدرج إلى الأسفل ، وبدأ المناداة والبحث عن أبو محسن ، غرفة غرفة.

-أبو محسن وين أنت ، 0أبو محسن أنا السلمي وين أنت ،

سمع بعدها أنين من الغرفة المجاورة للمطبخ ، دخلها على عجل ، رأى أبو محسن بين الحياة والموت ، فتح الباب لمن هم خارج البيت ، ليدخلوا جميعاً ويحملوه إلى المستشفى ، بعد أن أحضر تاكسي من شارع السبالة.

أحس بارتياح بالغ لمساهمته بإنقاذ أبو محسن الجار الكفيف ، المؤدب ، المصلي ، الصائم ، الكريم ، صاحب ومنتج اسطوانات نعيمي فون ، صديق الفنانين فتى الشميسي ووحيد منفوحة وثالثهم الفنان ابن الصحراء ، والذي عادة ما يسجل لهم أغاني عديدة في ليلة الجمعة بحضور أبو كحلة وأبو مغير وأحياناً ينظم إليهم أبو طقطق وأبو رقلة.

تمنى لو لم يترك حذاءه عند العزّاب ليذهب معهم إلى المستشفى ، وليطمئن على حالة أبو محسن المرضية ، الحالة الغريبة ، وتكمن غرابتها في تكرار توقيت تردّي حالته الصحية ، فكلّ نهار جمعة ينتكس ، كله من سهرة ليلة الجمعة ، لا بارك الله في تلك السهرة.

عاد إلى شلة العزّاب ليأخذ حذاءه ، فتح له جمعة الباب ، قابله بشعر منفوش ، وهو الذي لطالما كان شعره ممشطاً ، عيناه مُحمرتان ، لم يغب كثيراً ، أقل من ساعة ، ما الذي تغير ؟!

تجاوز جمعة باتجاه الديوانية، ليجد سحابة من الدخان الأزرق قد عمت
المكان، وخميس يعزف أغنية
ليالي الأنس (في فينا) ،

مع تغيير في الأبيات

، ليالي الأنس (في صحن دحييم) ثم يكمل ،نسيمها من هوى الجنة
، فيضحك سبيت ويتبعه بالضحك خميس وهكذا، طرفة تتكرر ،ضحك
بلا داعي.

سَلَم السلمي ،جاوبه سبيت:

أوه ،رجعت بسرعة ياالسلمي ،انجَزت المهمة المستعصية على ربعك ،والا
جاي تعرمش لحمة الحاشي اللي قمت ما عرمشتها، ترى خرينا لك عظمتين؟
قهقه الجميع.

أجاب السلمي بتحفظ:

اي نعم أنجَزت المهمة ولله الحمد ،اما لحمة الحاشي فانطلوها بالخرابة اللي
جنبكم ،تاكل منها الكلاب، انا جاي آخذ نعالِي.

خذ نعالِك ،بس لو سمحت لا تخلي ربعك هاالكرب¹ يطقون بابنا مرة ثانية
،نحن شباب مفكرون ومهمون وسيزورنا أناس عزيزون هذه الليلة ،ولا
نرغب أن يروا مثل هذه الأشكال تتردد على بابنا، وبالنسبة لدعوتي لك
الليلة فارجو أن تصرف النظر عنها، اعتبرها ألفت ،يبدو إنك لم تتضج بعد
لملاقة مثل هؤلاء المفكرين ،ما دام ربعك من هاالنوعية ،ومدام انك مندفع
بهذا الشكل ،0 ترى ياالسلمي ما كل من لبس غترة بيضاء يستاهلها،
وأقترح عليك تلفع بشماغ أحمر.

غضب السلمي من هذا الحديث المستفز ،ولكنه ما زال يسيطر على ترتيب
ردوده التي رد بها على سبيت قائلاً:

-ربعي يا سبيت رجال ،ما يجون بدون عزيمة ،ولا طقوا بابك إلا لضرورة.

¹ جمع كربة وهي اعقاب عسان النخيل عندما تتجدد.

-ابعدل خشتك ها المايله.

قهقه خميس ، بعد أن رمى العود جانباً ، ممسكا ببطنه من ألم الضحك ،
جمعة كاد أن يغمى عليه من الضحك ، وهو يقف بالمجيب.

التفت السلمي بعدها لخميس وقال:

-اما أنت يا البعيرصي[□] ، احلالاه بيد نجر والله.

-وش تبي تسوي فيها؟ ، قالها خميس وعيناه محدقة بالسلمي.

رد السلمي بعد تنهد عميق:

-ابهدم ضرورك ها الطافحه بفمك ، وابلّك اياها.

قهقه جمعة بصوت عالي ، ما أخرج خميس وجعله يلتفت لسبيت طالباً منه
إيقاف تعليقات السلمي بقوله:

-وبعدين مع ها الخبي؟

ارتاب السلمي وتراجع إلى الخلف دون أن يلتفت ، قاصداً الباب ، ليطأ قدم
جمعة دون قصد ، صرخ جمعة من شدة الألم:

-عمى إن شاء الله ، ما تشوف يا الثور.

رد السلمي على عجل:

-أنا ثور يالقوبعة[□] ، حلالاه والله بالقاز اللي مغشوش بماء.

علق سبيت من داخل المجلس يريد العدل بتلقي السخرية:

-وش تبي تسوي بالقاز اللي مغشوش بماء.

رد السلمي وهو يفتح الباب:

-أبشب والله بها العوشزة اللي على رأسه.

وكان يقصد شعر جمعة المنكوش.

¹ برص 00 وهو من انواع السحالي المنزليه.
² طائر غير جميل.

وصلت القناعة مداها من الجميع ظالم ومظلوم ، ضال ومهتدي ، بأن الفراق بين السلمي والعزّاب خير لا بد منه ، هو في نظرهم المظلوم الضال ، وهم في نظرة الضلالة بعينها .

حدث شرخ كبير بينهم ، قبل السخریات المتبادلة ، هو أساء لرموزهم العينية والحسية ، فاحتقروه ، هم مسوا ثوابته الحياتية ، فكرههم ، علاقة لم تدم طويلا ، مرت كالبرق صرير الباب أشار إلى أن السلمي فتح الباب يريد المغادرة ، إذ بسبيت المخرج الرئيس لهذا المشهد الأخير ينادي :

هيه ، انت يا الخبي ، خذ ربابتك معك ، ولا تتس تغني عليها الأطلال .

يا	حبيبي	كل	شيء	بقضاء
ما	بأيدينا	خلقنا	تعساء	
ربما		تجمعنا		أقذارنا

ذات يوم بعد ما عز اللقاء

عاد السلمي إلى المجلس ليأخذ الربابة ، كان حذرا دخل وعينه على سبيت ، أخذ الربابة ، قال وهو يهم بالخروج ، بلغة عربية فصحي :
أنا لا أعرف أغنية الأطلال يا أخا العرب ، ولكني سأغني على ربابتي الغالية :

يامل فرقى العين صارت طلابه
أمسك بطرف غترته ، تلثم وغادر ، أغلق الباب بعنف ، سمع لدويه صوت ، اسمع به ، س كان طلعة الشميسي .

مشى بظلال الجدار ، لتفادي حرارة الشمس ، ليسمع وهو يغادر من خلال نافذة مجلس العزّاب ، تعليق سبيت الأخير على مغادرة السلمي شعرياً ،
ينشد :

لقد ذهب الحمار بأم عمر
فلا رجعت ولا رجع الحمار
وخميس وجمعة يرددون معه آخر حرفين من عجز البيتين.
آه ، كم هو متألم ، استهزاء على المكشوف ، خيبة أمل محبطة ، ومن من؟
من لابس غتر بيضاء.
إنها المرة الأولى في حياته التي يغضب بها من لابس غترة بيضاء ، هل هناك
أناس يلبسون الغتر سيئون بهذا الشكل ؟! يا لشماتة أهل الشمع به.
سؤال توقف عنده كثيرا وهو يمشي مطأطيء الرأس ، يحمل يمينه الربابة
، مكشوفة أمام الملاء.
مر من أمام بيت غرسة ، سمع البكم يصدح بصوت عال.
فقال في نفسه:
زين صديقي سرور طربان.
تفاعل في داخله ، عله يحظى بلقاء شيخة فتبرد نار غيظه التي أشعلتها إهانات
وتهكمات عزاب حلة الفحم ، الخائنين للغترة البيضاء.
طرق الباب بقوة ، فصوت البكم يعلو على كل صوت ، أخيراً سمع من
بالداخل طرق الباب:
-من عند الباب؟
-افتح يا سرور أنا السلمي.
فتح سرور الباب ثم استظرف قائلاً:
-وش عندك بها القايله مسير علينا ، الغدا وتغدينا.
-مادام أكلتو الغدا ، أجل أبعزمكم على العشاء ، وش رأيك أروح أجيب
لحيمة حاشي ، مع قرعة ، وتخلي أم شيخة ترق لنا مرييقة نطقطقها بين
العشوين □؟

¹ بين وقت العشاء والمغرب

سال لعاب سرور، شوقاً للمرقوق ورد بسرعة:

-شورك وهداية الله، اخلص علينا، وجب معك حزمة علف للعنز.

وضع الريابة عنده يريد الذهاب إلى شارع الشميسي ليشتري لحمة الحاشي التي لم يذق منها قطعة ظهر هذا اليوم، حرموه منها أهل الدخان الأزرق، والبيالة الأبحوانية، والزيارات المشبوهة.

لكن عليه قبل ذلك الذهاب إلى البيت ليُطمئن أخته عن غيابه هذا المساء، استشعاراً لقلقها عليه، وإبلاغها أنه سوف يتناول العشاء عند سرور، وليأخذ الدباب، ليحمل على سلته الخلفية مقاضي المرقوق كاملة، القرعة، ولحمة الحاشي، والطحين، و حزمة علف عنزة سرور التي أوصاه عليها.

في طريق عودته وهو محمل بالمقاضي، سمع صوت عربة حمار خلفه، مع صوت القراقيش[□] المعلقة على رقبة الحمار، التفت وراءه، رأى فنييس على عربة حمار والده متلثمًا، يقود العربة وهو يقف على قدميه، يضرب الحمار بقوة.

زاد السلمي من سرعة الدباب الخرينق، ليتحاشى أن يراه فنييس محملاً بالمقاضي والبرسيم، ويستفسر من أين، وإلى أين، ويخبر كحلة بذلك. لم يسمح له فنييس بالهرب، فحماره أسرع مع الضرب، لا يهتم للمطبات، عكس دباب السلمي الخرينق، بطيء ولا يحتمل المطبات، وسلته محملة بالمقاضي والبرسيم.

ما إن حاذى الحمار الدباب حتى عض حزمة العلف وسحبها يريد أن يأكل منها، وواصل مسيره، ولأن الحزمة مربوطة مع كرتون المقاضي على سلة الدباب بحبل واحد، فقد أسقطت السحبة الكرتون المملوء بجميع مقاضي المرقوق التي بداخله، تناثرت يمينا ويسرة، مُرّغت بالتراب، يبدو أن الحمار كان جائعاً ولم يصدق رؤية العلف.

¹ قطع معدنيه واجراس تعلق على رقبة الحمار.

أوقف السلمي الدباب ، بدأ يجمع حاجياته المتناثرة على الأرض وهو يردد :
-حسبي الله عليك يا فنيس، وين ما أروح ألقاك ، لعنبو شيطانه، صاير
(عكوز بكوز في كل مكان مركوز) ،والله إن فيه بلا على هالطفافة
وهاللطمة.

وصل بيت غرسة ،فتحت له شيخة الباب، محجبة بشيلتها الخفيفة ،معطرة
بدهن العود الذي أهدها إياها زمن التلاقي ، متزينة بمجول[□] أمها الذهبي في
معصمها، كانت على علم بمشواره ،لذلك كان الاستعداد مميزاً، أخذت
المقاضي الممرغة بالتراب ثم شهقت:

-ورا المقاضي كذا ، عسى ما طحت من الدباب؟

قبل أن يجيبها قالت غرسة وهي تكنس درج السطح المجاور للباب:

-اسم الله عليك يا وليدي ، عسى ما تكسرت؟

أحس بسعادة غامرة وهو يرى كل هذا الحرص عليه ،من جيران حارة لم
تتجاوز معرفته بهم ثلاث سنوات ،سبحان الذي فرّق بين الحنية هنا والجلافة
هناك

خرج سرور من داخل البيت بإزاره وهو يضحك متشمتاً ويقول:

-يا خوي خلوا الدبابات لأهلها ،وعودوا على السياكل.

ردة فعل السلمي على ما سمع من الجميع كانت هادئة إلى حد ما ، لم ينفي
ولم يؤكد سقوطه اكتفى بالتعميم قائلاً:

-يا جماعة لا تخافون ،شي بسيط.

ثم دخل الديوانية مع سرور متماسكين بالأيدي ،ليشربا الشاي ذا السكر
الزائد سوياً ،شاي صنعته يد شيخة وجهازته خصيصاً للسلمي عندما يعود
بلحمة الحاشي، فهي تعرف مزاج السلمي ،يفضل الشاي دبيسة[□].

¹ سوار ذهب.
² كثير السكر.

بدءاً يلعبان أم ثلاث، اللعبة الوحيدة التي يجيدها سرور، مع أن السلمي حاول أن يطور قدراته ليلعب أم تسع، ولكن هيهات، مخ سرور مقفل. مر عصر هذا اليوم ممتعا على الجميع، بالخاص السلمي، متعة أسرع بالوقت لتقفز به إلى ما بعد العشاء.

أحضرت شيخه السفرة، مؤشراً على جاهزية المرقوق، اعتت به كثيراً كي تثبت للسلمي قدرتها على الطبخ، وضعت صحن المرقوق بينهم الثلاثة، السلمي وسرور وغرسة، انظمت إليهم شيخه، جلست بين أمها وسرور، بدأ الجميع في تناول المرقوق، قبل أن يتذوق السلمي لحمة الحاشي إذ بالبواب يقرع بقوة ومعه صوت كحلة:

-افتحوا، افتحوا يا ناس بسرعة، أسرع شيخه لتفتح، إذا بكحلة في حال يرثى لها من الهلع، وقد فاحت رائحة جسمه وعرقه يتصبب وهو يقول:
-الحق ياعم، كلبشوا فنيش اخوي، وركبوه بالجيب، وما ندري ليه، ووين ودوه.

أسقط في يد سرور وقال:

-أبوك وينه ؟

-أبوي يا عم بالببيت يهبط أمني، هناك بس تصيح، وأختي شمة بغى يغشى عليها.

تداخل السلمي:

-وش السالفة يا كحلة ؟ ما يصير من الباب للطاقة يكلبشونه ويركبونه بالجيب.

-والله يا السلمي علمي علمك.

دخل سرور ليلبس ثوبه وتبعه السلمي ليغسل يديه من المرقوق الذي لم يأكل منه إلا لقمة واحدة ليس بها قطعة لحم.

وهم يهَمُّون بالمغادرة عند الباب إذا بمغير يقف أمام وجوههم ،وقد كان يبحث عن كحلة.

-هاه يا مغير وش السالفة؟

سأله السلمي وهو واثق بقدرة مغير على التوضيح المفصل ،متناسياً الجفاء السابق معه.

-السالفة كايدة ياالربع ،ثلاث جيوب غير الجيب اللي شالوا فيه فئيس، ضفوا العزّاب اللي ساكنين جنب الخرابة ، شفتهم يطلّعون كراتين واجد من بيتهم، ما أدري وش فيها ياالسلمي.

هل قال العزّاب !!؟ جلس السلمي على العتبة من الخوف ،لم تستطع قدماه أن تحملاه، كيف سلم من هذه المداهمة، لولا المجادلة التي انتهت إلى الخصومة ،ولقد ذهب الحمار بأم عمر فلا رجعت ولا رجع الحمار، كان يمكن أن يكون ضمن المتواجدين في البيت هذا المساء، ربما فعله للخير في إنقاذ أبو محسن ،هو ما منعه من تلبية تلك الدعوة ،الله أعلم، الحمد لله على كل حال ،الآن تبين الخاف ،كان مرتاباً من تفرغ تلك الغرفة من محتوياتها فجأة وبسرعة ، اه ،كانت تفرغ لتماماً بها هذه الكراتين التي أشار لها مغير، صار أقرب إلى الجزم أن ممنوعات ما داخل هذه الكراتين ستجلب مع الزوار المنتظرين ليلة السبت، هل سلم حقاً من هذه الفضيحة أم سيأتون إليه ويكلبشونه معهم، ولكن لا بأس أنا بريء عملاً ومكاناً.

الحمد لله ،إنه دعاءك يا أمي ،ولكن، فئيس كيف ارتبط بالعزّاب ،أصغر منهم، وأجهل منهم، وأسمر منهم.

هواجس وأسئلة اقتحمت مخيلة السلمي وهم يمشون متوجهين إلى بيت أبو كحلة، كم هو سعيد بنهاية هؤلاء العابثين الذين حاولوا الاستهانة بثوابته التراثية، حرصوا على التقليل من الزعامات الخالدة، استماتوا للرفع من شان زعامات الميكروفونات ليلاً والنوم نهاراً، آه ،كم يود لو أنه رقص

العرضة النجدية ابتهاجا بهذه النهاية العادلة لهم ، حتى وإن كانوا من من يلبسون الغتر البيضاء.

فجأة تذكر نصيحة والده المبنية على الحديث الشريف الذي طالما رده والده على مسامعه في حالات مشابهة وهو قول صفوت الخلق صلى الله عليه وسلم: (لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك) تعوذ من الشيطان مرات ثلاث عله يرجع إلى صفاء النية.

الحارة شبه هادئة وكأن شيئاً لم يكن، كانت المداهمة احترافية بامتياز، بحيث لم تحدث ضجيجاً أو شجارات مع الأهداف توقظ السكان من سباتهم.

وجدوا باب بيت أبو كحلة مفتوح ، وأم كحلة تفرك يديها ، و أخته شمة تبكي، تتحنح السلمي لكي تغطي أم كحلة و أخته الجالستان بالمجيب مع أبو كحلة ،

بعد السلام وتطيبب الخواطر فتحت الجلسة لمناقشة غرابة إلقاء القبض على فنييس في قضية العزّاب ، وهل يعرفهم؟ وما دخله بالكراتين ومحتواها؟ لماذا التقطوا أصحاب الجيب صور فوتوغرافيه لحمار أبو كحلة والعربة وفنييس بجانبها عقب إلقاء القبض عليه؟

أسئلة كثيرة لن يساعدهم على إيجاد الإجابة عليها إلا رقلة ، نعم رقلة ، أقاربه يعملون بإدارة أهل الجيب الأشداء ، اقترح طرحه السلمي عليهم ، وافقوا عليه جميعاً بلا تردد ، كلّف السلمي ومغيبر بالذهاب فوراً إلى بيت رقلة ، وإن لم يكن هناك فسيجدانه في المقهى ، يتفرج على السينما.

تم اللقاء برقلة ، طلب منه الإفادة بأسرع وقت ممكن عن وضع فنييس ، فوالده ووالدته على أحر من الجمر خائفين على مصير ابنهما.

ضحى السبت وصلت المعلومات شبه المؤكدة من أبو رقلة لأبو كحلة ، أن العزّاب المقبوض عليهم يشكلون خلية تمويل من الخارج للترويج لأيدلوجية

مخالفة لنهج هذه البلاد ، وأكثر من ذلك ، ثبت بما لا يدعو للشك بأنهم يقدمون الدعم اللوجستي لجماعات تخريبية للتفجيرات التي وقعت في شارع البطحاء ، ودور فنييس كان بنقل هذه المنشورات وبعض الأدوات المستخدمة ، دون علم وإدراك منه بما يقوم به ، مقابل مبلغ من المال وعشاء طحينية وفطور جبن كل يوم ، أما وجبة الغداء فغير مسموح بها فوقتها يتعارض مع وقت نقل الحمولات ، فالقيلولة وقتاً ، وعربة الحمار وسيلةً ، كانت للتمويه والسرية.

فنييس من نصحهم بالسكنى بجوار الخرابة ، ليكونوا قريبين منه ، تعرّف عليهم منذ أكثر من سنة بسوق الزل عندما حمل لهم بضاعة ، استغلوا صغر سنة ، وحبه للمال ، وحبه لأكل الطحينية ، ليعمل معهم ، كانوا يحرصون ان لا يقابل فنييس احد في منزلهم اثناء تنفيذ المهمات .

لا فائدة ، فنييس سيقضي عمره كله بالسجن ، هذا إذا لم يطبق عليه حكم الإعدام ، قناعة رسخت لدى جميع سكان حارة الفحم بما فيهم والداه.

متيح لم يكن مسرورا من إلقاء القبض على العزّاب ، فهو لن يحصل على دية العنزة السورية بعد الآن ، يا للحظ العاثر كان من المفترض أن يستلمها آخر الشهر حسب الموعد المتفق عليه مع داهس العنزة خميس.

أناني ، لم يتعاطف مع جيرانه في مصيبة ابنهم فنييس.

نشبة كان في غاية الانبساط لإهانة أهل الغتر البيضاء بالكلبشات ، باختصار وجد موضوعا ، يتشمت به على جيرانه في مصيبتهم.

لعل يردد بصوته المنكر بين وقت وآخر ، أهل الغتر لا يأتي منهم الخير أبدا ، لم يكثرث بجيرانه في مصيبتهم.

فايز النباش سخر من السلمي عندما طلب منه التوسط في إطلاق سراح فنييس قائلاً:

-من عقلك يا السلمي تبيني أتوسط لفنيس ، ثم رفع إصبع يده اليمنى باتجاه موقعي بيت أهل فنيس وبيت العزّاب ، هذا فنيس وعزوبه متآمرين على دينهم ووطنهم ، يستاهلون ما يصدر بحقهم من عقوبة ، اتركهم ، وخلق أعقل.

كونت لجنة أعضاؤها ، أبو كحلة ، وأبو رقلة ، وأبو طقطق ، وأبو مغير ، والخباز ، وسكرتيرها السلمي ، ومتحدثها الرسمي مغير ، مهمتها البحث عن مخرج لتخفيف العقوبة عن فنيس وإطلاق سراحه بأسرع وقت ، تم استبعاد كحلة وعمه من اللجنة لعدم الكفاءة ، فايز النباش لم يرشح أصلا بسبب اعتراضه على أعمال اللجنة.

حاولت اللجنة ، وحاولت ، لا فائدة فنيس مذنب ولا بد من عقابه.

بعد هذه الاحداث المؤلمة مرت الأيام المتبقية من السنة الدراسية للسلمي في فصل سادس (ب) باهتة لا طعم لها ولا لون.

كحلة انقطع عن الدراسة بسبب سجن أخيه ومرض والده وتحمله مسؤولية الحمار والعربة والبيت لوحده.

مغير أكثر من الغياب دون علم أهله وساءت حالته النفسية بعد أن تزوجت بنت الخباز ابن خالتها "زهير" ، بعدها فكّر جدياً في الدخول إلى سوق الجزارة المثمر ، وترك التعليم لأهله.

طقطق ورقلة واصلا تحصيلهما العلمي الايجابي في المرحلة المتوسطة بعد أن تخرجا من المرحلة الابتدائية العام الماضي.

السلمي يريد أن تنتهي هذه السنة على خير ويحصل على شهادة سادس ويدخل عالم التجارة من خلال ريع الدكان الذي يبيع فيه في سوق أوشيقر ، سيّنه لم يعد يسمح له بمواصلة الدراسة ، فعمره قارب الثامنة عشرة ، صار أكبر من أن يوبخ من مدرس يلبس شماغ أحمر ، أو يؤمر بمسح السبورة من مدرس يأكل الثوم.

يسعى للاستقرار مع المزيونة النورية شيخة بأسرع وقت ممكن ، فلقاؤها
أنس، ورؤيتها تسعد الروح.

ظهرت النتائج بمدرسة شارع عسير للبنات ونجحت شيخة ، أعلن أسماء
الطلبة الناجحين في الإذاعة وكان اسم السلمي ضمن أسماء الناجحين
لمدرسة حلة الفحم ، لم يفرح كثيراً فهو لا يرغب بمواصلة التعليم لكبر سنه
، ولا يرغب بالتوظيف لميوله التجارية التي تولدت لديه من ممارسته للبيع
والشراء في العطل الدراسية السابقة ، والاهم لديه من هذا كله حبه للعمل
الحر الناتج عن عشقه المستميت للحرية وكرهه للعمل تحت الأوامر.

فرح فايز بشكل خاص ، فنجاح السلمي دلالة على حسن توجيهه ورعايته
الصحيحة له ، يالسعادته ابنه السلمي نجح وهو الذي لم يرزق بأبناء.
أرسل رسالة لأمه يبشرها بالنجاح فهي لن تسمع الإذاعة بالتأكيد لحُرمة
الاستماع للراديو بالخـب ، حُرمة يراها بعض المتشددین أشد من حُرمة
السفور.

شيخة أكثر الفرحين بنجاح السلمي فقد صنعت وجبة عشاء من الجريش مع
لحمة هريفي بتأييد من أمها احتفاء به ، مع الحرص على أن لا يعلم سرور عن
مناسبة عمل الجريش.

تم تحديد الموعد ليكون غداً الخميس بعد صلاة العشاء ، السيناريو الذي
أعدته شيخة بموافقة أمها أن يقال لسرور إن مناسبة العشاء نجاح شيخة
وانتقالها لمعهد المعلمات المتوسط ، وأن يزور السلمي سرور زيارة عادية
، عندها سيطلب سرور منه الجلوس ولعب أم ثلاث و تناول العشاء ، وإن لم
يفعل ستدعوه غرسه بنفسها للبقاء معهم وتناول العشاء ، المهم أن يكون لدى
السلمي علم بأن الجريش صنع فرحاً بنجاحه.

تزين السلمي ولبس الثوب المفصل تفصيلاً ولم يُشتر جاهزا ، وضع عليه من
طيب الكلونيا ، سرح الشعر الطويل ، جعله متدلّياً فوق أذنيه كي يبدو أمام
شيخة وقد تحلى بآخر الصرعات الشبابية.

قصد بيت أم شيخة ،فتح له سرور وكان في حال نفسية جيدة ،وهذه حال سرور عند انتظاره لأي طبخة فيها لحم.

-هلا أبو السلايم، اقلط ،اقلط، وش هاالتشخيص والله لو انك تبي تصور.

ارتاب السلمي من تعليقات سرور ،ظن أن وراء الأكمة ما وراءها فسارع إلى القول:

-والله أنا ياسرور معزرم على عرس وقلت أمر خويي سرور أشرب ببيالة شاهي عنده ،وأسلم عليه ،وأكسر رأسه بأم ثلاث ،قبل أروح.

-العرس ،اللي ،تبي تروح له ،عشاهم غنم والا بعير؟
أحسن السلمي بأن سرور يفكر بالذهاب معه للزواج المزعوم ،فكذب عليه قائلاً:

-يقولون ياسرور إنهم ذابحين للعشاء بعير هرش ،ولحمته أكيد يابسة.
-ما دام إن عشاهم لحم هرش ،ياشور عندي لك ياالسلمي، اقعد تعش معنا ،طابخين لحيمة هريفي مع جريشة باللبن ، لا تفوتك.
لم يصدق السلمي أن سرور نطق بهذه الجملة ،وبأسرع من البرق وافق متظاهراً بالتردد:

-والله ما ادري يا سرور ،العشاء مهوب ذات أهمية ،المهم جلسة معك ،تدري عاد ،شورك وهداية الله ،اللهم اني هونة عن روحة العرس.
أقبلت شيخة بغطوتها الخفيفة وتبعتها أمها بالغطوة الكاملة ،التي أصبحت تتغطى بها عن السلمي عندما شعرت بضرورة لبس الغطوة عنده لكبره ،رحبن به ،جاء الشاي ،طابت الجلسة ، اقترحت أم غرسة أن يقوم سرور بتوصيل مطبقية جريش لأخوه أبو كحلة الطريح على فراش المرض والذي ينام مبكراً وكانت حريصة جزاها الله خير وقد تم انجاز الطهي مع المغرب لهذا السبب .

رفض سرور القيام بتوصيل المطبقية ، متسائلاً لماذا لم يتم دعوة كحلة
للعشاء ، ليأخذ عشاء والده معه ، أو أن تقوم شيخة بتوصيل المطبقية.

هنا علا صوت غرسة وهي تقول:

-تبي بنتي تروح بها الليل وتلقط.

تدخل السلمي بشهامته المعهودة:

-أنا أروح أجسرها ياخالة.

احمرت عينا سرور وقال:

-وش اللي تجسرها ، وراك ما توديه انت بروحك ، وتخلي كحلة يجي

يتعشى معنا؟

ارتبك السلمي وسارع إلى القول:

-مستعد يا سرور ولا يضيق خاطرك ، هاتي المطبقية ياخالة.

أشعل سرور السجارة احتفاءً بنهاية إشكالية توصيل المطبقية وقال:

-عجل علينا يا السلمي ، أخوي ينام وقت العشاء .

احتراماً للسلمي ، ولكي لا تتأثر يده من حرارة المطبقية ، أحضرت غرسة
فوطاً لفت بها عرى المطبقية ، أمسك بها السلمي ليرفعها وهو ينشد بصوت
خافت:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدوا له ما من صداقته بد

سمعه سرور دون أن يعرف ما يقول فصاح به:

-وش تقول انت بالخبي ؟

استدار السلمي بعد وقوفه حاملاً المطبقية وأجاب :

أغني:

يا بن سالم ترى قلبي عليكم حزين

والسبب صاحبي زعل ولا ارضيتاه

تحول سرور من غضبان إلى طربان وغنى البيت الذي يليه في القصيدة وهو
يفتح راحت يده للسلمي كشرح نظري لمعنى البيت:

صاحبي ينقش الحنا بكف حسين

مثل نقش المطوَّع بالقلم والدواة

توجه السلمي بسرعة إلى بيت أبو كحلة ، عندما صار قريباً من بيت أبو
محسن المجاور لمنزلهم، رأى الفنان وحيد منفوحة متلثم بغترته البيضاء ، قد
استلقى على شحنة بطحاء أمام بيت أبو محسن، وأبو محسن على رأسه
يتحدث إليه بتوسل بأن يصعد إلى الروشن ، قبل أن يعلموا أهل الشمع الحمر
، ويطلبوا عليهم ، فيقتادونهم إلى الشرطة.

وضع السلمي المطبقة على الشحنة، وقرب من الفنان وحيد منفوحة وشم
رائحته ، افاااا الفنان سكران!!

تعاطفاً مع أبو محسن الخائف من الفضيحة صاح به يريد تخويفه قائلاً:

-وش عندك منسدح بالشارع؟

فك الفنان وحيد منفوحة اللثمة ، تحقق بالنظر الى السلمي ، ثم قال:

-تقلع لأفقع وجهك بذا الحصاة ، وأمسك بحصاة ليست كبيرة ، يومي بها
تهويشاً.

خاف السلمي ، قرر تغيير أسلوب الترهيب إلى ترغيب ، وبصوت هادئ:

-يا فناننا الأسمر ، وش اللي مزعلك بس؟ ووش يرضيك؟

عبارة استقاها السلمي من "قاموس الجرش للتعامل مع أهل الخرش" ، عندما
يتوترون.

-شف يا الأخو ، ما كان شرط كان سلام ، متفق أنا ويا ذا العمى ، وأشر

بإصبعه إلى أبو محسن صاحب اسطوانات نعيمة فون ، متفق على مبلغ

1200 ، ريال واسجله أغنية

ما راح من عمري على واجب انساه

وابدا حياة ما بها شك واوهام .

على وجهين، يعطيني 600ريال على الوجه الأول للاسطوانة و600ريال على الوجه الثاني ، عطاني حق الوجه الاول ،ولا نيب مغني الوجه الثاني الا هو معطيني الباقي.

التفت السلمي لأبو محسن وقال:

-عطه الباقي ياأبو محسن ،وخله يسجل ،واخلص.

-يا رجال هذا سالفته سالفه ،الدفعة الاولى استلمها وخرّجها ،وهاالحين يبي دراهم علشان يشتري مشروب ، وأخاف يكثر وييدا يعطي خيط وخيط، ولا يضبط التسجيل، نقعد عاد سنة كامله ندوره علشان يكمل الاسطوانة.

لمح السلمي متيح وهو قادم مع زوجته وأبنائه منهيًا زيارته المعتادة عند أهل زوجته والتي تتكرر كل ليلة جمعة ، اقترب السلمي من أبو محسن ليخبره عن مرور متيح ،كونه كفيف ،ويطلب منه ،أن يتوقف عن الجدال مع الفنان وحيد منفوحة ،حتى يغادر متيح ،فهو حريص على كشف المستور للجميع ، عند محاذاته لهم، تأخر متيح بالمشي وهو يقول:

-وش عندكم متبطحين على ذا الشحنة؟ وري ذا الادغم متلطم بغترته ،هو ضرسه يوجعه ؟ وش ذا المطبقية ؟ تعشون في الشارع ؟ الظاهر أنكم ما انتم صاحين .

أكمل المسيرة، خاف أبو محسن ،وأخرج المبلغ من جيبه ،وأعطاه الفنان وطلب منه الصعود إلى الروشن بأقصى سرعة ، وافق الفنان على إكمال تسجيل الوجه الثاني لأغنيته الجديدة حسب الاتفاق، ولكن قبل ذلك طلب الأذن بالذهاب للدكان القريب لشراء ميرندا ومشروب ، وافق أبو محسن على مضيض طالباً منه الاستعجال قدر الإمكان.

السلمي أوصل مطبقية العشاء لأبو كحلة المريض ،ودخل للاطمئنان عليه بانتظار كحلة لإبلاغه بدعوة عمه سرور لتناول العشاء معهم.

أفادته أم كحلة أن كحلة عند مغير ، وسوف يأتي بعد قليل ، اعتذرالسلمي
عن عدم استطاعته الانتظار أكثر ، حرصاً على عدم التأخر على سرور
، واكتفى بوقت مقتضب شرب خلاله بيالة شاهي على الماشي .
خرج عائداً ليجد تجمهرا عند بيت أبو محسن ، أسرع الخطى ليتحقق في
هذا الظلام لمعرفة زوار الليل للضرير أبو محسن.
اووووووه ، انكشف المستور.

هذا متيح ، المتجسس ، والمبلغ الرسمي عن الوناسة.
وهذا لعل ، يوبخ المفضوحين ، رأس الشماتة.
وهذا نشبة ، شاهد إثبات ، حق أريد به باطل.
وثلاثة شبان أشداء ، والرابع سنيينة ، يقفون على باب أبو محسن الكفيف.
يا للغرابية ، سنيينة الأبكم مع أهل الشمغ ؟ ، هل ترك تجارة الأكوات في
حراج الرخوم ، واشتغل معهم وأصبح أبو طماطة ، حامي حمى الأخلاق ؟
يحمل كل فرد من أفراد القوة سلاحاً ، وهو عبارة عن خيزرانة محناة من
طرفها العلوي ، ويتمثل عمل القوة من الأفراد بالتنفيذ المباشر لإلقاء القبض
على المفضوحين ، وتسليمهم لأعرابي يلبس شماغ أخضر ، على رأسه عقال
حجمه أكبر من اللازم ، عقال بهت لونه من الأتربة بعد أن كان أسوداً ، لم
يكن معه كلبشات ، فكلبشاته غتر المفضوحين ، تربط يدي المفضوح
بغترته من الخلف ، قائد العملية رجل في منتصف العمر له حواجب كثيفة
، وساق سفلي يقدر قطر دائرته 15 سم على اقل تقدير ، كحلة ومغير
جمهور صادف عودتهم وجود الفضيحة ، نساء الحارة ينظرن من فوق
السطوح ، الرجال بدؤوا يتوافدون إلى موقع الحدث ، والقائد حريص على
إثبات الواقعة بالمعلومات الصحيحة وذلك بالتحقيق أمام الجمهور بصوت
عالي ، والتفاتات هنا وهناك.

-اسمك ياابو براطم ؟

-اسمي وحيد منفوحة .

-ابخليك وحيد المصمك انت وبرا طمك 00 انت شارب ؟

- لا حيه ههههههههه.

-اربطه هذا خالص ، عطونا الثانى .

-اسمك يا طويلا ن؟

-اسمي أبو رقلة .

وصاح متيح : هذا يا قائد راع القهوة اللي مقابلة المستشفى ، فيها تلفزيون

00وسمعت إنه في آخر الليل يعرض سينما.

-ابخلِك ما عاد ترقل إن شاء الله، أنت شارب ؟

- لا والله أنا جاى أسمع تسجيل الاغنية الجديدة.

-عشان يقول لك بالتسجيل عاش رقلة ، امش امش الراضى كالفاعل

، خذوه ، اربطه جنب خويه .

-اسمک یا عمیان ؟

-اسمى أبو محسن.

وصاح متيح : هذا اللى مجمعهم يا قائد ، وراعى اسطوانات نعيمى فون .

-الله لا يحسن إليك يا أبو محسن ، انت شارب؟

-مالك لوى.

-اللہ یلوی رقبتك ، ويحرقك بنهار جهنم 100اربطه.

- اسمك یا بزر؟

-اسمی قبون.

وصاح متيح: هذا حدث صغير يا قائد ، وش جابه عند أهل الفتر الكبار

00شاکی أنا باقائد 00 شاکی .

-وش جابك عندهم؟

-انا المروس .

-انت شارپ ؟

-واللہ شارب شاہی بس .

-عساك والله الشهوة ، اربطوه مع العمى .

لم يستطع السلمي الذي تجمهر أخيراً مع رجال الحارة الذين تجمهروا ، أن يسكت على قول الصواب وبالأخص وهو يرى أبو رقلة ، وقد بدا مهاناً محبطاً لا يستطيع النظر إلى الأعلى ، دبت فيه الحماسة وهو يرى أبو محسن يهدد بعصاه خائفاً ، تقدم على فايز الذي كان يقف بجانبه وقال :

-أنت يا قائد ترى السكران فيهم واحد ، وانت اتهمتهم كلهم والله عز وجل يقول في محكم كتابه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾¹ .

-حنا أبخص بتفسير الايات تقلع ياورع انت وغتيرتك.

-وين أبخص والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: : «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»² ، وانت حاطها حراج الله يهديك ، فضحت ناس مصلين صايمين.

-نحن نطبق حدود الله يأبو غتيرة ، ومراقبينهم من لحظة ما اشتروا المرندا والمشروب.

-يعني كنت تعرف أنهم سيرتكبون معصية يغضبون الله فيها وراضي أيها القائد الفذ ، وري ما وقفت على باب أبو محسن ومنعت المعصية قبل وقوعها ، أو ترضى ، أن يعصى الله وأنت في يدك أن تمنع تلك المعصية قبل وقوعها ، ثم إن تطبيق الرقابة على المفاسد العامة أيها القائد العظيم أما معاصي العبد التي لا يجاهر بها فالله من يحاسبه عليها أو يغفر له ، ان الله عز وجل أثابنا على السترونهانا عن التجسس في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ وَلَا

¹ سورة الزمر آية (7).

² رواه البخاري (2262) كتاب المظالم والغصب.

تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴿١٢﴾ □ ،

سمعت يا متيح ، ثم واصل دون أن ينتظر رد متيح :
ألم تطلع على كلام محمد بن عبدالله رسولنا المصطفى وهو يقول في
الحديث الصحيح: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا. وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ² .
قاطعهُ القائد بغضب قائلاً :

-يا أبو غثيرة ، ياروبيضة ، لا تفتي بما لا تعلم.
أمسك فايز بالسلمي لدفعه خلف صفوف الجماهير ، التي زاد عددها
، ولكن هيهات أن يتراجع السلمي وهو يرى والد صديقه وجاره الحبيب وقد
امتهنت كرامتهم رافعاً صوته :
-أنا لا أفتي أيها القائد الملهم ، أنا أذكر بكتاب الله وسنة نبيه ، عليكم
مؤمنون وتتفعمكم الذكرى .
-أتشك أننا مؤمنون؟
ذلك علمه عند الله عز وجل .

-عاد تراي صبرت عليك صبرايوب 00 اسكت والا وديتك للشرطة معهم .
هنا وضع فايز يده اليمنى على فم السلمي ودفعه باليد اليسرى إلى البيت
بالقوة ، منسحباً معه انسحاباً قسرياً ، بعد التهديد بالشرطة .
تفرق الجمع ، لم يبق سوى مغيبر وكحلة ، انضم إليهم السلمي بعد أن عاد
، حين تأكد أن الركب قد غادر إلى الشرطة ، مكبلين المتهمين بغترهم
البيضاء .

كحلة سعيد بفضيحة أبورقلة الخصم اللدود لعمه سرور والذي كان يتهم
عمه بعدم التربية والتحرش بزوجه يوم غنى خلفها :

¹ سورة الحجرات آية (12) .

² أخرجه البخاري ومسلم

إذا منه مشى والكعب عالي
حدا 00 يشكي من خويه.

مغير أعجب بجرأة السلمي على القائد ، وامتدح السلمي قائلاً :

- ما شاء الله عليك يا السلمي أثرك قوي ما خفت منه؟

تهد السلمي ، مستاء من لغة مغير الهابطة في التعبير ، والتي يرى أنه
تجاوزها ، فرد عليه قائلاً :

- القوي الله يا مغير ، بس لا تقعد تنقل للناس اللي شفته على عماها
، كلها يوم أو يومين ، ويطلعون من الحبس.

- لا مانيب معلم ، مهبول أنا ؟ إلا وش رايك يا السلمي تطب من بيتكم على
بيت أبو محسن ، وتفتح لنا الباب ، وندق عود ونسوي شاهي؟

عض السلمي على شفته السفلى وهو يقول بازدراء :

- آه آه ما أقول إلا الله يرحم أبوي كان دايم يردد بيت المتبي إذا شاف
وسيعين الصدر اللي مثلك يا مغير :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة بالشفقة نعيم.

ابتسم مغير تشكراً للسلمي على إطرائه بمعاني هذا البيت ، أما السلمي
فالتفت إلى كحلة قائلاً :

- يا الله ، يا كحلة ، سرور عمك عازمك على العشاء ، مع ها الهوشة نسييت
أعلمك ، مشينا تأخرنا عليه.

- ومغير ؟! قالها كحلة مستغرباً جحود السلمي لأصول الصداقة ، التي
تتطلب عزيمة الجميع أو إبلاغ كحلة على انفراد بطريقة ما.

- هذا بيت عمك وتمون عليه أما أنا معزوم مثلك.

- تعال يا مغير معنا على العشاء عمي ما يقول شيء.

ذهب الجميع إلى سرور ،أكلوا الجريش ،تبادلوا السوالف التي ليس لها طعم أو لون أو رائحة ،هرج بلا تعمق ولا وناسة ،حرم من شوفة المزيونة النورية ،فهي لا تظهر عند الشبان الأغراب باستثناء السلمي ،هذا ما بدا له بوجوده ،أما في حالة غيابه فالثقة موجودة.

باختصار الاحتفال بتخرج السلمي من الصف السادس انحاس ،أول حوسته سرور ، وثاني حوسته القائد ومظلمة أبو محسن وأبو رقلة ،وختمها كحلة ومغبير بالمشاركة غير المرغوبة بالعشاء والسمره ، حرماه من السهرة مع المحبوبة شويخة ، إنها ليلة ضنكاء.

عبرت أيام فرح النجاح من الصف السادس بلا صخب ، بدأت تنهال عليه عروض التوظيف.

موظف صحي ، بشرط الدراسة بالمعهد الصحي.

مدرس ، بشرط الدراسة في معهد المعلمين.

ترشيح من تحت الطاولة ، لمن يتحدث الناس عن تمكنه من حفظ غالبية سور القرآن وبعض الأحاديث في سن مبكرة، بأن يكون أحد طلبة المعهد العلمي بشرط أن يلبس شماغ أحمر، وهذا ما لا يرتضيه لنفسه.

كاتب ، وهي الوظيفة التي لا تحتاج إلى تأهيل، وفي متناول اليد.

قرر وبكل قناعه الاتجاه إلى التجارة ، وترك الوظيفة المحددة براتب شهري لأهلها، نعم يريد أن يشتري له فايز بقية المحل التجاري في سوق أوشيقر، ليبيع ويشتري بالجملة وليس بالقطاعي، قناعات تجارية رسخت لديه بعد تجربته القصيرة، التجارة أكثر دخلاً بمرات عدة من دخل العمل الوظيفي، وليس الفارق بقليل.

نزولاً عند رغبة السلمي اشترى فايز المحل ، وتفرغ السلمي له بالكامل صباحاً ومساءً، اجتهداه المضاعف في السنة الأولى جعلها تجارة رابحة ، لكن الطموح أكبر من ذلك.

تدرجياً بدأ يتحول التاجر الصغير إلى موزع معتمد لبعض المبيعات الصغيرة الحجم، الإبرة، المكرة، الخيط، صار محله التجاري مقراً، أكثر منه محل بيع مباشر، امتلأت جيوبه بالأموال خاصة من فئة المئة ريال مما يدل على أنه أصبح ذا دخل ممتاز، أرسل مع أخته هديه إلى أمه، قلادة هندية، هدية الكسب التجاري، لطالما تمننتها، أصبح يصرف على شيخة بشكل مستمر، صرف غير مقنن، وبمباركة أمها، مرة بحجة الجيرة، ومرة بحجة

الرفقة ،ومرة بسبب العيش والملح وهكذا ، مع الحرص غير الشديد على أن لا يعلم سرور بذلك ، وجعله يعتقد أن كل ذلك من أمها ، ثياب ، ساعات ، خماخم ، عطور ، ببسي ، حلاو.

الشلة نالهم من الأرباح ما نالهم ، كشتات مع مستلزماتها من خرفان وتوابعها ، أقلام ، كبكات ، تمشيات بشارع الوزير ودعوتهم لأكل الكنافة ، بالليل باعشن وسندي في مقهى أبو رقلة ، ليلة الجمعة مشاهدات عروض سينمائية في نادي البدر أو نادي الفتوة أو نادي حجر أو نادي الفوز. السنة الثانية من تجارته ، شهدت تحولات مهمة للسلمي ، تحولات تخطو إلى الاكتمال الرجولي جوهراً ومظهراً ، يتمنى الزواج ، يريد سيارة يذهب بها إلى أمه ، يستحم بعد كل يومين أو ثلاثة ، يلبس كبك أبو سلسله وفص ، صار يذهب بثيابه للمغسلة لتكوى ويوضع للفترة مرزام.

اطمئن فايز لهذه النجاحات الاقتصادية التي يحققها نسيبه في محله الذي يملكه في سوق أوشيقر ، بدأ يفكر جدياً بشراء سيارة للسلمي ، يستخدمونها لقضاء حوائجهم ومشاورهم ، إضافة لذلك فالدباب لم يعد لائقاً لمن يلبس غترة مكوية ، السلمي يملك القدرة على تعلم القيادة بسرعة ، هذا إذا لم يكن قد تعلم القيادة بعد في الدورة التي تعقد في شعيب سلطانة بعد كل عصر بثمان بخس ، خمسة رياللات عن كل مشوار تدريبي ، والشك هنا وارد.

حل الشتاء ، هطول الأمطار مستمر ، وهذا ما يخرج السلمي كثيراً فالأرض ترايبية وتبتل بالماء وقيادة الدباب في هذه الأرض تلتخ ثيابه بالطين ، مرزام الفترة لا يستقيم مع الماء.

المطر غزير هذا اليوم ،برق، رعد، مرازيم المنازل تصب[□] ،اضطر إلى العودة من المحل بعد المغرب مباشرة ،الناس وقت الأمطار تحرص على التواجد في منازلهم الطينية تحسباً لأي طاري ،سقف يتسرب منه الماء،مرزام ينسد ، سيل ينحدر على الباب ويلزم تحويل مساره إلى وسط السكة.

من الديرة عبر شارع الشميسي على هذا الدباب والماء من حوله والطين من تحته، تنفس الصعداء بعد وصوله إلى البيت، فتح الباب على مصراعيه لإدخال الدباب إلى المجيب.

بعد تأمين الدباب من عدم السقوط رأى أخته هيلة تقف حائلاً بينه وبين الدخول إلى وسط المنزل وتخبره أن هناك ضيوفاً من الخب يجلسون في المصباح بجانب نار المنقل.

سألها بفرح:

-بشريني عسى أمتي معهم؟

جاءه النفي ،وأن الضيف جارهم بالخب ،باتل الطهوري وزوجته الصغيرة، اللولو بنت براك المنفلق.

استشاط غضباً وقال بصوت يمكن لمن هو في المصباح أن يسمعه:

-والله والتبن، الله لا يحيهم، حنا أهل غتريبيض، وش جاييهم، وري ما دوروا أهل شمع حمر، يلفون[□] عليهم، وقبل أن يسترسل في التهكم، وضعت أخته يدها على فمه وهي تقول بصوت خافت:

-انهبلت انت، هذولا ضيوف عندنا.

استدار يريد الخروج، أمسكته متسائلة:

-وين بتروح ،العشاء يطبخ.

¹ المطر غزير ،فالمرزام يصب ماء كالزبوز.
² يذهبون إليهم ويقيمون عندهم .

-أبروح لكحلة ،أو لمغير ،أو لرقلة ،أو لقطق ،وأتعشى مع أي واحد منهم ،خبزه حافه وبياله شاهي ،أونس لي من عشا دسم ،مع ضب رماح[□] .
قالت هيلة :

-من هو ضب رماح ؟ الطهوري ياالسلمي ؟ ما يجوز تطنز[□] بالناس.
-ياخيتي هذا النوع من البشر ليس ناس ، المهم وش عندهم جايين للرياض.
-اللولو جايه تعالج ،يا احول ما حملت إلا هاالحين.
-أبرك ، ناقصين ضبان خبوية.
-ياالسلمي تعوذ من الشيطان ، الخبوية أهلك وجماعتك ، ارق وسلم ، ولو تقدير لفايز.

-يا هيلة فايز على عيني ورأسي ، لكن نسيتي إن الطهوري هو اللي سعى لتزويج أمي من دنقور ، ونسيتي ، ونسيتي. وتوقف فجأة وكأنه تذكر آلاما ،
خاف أن يسترسل بإظهارها ، مر من أمامه شريط الذكريات الأليمة ، يوم مشاركة الطهوري بمنتدى العزاء الذي استهزئ بوالده فيه يوم وفاته ،
عرجت به الذاكرة إلى حمار براك المنطلق الذي استوطن أثلة العصفور بتوجيهات الطهوري ، تذكر خبث الطهوري المحكم ، عندما سخر ماله وجاهه للتغريير باللولو ، وتحويلها من محبة مغرمة فيه ، إلى كارهة ساخرة منه ، ثم أليس ابنه زامل من تأمر عليه ليلة تزويجهم أمه ، وأثبت مع من معه من أهل الشمع تهمة شرب التتن عليه ، وهو منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ألم يجلد بها ؟ ، لكن لا بأس والده نصحه بالتجاوز وعدم الحقد ،
تذكر استشهاد والده يمثل هذه المواقف وترديده بيت عنتره :

لا يَحْمِلُ الْحَقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ
ولا يَنَالُ الْعُلَى مِنْ طَبْعِهِ الْغَضَبُ

¹ الضبان التي تعيش في صحراء رماح ،كبيره السن وطعم لحمها غير جيد .
² تستهزئ.

دفع باب الديوانية ، وهو يقول:

عطيتني ثياب ، أغير هالثياب الرطبة من المطر ، نرقى للروشن نسلم على من
لا يستاهل السلام ، الشكوى لله ، علشان والله ولد عمي والا هو مهوب
كفو.

أحضرت له الثياب ليلبسها ، استغرب من نفسه وهو يدخل يده في كم ثوبه
عدم مبالاته بوجود اللولو ، رغم قربها منه ، ورغم المدة الزمنية للغياب ، ما
الامر ، لا يفصلها عنه إلا باب وثلاث خطوات ، مع ذلك لا يحس بشعور
نحوها ، ليس تواقاً للسلام ولا شغوفاً للقاء ، كأنها لم تكن ،
ما هذا؟ اهو الحاضر

نعم إنها النورية الفاتنة ، خفيفة الدم ، المتعلمة ، الوفية ، آآآه لقد نسيت
معها كل شي من الماضي التعيس ، يا ليتها وأهلها هم من ينام عندنا في هذه
الليلة الماطرة الباردة ، أحلام اليقظة !! هواجس شيطانية تواردت عليه ،
قاطعها تعثره بالدرجة الأولى من درج البيت ، وهو يهم بالصعود إلى
الروشن ، كاد أن يقع ، عدل غترته وهو يتمتم بغضب:

بغيت انكسر عساه الكسر اللي ما يجبره المزروع[□] (يدعو على الطهوري).
دخل الروشن ، وجد الطهوري مستلق كالعادة ، سلم عليه.

أجاب الطهوري باستهزاء:

-هلااااا ، السلمي ، ياالله حيه.

لم يقف والسلمي مقبلاً عليه ، بدوره السلمي لم ينحني ليقبل رأسه واكتفى
بمد يده ، تصافحا باليدين وقلوبهم شتى.

-ما شاء الله يا السلمي ، صرت رجال.

-رجال أول وتالي يأبو زامل.

-ما عندي شك ، بس قصدي كبرت.

-الصغير يكبر ، والله يكثر خير ولد عمي فايز.

¹ طبيب شعبي بالرياض يقوم بتجبير الكسور.

-اللهم آمين، هذا في مقام عمك.

-إلا قل عمي بعينه واعلمه.

التفت إلى ابن عمه فايز وقال:

-أبيك ترخص لي ابروح، أبو كحلة يقولون تعبان بالحيل، وودي أزوره.

-طيب، لا تبطي علينا، نحتريك على العشاء.

-لا، لا تحتروني، ولم ينتظر تعليق من فايز، منهي بعبارة سلام عليكم.

قضى ليلته بالتنقل بين هذا وذلك، والاطمئنان على أبو محسن، والذي أصبح ملازماً لبيته ومحبطاً بعد حبسه وجلده تنفيذاً للحكم الصادر عليه، بعد القبض عليه، في ليلة الميرندا والفنان وحيد منفوحة.

عاد بعدها ونام بالمجلس لوحده، متحاشياً لقاء الطهوري، استيقظ مبكراً ليجد فايز على رأسه، طالباً منه أن يذهب إلى حراج الغنم، ويشترى ذبيحة، كرامة للطهوري، ويعزم الخباز وأبو محسن وأبو طقطق وأبو رقلة وأبو مغبير وأبو كحلة إذا استطاع تجاوز آلامه.

لاحظ السلمي أن فايز لم يأت على ذكر سرور ضمن المعزومين على الغداء، فقال:

-وسرور وأهله، منتب عازمهم.

-أعوذ بالله من الشيطان، نسيت، لا بأس في الوقت متسع 00 بلغ أختك تعزم غرسة وتطلب منها الكشف الطبي الشعبي على زوجة الطهوري والبحث عن علاج لحالتها، تدري لن يوافقها على العلاج في المستشفى، المستشفى أطباءه رجال، عسى الله أن يرزقها بالضنى الصالح، قالها فايز وهو يتألم مستحضراً عقمه.

قام السلمي بالمهمة على أكمل وجه، هيلة طبخت الذبيحة بكل اقتدار، تجمعوا الجماعة بعد صلاة الظهر بالروشن.

أبو محسن، يلبس كوت قطع من كمه الأيمن احد ازرتة، يلبس غترة بيضاء تحول لونها إلى الأصفر من تكرار الغسيل واللبس، الحالة المادية لم

تعد جيدة بعد بروز أشرطة الكاسيت إلى الساحة الفنية كبديل
للاسطوانات التي كانت دخله الوحيد منها.

الخباز أمان ،أفطس وعليه غترة بيضاء ، ناصعة البياض.
أبو طقطق ، عيناه تدمعان ، من كثرة التركيز في الساعات المعطلة ، ويلبس
غترة بيضاء.

أبو مغيبر، رائحة اللحم تفوح منه ، ويلبس غترة بيضاء.
أبو كحلة ، مريض ،وقد دهن جميع اجزاء جسمه بالفكس ، وعليه غترة
بيضاء ، مليئة بالخروق من السجائر.

سرور ، زوج غرسة ، متعطر بدهن عود ، ويرتدي بالطو جيشي ، ويلبس غترة
بيضاء.

فايز ، عليه غترة بيضاء.

السلمي، تاركا شعره يسترسل على كتفيه، ويلبس غترة بيضاء، لاحتمال
أن تراه شيخة.

الشباب ، كحلة ومغيبر وطقطق ورقلة جميعهم يلبسون الغتر البيضاء.

الوحيد الذي يلبس الشماع الأحمر هو الطهوري.

افتتح الطهوري المجلس:

-يا فايز حنا يوم طلعتنا الصبح لدكانك ،مرينا بالمشراق على ثلاثة شيبان
عليهم شمع حمر، لزموا علينا ،يبغونا نتقهوى عندهم، وري ما جوا للغداء،
قالها الطهوري وهو ينتقل بنظراته المتعالية على ضيوف فايز.

أجابه فايز بصدقه المعتاد وهو يظهر الندم:

-لعنة الله على الشيطان ، نسيت أعزمهم.

لم يصدق الطهوري يمين فايز، تبين ذلك من هز رأسه.

ثم أردف:

-طيب وري ما عزمت وديان منتب تقول أن بيته في سكيرينة حذفت حصة
على قولتهم.

-وذيان ها الايام ما تلقاه بالديرة، ربيع وخير، تلقاه بالبر.
عمّ الصمت على الجلسة لدقائق، ثم دشّن الطهوري فعاليات
العزيمة، بحكم أصدره على رقلة، دون سابق قضية، حين قال:
-أنت يا غليم تراك بالنار، ثوبك يسحب، طويل بالحيل.
لم يضحك أحد، ولم يغضب أحد، ولم يعلق أحد.
نظر رقلة إلى السلمي وكأنه يعتب ويطلب الإذن بالرد دون انتظار الموافقة،
وقال:

-وأنت يا عم بالجنة ؟ قالها رقلة باستهزاء.
-لا يا ولدى الجنة علمها عند الله.
-طيب والنار علمها عندك ؟ الله يهديك بس !! قالها رقلة وهو يكظم
غيظه.
أحس الطهوري بالحرص، حاول تحريك الشعور العام للجلسة إلى محور آخر،
أدار الموجة إلى لابس غترة آخر، فقال:
-وأنت يا جذيع، ويقصد مغير، ورى رقبة ثوبك تدودل كنها أذاني سلوقي
؟

ارتبك مغير وقال:
-الثوب تفصيل، وتفصال ثياب أهل الرياض غير تفصال ثياب أهل الخبواب،
وانا أبيه كذا، هذا الدارج عند الشباب، قالها بجمل متقطعة.
لم يفهم الطهوري شيء، اعتدل في جلسته ووجه كلامه إلى طقطق ابن
مصلح الساعات:
-وأنت يا أبو شعيرات، أبيك تحلق رأسك صلعة، وتجي أعطيك كف حلاقة،
وابعطيك خمسة أريل.
رد طقطق بأسرع مما يتوقع الحاضرين:
-إلا، ابعطيك عشرة، واخل رأسك جدائل لا تحسنه، قهقه الجميع.

شعر فايز بغضب الطهوري فحاول إيقافه عن هذه التعليقات المستهترة التي ربما تتماذى وتنتقل من الأبناء الحاضرين إلى الآباء، تنحنح ثم قال:

-إلا ، بس ، علّمنا عن سائلة الثعلب يوم يلحق عبيد الهطق بالنفود.

استجاب الطهوري لطلب فايز وبدأ بسرد الحكايات، هذه تنتهي وتلك تبدأ ، وهذا ما يتمتع ويتمناه، وهو تملك زمام، الإلقاء، الحكايات، النصائح ،وعلى البقية الاستماع.

أحضر السلمي صحن الغداء، أكل الجميع ،وجلسوا لشرب الشاي والقهوة حتى أذان العصر ، خرجوا للصلاة جميعاً ،بعدها ذهب الطهوري مع فايز لدكانه بشارع التمر

أما شلة الشباب فذهبوا إلى سوق الذهب للاستفادة من تشخيص العزيمة. السلمي عاد إلى الروشن لمراجعة بعض فواتير محل أوشيقر، كعادته كل عصر جمعة ،وهذه الجمعة بالذات ستكون المراجعة بالمنزل ،بقرار اتخذ صباحاً بداعي الاستعراض التجاري أمام بعض الناس ،جُلبت الدراهم من المحل للعد ، نُثرت في وسط الروشن عمداً من كرتون صغير كانت تحفظ فيه بالمحل، شيخة ستكون ضمن المعزومين ولن تغادر البيت إلا مع المغرب ،وهنا بيت القصيد، لا بد أن ترى الأموال.

طلب الشاي بنبرة رجال الأعمال، اقترحت شيخة أن تصنع الشاي بنفسها، مساعدة لهيلة المشغولة بضيوف العزيمة.

بكل جرأة ،وبغطوة خفيفة ،وأمام الجميع ،وضعت الشاي والبيالة بالصينية ،وصعدت بها إلى الروشن ،لتوصيلها للحبيب الغالي.

في كسرة درجة البيت الأولى تعثرت فسقطت ،فانسكب بعض الشاي الحار على جزء من يدها، سمع الجميع صرختها بعد سقوط الإبريق والطوفرية على الأرض.

هرع جميع من في البيت في وقت واحد، بما فيهم السلمي الذي كان الأقرب لموقع السقوط.

-اسم الله عليك، اسم الله عليك ، الكل يردد بما فيهم اللولو.

أمسك السلمي يدها ، وراح ينفخ عليها وهو يصرخ:

-عطونا صلصلة بسرعة.

والصلصة هي المرهم المناسب والسحري لعلاج الحريق حسب الوصفات الشعبية.

أحضرت الصلصة ، وضعها السلمي بنفسه على يدها ، وأخذ يدهن الصلصة بيده اليمنى ممسكا ذراعها باليد اليسرى وهي تنظر إلى وجهه بإعجاب وثناء ، على مبادرته لمساعدتها ، خوفه الشديد وتألمه لإصابتها بسببه.

لم ينتبه أحد إلى أن خطوة شيخة بالأرض ، وبياض وجهها يسطع بالقرب من عيني السلمي ، باستثناء اللولو ، التي حملتها من الأرض وغطت بها وجه شيخة وهي تقول:

-ما بك إلا العافية ، استتري بس.

استتري ، مفردة يعرف السلمي أين موقعها من الإعراب ، التفت إلى صاحبة النصيحة ، وكأنه لا يعرفها ، رادا عليها بغضب:

-البنت محترقة يدها ، وانتي تقولين ما بها إلى العافية.

ثم التفت إلى شيخة يسألها:

-أوديك للمستشفى ؟

أجابت أمها وهيلة وأم كحلة وأخت كحلة بصوت واحد:

-ما يحتاج ، ما يحتاج ، اتكأت على اثنتين منهن ، ونزلتا بها الدرج.

التفتت شيخة إلى السلمي وهن مدبرات ، وقالت بصوت المصاب:

-أصلح لك شاهي غيره.

ابتسم السلمي وأغمض عينيه ، إعجاب بدمائة الخلق ، وقدرة العطاء ، في أحلك الأوقات وقال:

-الله يقلع الشاهي ، ما عاد نبي شاهي ، ابتسمت شيخة لتجد اللولو تدفعها

دفعاً ، بجر كتفها الأيمن وهي تقول:

-حولي بسرعة، لا يجي رجال وحنا بالدرجة.

صُدم السلمي بزيادة وزن اللولو، وهي تنزل من الدرج، صارت بحجم البرميل الذي يقيّم فيه سعر البترول، احترم ثقلها وعقلها وغطوتها، استغرب عدم سلامها عليه، أو حتى إعطاء لقائه بعد هذه السنين أي اعتبار، هل هو الإخلاص للزوج، أم الحياء، أم الرهاب الاجتماعي، أم كلها مجتمعه؟ الله أعلم.

عاد للروشن، يراجع فواتيره، ويعد ماله، توارىخ الفواتير متداخلة، أنواعها كثيرة، صحيح أن بضاعته حصر ولكن التدقيق في أوراقها أمر يحتاج إلى دقة، إبر خياطة بأحجام مختلفة، مكرات بأصناف وألوان متعددة، تجار كثر، له عليهم مستحقات، في مواقع وأزمان مختلفة، وزع هذا الأسبوع كميات كبيرة، المؤجل من تحصيلها النقدي يفوق الأربعين بالمائة، لابس ما دام الربح يتجاوز 300% فالصبر طيب.

رُفع أذان المغرب، توضأ وصلى ثم اتجه إلى مقهى أبو رقلة، هناك قابل مرتادي سوق الذهب الأربعة المماليح، المتعطرين، المشخصين، عادوا والعود أحمد، بدأ الحديث الممزوج بالكذب عن مغامرات مزعومة، ثم انتقلوا إلى السخرية المبتذلة التي تتحدث عن ردود فعل ساذجة مع رأس باعشن لرقلة وطقطق ورأس سندي لمغير وكحلة.

اليوم هو اليوم الثاني من الزيارة العلاجية للطهوري وزوجته اللولو لحلة الفحم في حارة الشميسي، شهدت أخباراً سارة من مستشفى الشميسي، بعد أن ذهبت له اللولو سراً مع هيلة للكشف، تفيد تلك الأخبار بأنه يمكن للولو أن تكون أما، فهي ليست بعقيم، فليس عليها سوى أخذ عقار متوفر في الصيدلية، وستكون بإذن الله على أحسن ما يرام، استغنت عن دواء غرسة

بعد هذه الأخبار ، ولكنها أبقت على العزائم [□] التي صرفت لها كعلاج من إمام مسجد حلة الفحم ، كونه علاج لكل الحالات وبكل الأحوال وينفع ولا يضر بإذن الله.

في اليوم الثالث ، غادر العروسان -الشايب والفتاة -مودعين بمثل ما استقبلا به من حفاوة صادقة من هيلة النباش، وكرم متأصل من فايز النباش ، غادرت اللولو إلى الخب وقد تركت خصومة واضحة مع شيخة ، فقد تبادلتا بعض المهاترات السخيفة عن الغطوة وإيصال الشاي والكلام والضحك مع غير ذي محرم ، والمقصود هنا السلمي ، السلمي الذي أصبح جزء من شيخة ، رضي من رضي وغضب من غضب ، يمون عليها ، يضحك معها ، يخاف عليها ، مسئولا غير متوج عنها وأمها ، إذا ذهبنا إلى السوق لابد أن تسلما عليه ، في محله في سوق أوشيقر لأخذ مبلغ التسوق أو مصاريف مقاضي البيت ، كان يُسر إذا فعل ذلك ، الفطور عندهم ، العشاء والسهرة غالبا معهم. (وابو قرص مات ما اكله)²

¹ جمع عزيمة، وهي ورقة يكتب فيها القارئ آيات من كتاب الله بالزعفران فيضعها المريض في ماء حتى تصبح الورقة بيضاء ثم يشرب هذا الماء.

² مثل يتداوله أهل الصحراء وفيه ان رجلاً مات وهو يؤجل أكل قرصه لحين وصوله إلى مرحلة متقدمة من الاحساس بالجوع .

-الجولة الثامنة عشرة -

مرت الأيام بطيئة في عبورها لحي الشميسي والأحياء المجاورة والأحياء التي خلف الأحياء المجاورة.

يمكن القول أنها، لا تتغير، ولا تتطور سواء في الجانب الاجتماعي، أو الجانب الاقتصادي، أما الجانب السياسي فليس له وجود البتة.

السلمي مستثنى من ذلك لأن وضعه الاجتماعي سوف يتطور هذا الأسبوع، سيصبح نجما ساطعاً، هذا العصر سيذهب لحراج السيارات بالملز، ليشتري سيارة نوع شفر، موديل 66، خصوصي، مستعمل، رآها في المعرض قبل أسبوعين، واليوم الجمعة سيتم الحراج عليها، حاله سيصبح كحال بعض رجال الأعمال، يقتنون سيارات صغيرة، لوحتها خصوصي، قير دريكسيون، لا يريد أن يصبح كرجال الأعمال الشعبيين الذي وللأسف لا يجيدون القيادة وأولهم فايز النباش الذي اكتفى بدفع المبلغ للسلمي كاملاً.

اشترى السيارة، ذهب أول ما ذهب إلى حي دخنة وتحديدًا إلى دكان الخطاط الشويعر □ ليغير بيت شعر كتب على مؤخرة السيارة :

لا تحسب المجد تمرا انت أكله...

لن تبلغ المجد حتى تلحق الصبر

ليكتب بدلا منه بيت من اغنية ام كلثوم:

فما أطال النوم عمراً 00

وما قصر في الأعمار طول السهر

وكانت موضة كتابات الأبيات وبعض الحكم ومقاطع الاغاني على السيارات منتشرة بين اهل

الغتر أكثر منها لدى أهل الشمغ في ذلك الوقت .

¹ خطاط ذو شهرة عالية يقع محله في الديرة .

فرح جميع افراد الشلة السمرء بامتلاك الصديق سيارة ، صار تدخين الشيثة في مقاهي كيلو 6 بطريق الحجاز بدلاً من مقهى أبو رقلة المليء بالذباب، يسبق ذلك العشاء ربع كبسة رز بخاري

كل جمعة كشته للمعيزيلة[□] مع آل أبو كحلة جميعاً، نسائهم قبل رجالهم ،شيختهم تتقدمهم ، لحم الحاشي معلق ، الربابة تسجع بالألحان إذا سكت بكم سرور، سرور الذي ما زال يحتفظ بالبكم رغم انتشار المسجل. تقاربٌ أشعل الرغبة لدى السلمي بالارتباط بهذه النورية الحسنة ، أهلها عشرتهم مؤنسة ، غير مُعقدين ، لا يعرفون الشك، وجوه متفائلة ومبتسمة باستمرار، والأهم من ذلك كله، أن ليس بينهم من يلبس شماغاً احمرًا. الزواج من كريمتهم مطلب لا مناص منه، لكن هناك معضلة ،زوج والدتها سرور أسمر اللون يقارب للسواد ،سرور شقيق الحمّار أبو كحلة ،وسيصبح نسيبه.

لا يستبعد أن يقابله أبو كحلة في أحد الأيام بالمقبرة أو سوق أوشيقر وهو على حمّاره ،ثم يرحب به بعبارة: هلا بالنسيب ،سيضعه ذلك في موقف حرج أمام المستثمرين ،سينتشر الخبر في الأسواق كلها.

آه، آه، ثم يأتي لبّاس الشماع الأحمر ،الحريص على التمسك بالعرف كثابت لا نقاش فيه ،وينقل المعلومة مع زيادة بهارات نقدها ،المحفوظة في متحف أهل الشمع ينقلها إلى الخبواب.

سوف يجعله ذلك في حرج مع زوج أخته وابن عمه ومعلمه وصاحب الفضل عليه فايز النباش، ولكن لماذا الحرج ؟

سرور وأبو كحلة ليسا أهلا لشيخة فهي من آل النور ،وتعود أصولهم الى احدى قبائل هنغاريا.

¹ أحد أماكن التنزه البرية بالقرب من الرياض(موقع استاد الملك فهد الرياضي).

ترى هل يستطيع إقناع فايز بهذه الحجة الدامغة ، سرور زوج أم شيخة وليس والدها ، بهذا لن نُحرج.

بين مد وجزر قرر المحاولة وسأل الله التوفيق.

اجتمعوا على سفرة الغداء ، هو وأخته وبعلاها ، افتتح السلمي الموضوع مباشرة وبدون مقدمات:

-عم فايز أنا ودي أعرس.

-الله يبشرك بالخير.

رفعت هيلة يدها عن صحن الرز وهي تبسم وتضرب بيدها اليسرى على صدرها وتقول:

-وعروسك عندي يا اخو هيلة.

أكمل السلمي طلبه الصريح بالزواج بتسمية العروس بلا خوف ولا وجل:

-إن وافق عمي فايز فالعروس مختارها من زمان ، شيخة بنت غرسة.

غص فايز باللقمة وكح كحة كادت أن تؤدي بحياته والتفت إلى السلمي بغضب:

-أنت صاحي؟ لا أكيد منتب صاحي ، بنت غرسة النورية ، زوجة سرور الأسمر ، اخو أبو كحلة الحمار.

تراجعت هيلة عن السفرة متكئة على الجدار وكأنها تتشد هواء تتنفس به.

أحس السلمي بتخوف يعتليه حرج واضح ، لكنه سيواصل محاولة الإقناع هذه مهما حصل ، فالغالي يستاهل ، لكن عليه احترام عمه فايز ، قُرب منه زحفاً ثم قال:

-شيخة مهيب بنت سرور الله يهديك ، أبوها ينتسب لإحدى قبائل هنغاريا ، وأمها غرسة كرجية من نفس القبيلة ، منهوبة غصب من أهلها.

-ولعنبو شيطانك ، عارف هذا كله وتبي تاخذها ، انت طائر من راسك وشره [□] ؟ ، تبي تفضحنا عند الله وخلقه؟

¹ جزء من عقلك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ □

-يا عم اذكرك بقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ □

أحس السلمي بعجزه عن إقناع فايز ، وقف متحسراً خارجاً عن اترانه ، يردد بصوت يسمعه من كان عند طلعة الشمس:

-عُرف يحرمني شيخة ما أبيه، ماأبيه ،0 تسمعون ،مايبييييييييه، والله لو يطلع أبوى من قبره ،ويقول اتركها أنى ما أتركها.

غضب فايز لأول مرة أمام السلمى وقال وهو يضع يده على قلبه:

-لا عاد أسمعك تجيب طاري ها النورية قدامي، وصار يتنفس بشكل غير طبيعي.

لاحظت هيئة ضعف تنفسه، أخذت غضارة الماء وقربت منه وقالت:

-اشرب يا فايز ، لا يضيق صدرك ، السلمى عاقل ما يسويها.

ما إن أتممت كلامها حتى أغمى على فايز بين يديها ، صاحت:

-فایز، فایز.

¹ سورة الحجرات آية (13).

٢ سورة الحجرات آية (11).

أمسك السلمي به ، فتح أزرار ثوبه ، أخذ يسكب على وجهه ماء ويصيح :
-فايز اصح ، والله ما أعرس عليها ، بس لا يجيك شي ، تكفى يا عم.
-ياالسلمي خلنا نوديه للمستشفى بسرعة.

-ياالله ياالله البسي عباتك.

حمله السلمي بقوة عجيبة وأركبه بالشفر 66 ورجع بالسيارة إلى الخلف بسرعة كبيرة حتى آخر الشارع ، انحرف يسارا ثم ضغط على دواسة البنزين لأقصى حد وانطلقت السيارة بأقصى سرعة كي يتمكن من إسعاف ابن عمه وحبيبه وزوج شقيقته.

أثار التفحيط سحابة من الغبار ، هجمت على أعضاء المشراق الذين أصابهم الخوف أصلا من سرعة السلمي وهو يرجع إلى الخلف ، وضع نشبة ، شماغه الأحمر على وجهه ، وقال بصوت جهوري :

-غبر الله عليك في قبرك يا خبي إبليس ، لعنبو شيطانك ما احد عنده موتر إلا أنت ، إن خليتك تخلي منى ، والله إنني لافشش كفرات قرنبك.

متيح يهف على وجهه بشماغه الاحمر ، ويتمتم ، بينه وبين نفسه :

-ياخوي أهل الغتر ذولا فيهم شي ، عجلتهم وراها شيء ، الظاهر إنهم معزومين على الغداء وتأخروا على المعازيب ، تساءل وأجاب.
لعل يمسك بساقه ويقول :

-ول ، هالمطيور ، بغى ياطى رجلي ، عساه والله في قلب ما لها قاعة.

وصلوا إلى مستشفى الشميسي بزمان قياسي ، أدخلاه قسم الإسعاف وهو مازال في غيبوبته.

أُخرج السلمي و أخته خارج العيادة ، انتظر وهو يدور حول الباب الرئيس لقسم الطوارئ ، يدها مشتبكتان ، تضغط كل منهما الأخرى ، رأسه مرفوعة إلى السماء ، يدعو ربه أن ينجي أغلى إنسان لديه بعد والدته وشقيقته ، صاحب المعروف الأول عليه بالتعلم المدرسي والعمل التجاري.

نصف ساعة مضت على هيلة وأخوها ، وهما ينتظران في ظلال جدار مبنى الإسعاف نتيجة الفحص بقلق.

خرج بعدها فايز محمولاً على عربة معدنية صغيرة ، تمشي على أربع عجلات ، يدفعها اثنان من الممرضين ، متوجهين إلى قسم التنويم ، الليات الطبية في أنفه ووريده ، الغتره البيضاء موضوعه بجانب رأسه ، الوضع الصحي على ما هو عليه ، غيبوبة كاملة.

أفاد الدكتور أنه أُصيب بجلطة في الدماغ نتيجة ارتفاع ضغط الدم ، تشخيص آلم السلمي كثيراً ، صار في حالة حزن عميقة ، يعرض على شفاهه ، إنه لأمر جلل ، هو المتسبب.

احتضن أخته لحظة ركوبها السيارة في المقعد الأمامي لأول مرة ، المقعد الذي كان فايز يركب به باستمرار ، دمعت عينه وهو يقول:

-يبي يطيب إن شاء الله ، أقسم بالله العظيم ما عاد أفكر بالعرس على شريحة طول عمري ، بس الله يحيه لنا.

عاد إلى حلة الفحم لإرجاع أخته إلى البيت ، كي يعود بعدها إلى المستشفى ، مرافقاً لفايز على السرير الأبيض ، أنزل أخته ، دخل المنزل ليأخذ بعض النقود ، ليشتري بعض العصائر لفايز وأهمها عصير الطماطم ، علّه يفيق من غيبوبته ويشرب.

أثناء خروجه من البيت ، وجد أعضاء المشراق متلثمين بشفهم يقفون بانتظاره ، محتجين على إهانتهم المقصودة من السلمي ، بكث التراب على وجوههم ، بعد تفحيط سيارته أثناء نقله فايز إلى المستشفى.

-هاالحين ما تقولي يا ولد النباش ، يوم انك تكث التراب بوجيها ، ما افتكيننا من شرك يوم عندك دباب ، مبلشنا هاالحين يوم صار عندك قرنيق

٥

-يا متيح مانيب فاضي لك تقلع عن وجهي ، عمي فايز في المستشفى وأبلحق عليه.

- في المستشفى الله يشفيه، وإذا صار بالمستشفى عاد تدعس خلق الله يأبو
غتيرة ؟

قالها نشبة وهو يعدل شماغه بنت البكار.

-نشبة تراي والله ما أواطنك بعيشة الله، وخر من قدام الموت.

-موتر، موت، من زين ذا الموت عاد، ترى موديله 66 وجانا علم انه مر
مهوب حر □.

-حتى أنت ياالبصوة تعرف حر ومر، أقول ياللع، لعل على ربك متيح
ونشبة، خلهم ينقلعون عن وجهي، لا والله، ثم والله، لاحطكم كلكم
حدر الكفرات، واخوض في أبطونكم، قالها وهو يركب السيارة ويدير
المحرك، ويضغط دواسة البنزين حتى الأخير ما أثار الرعب لدى الثلاثة
،صاح لعل:

-لعبو شيطانكم هجوا هذا مهوب صاحي.

أسرع بالسيارة بعد أن هرعوا أهل المشراق إلى الالتصاق بجدارالخرابة، هرباً
من الموت تحت عجلات سيارة السلمي.

صار خارج الحارة، صار هائماً على وجهه، من شارع الرئيس إلى شارع
السبالة، مترددا للذهاب إلى المستشفى، يقول في قرارة نفسه لربما إن تأخرت
أجد فايز قد عاد لوعيه.

لطالما تمنى أن يفدي فايز بعُمره، كيف تشاء الأقدار أن يكون السبب
بعد إرادة الله بموته، العزيز الغالي، يا للمصيبة، أخته هيلة لا تستطيع
العيش دون فايز، وحبها له حباً جما، مصيبة أخرى، يا لهذا اليوم التعيس.
لا ملجأ لي بعد الله في هذه المحنة إلا وزيان بن ذريع، رفيق والدي، هو من
سيساعد في تجاوز هذه المحنة، نعم، يفكر بصوت عالي.

¹ مصدره غير معروف ولا يحمل اوراق رسميه .

توجه إلى سكيرينة، وصل، وجد صغار الحارة امام باب دار وزيان، يعبثون بالتراب، سألهم، أفادوه، أن أبو مرزوق متواجد كالعادة في هذا الوقت في حراج الغنم.

أما أم مرزوق فهي عند الجامع الرئيس في منفوحة، لها بسطة بسوق الجامع، تباع براقع وأبياز¹ وطواقي، لم يستطع الانتظار، ذهب إلى سوق الغنم، وجد وزيان على قارعة الطريق، وقد خرج لتوه من السوق، يجرتيس معه. فرح به وزيان وقلق بنفس الوقت، أركب التيس في الشنطة، ركب، وهو يردد:

-هاه يابوك، عسى مباشر؟

أخبره السلمي عن المرض الذي أصاب فايز، دون الخوض بحديثات الإصابة، فعرض الزواج من النورية يجب أن يكون سراً إلى الأبد، فهذا العرض أسقط فايز طريح فراش.

قال وزيان:

-إنا لله وإنا إليه راجعون، أرواح أرواح للبيت نودي التيس وعقبين نروح للمستشفى، يقصد المستشفى.

عبرا بالسيارة شارع الغنم باتجاه الجنوب حتى وصلا شارع الجامع ثم توجهوا غرباً ليجدا امرأتين على رأس كل منهما بقشة، أمعن وزيان النظر، ليطلب فجأة من السلمي التوقف:

-وقف، وقف، هذي الخيلة أم مرزوق، وبنتها الشقحا جايات من المبسط، ورايحات للبيت.

أوقف السلمي السيارة، طلب وزيان من أم مرزوق وابنتها الصعود إلى السيارة بسرعة، برر عجلته بحالة فايز الصحية السيئة وأنها سيذهبان للمستشفى. بعد السلام المتبادل بين السلمي وأم مرزوق وبنتها الشقحا، وضع تأثير أم مرزوق وحزنها، بعد ما علمت بسوء حالة فايز الصحية، اقترحت على وزيان

¹ جمع بيز، وهو قطعة مصنوعة من القماش يمسك بها الشيء الحار.

أن يعرضه على طبيب سكيرينة الأول أبو شهاب ، المختص بحالات السبب ،
وحالات السبب يدخل فيها ، الغيبوبة ، الأمراض النفسية ، وتشمل كذلك
انقسام الشخصية ، والاكتئاب ، والعُقد ومرض العيون المفاجئ ، وآلام
المفاصل ، والبهاق ، لم يتبقى شيء لا يعالجه أبو شهاب ، جزاه الله على قد
نيته.

رحب وزيان بالمقترح بحماس ، السلمي قبله بتردد ، رجل لا يثق بالأطباء
الشعبيين بتاتا ، ولا يطمئن لهم ، انزلا الشقحا وأمها في المنزل .

انثدب الدكتور الشعبي أبو شهاب إلى المستشفى ، تم الكشف على فايز
، خرجت الوصفة الطبية لأبو شهاب ، بعد نفخ وضغط حاق ، تقول :
فايز يعاني من سبب ، والسبب جاءه لإقدامه في الليلة التي سبقت إصابته
بالغيبوبة بضرب بس أسود^١ مسكون ، يمشي على الجدار ، ولأن القط
سقط وأصيب ، قام أهل القط الأسود بالانتقام من فايز ، ثأراً لابنهم ، ولن
يشفى فايز إلا إذا شفي القط ، ويقترح أبو شهاب ، التوسط لدى أهل القط ،
لعل وعسى أن يعفوا عن فايز ، وذلك بمخاطبة الساكن في جسد فايز ، ولأن
فايز لا يستطيع الكلام فسيكون التخاطب في صفة المغرب^٢ بين أبو
شهاب والمنتقم في سرية تامة ، بعد أن ينقل فايز إلى منزله.

غضب السلمي من هذا الهراء والكذب المكشوف ، هو يعرف السبب
الرئيس وراء مرض فايز ، نعم هو المتسبب عندما رفع ضغط دمه ، فحدثت
الجلطة التي أدخلته في غيبوبة.

التفت السلمي إلى أبو شهاب وقال :

-يا أبو شهاب أنت ما عندك سألقة ، يا الله ورنى مقفاك ، توكل على الله
لبيتكم ، رح رجلي ، منتب كفو من يوديك على الموت.

^١ قط أسود ، ومسكون بمعنى يسكن جسده روح جني .
^٢ وقت غروب الشمس.

صعق الطبيب الشعبي المشهور أبو شهيب من هذه الالهانة المباشرة ، التي أتت دون مقدمات ، تلغثم للحظات ثم نظر إلى وزيان وقال:

-رفيقك هذا مهوب صاحي، جوده نقرا عليه الظاهر انه مسكون بجني ما يواطني.

أدار وزيان وجهه للسلمي وغمز بعينه له ، ثم وجه كلامه لأبو شهيب:

-يا رجّال هذا ورع جاهل ، ما عليك منه ، ضايق صدره على عمه ، ولا تواخذه ، ارواح أوديك على تاكسي لبيتك.

خرجوا الطبيب و وزيان ، تركا السلمي ممسكاً بيد فايز ، يدلكها بحنية تارة ، ويقبلها تارة أخرى ، اتكأ على الجدار ، أغفى بيقظته ، يوم جاء أول مرة لشارع التمر ، النقاشات الشرعية ، مقاضي المدرسة ، محل سوق أوشيقر ، الدباب ، 0 السيارة ، 0 الكرم ، ، الغترة البيضاء التي لا تنزل من رأسه.

آه آه آه يا ويلي إن حصل له شيء وأنا السبب ، إن حصل له شيء وأنا السبب ، وهو على هذه الحال سمع قرع نعال ، أتى من الممر الذي ينام فايز في أحد غرفه ، خرج ليرى من القادم.

هذا أبو محسن يحمل كيساً به علب عصير طماطم ، ورقلة يمشي خلف والده ، يحمل قدراً صغيراً يبدو من رائحته أن بداخله طعاماً طازجاً ، كحلة يساعد والده على المشي ، الرجل طريح فراش له مدة ، أبو طقطق يحمل كيساً بداخله برتقال ، وابنه بجانبه لا يحمل الكيس عنه ، خلفهم يمشي أبو مغيبر ومغيبر ، أما سرور فيحمل على رأسه بطانية جلبها معه من هيلة أخت السلمي ، لينام عليها السلمي.

جميع زوار فايز يلبسون الغترة البيضاء ، جميع المعالجين بالمستشفى يلبسون أرواب بيضاء ، الأسرة بيضاء ، لوحة يشع منها الصفا أراحت السلمي وهو

يستقبلهم برحابة صدر صادقة، عتب عليهم تكليفهم لأنفسهم وتكلفتهم الحضور وهم يرددون:

ما يشوف شر.

تساءل رقلة وهم مغادرون:

-لماذا لم يأت أحد من جيران فايز ممن يلبسون الشماع الأحمر لزيارته، رغم حرصهم الدائم على زيارة المرضى بالمستشفيات.

رد السلمي على عجل:

-عمي فايز ما يلبس الشماع الاحمر، والا كان تشوفهم تقل مقطار في هالاسياب.

استأذن الزوار الأحياء بالمغادرة، تمنى السلمي جلوسهم وقتاً أطول، ولكنهم أصروا على الذهاب، رافقهم السلمي إلى الباب الخارجي لمبنى التنويم، طرح أبو طقطق مقترحاً:

لم لا يؤتى بـ "صوير" ليكشف علي فايز عاجلاً، فايز يمر بحالة حرجة، وصوير عرف عنه تشخيص الحسد، إن كان فايز مصاب بالعين فلن يكشف ذلك سوى صوير، لن يستطيع رقيته إلا صوير.

رحب السلمي بالمقترح فالعين حق.

ودعهم بمثل ما استقبلهم به من عتب عليهم لتكليفهم أنفسهم والتكلف.

اليوم هو اليوم الثاني لمرض فايز ،الوضع على ما هو عليه ، غيبوبة تامة ،الاطباء غير متحمسين للاهتمام بشفائه ،فالحالة في نظرهم شبه ميئوس منها.

صلى الظهر في مسجد حلة الضالع ،الذي يصلي فيه صوير أيضا ، سلم الإمام ،قصد السلمي صوير ، طلب منه الكشف على حالة فايز المسجى بالمستشفى ،والإفادة هل هو مصاب بالعين أم لا ، وافق صوير على الذهاب معه بشرط أن يدفع له خمسة رياللات بعد النفخة الأولى على الصدر ، وخمسة وعشرين إذا صَرف له العزيمة الورقية ، وعشرة رياللات عند الشفاء بإذن الله.

قبل السلمي الشروط ، ركبا الشفر متوجهين إلى المستشفى ،وصلا غرفة المريض ،ازاح فتحة الثوب عن صدره ، أخذ ينفخ عليه ،تارة هواء فارغ ، وتارة هواء مع رذاذ ، المتلقي فايز لا يتفاعل بأي حركة ، توقف صوير عن النفخ فجأة ثم قال:

- ياالسلمي ولد عمك فيه عين ،وأظنها عين طلق أبو اللغاييب ، أعرف عينه قشرى تسدح ، اعزموه على القهوة وحطوا له تمر ، واغسلوا عبس التمر اللي يأكله وغرغروا بغساله فايز ، وإن شاء الله يبي يشفيه ربي ، أما طلق أبو اللغاييب فالجماعة ناوين يطلعون به للبر ويربطونه ويصلون عليه ، كود هالعين اللي ينحت الناس بها تروح ، 0 وهالحين عطنا باقي الحساب وودني لبيتنا.

أغلق السلمي صدر ثوب فايز وقال:

- هالحين من عقلك تبيني اشرب عمي سعابيل طلق أبو اللغاييب ، صاحي انت ، وش هالخرابيط؟.

وقف صوير غاضباً بعد أن كان جالساً على طرف السرير وجمع أصابع يده باستثناء إصبع الشاهد وصار يومئ به عند أنف السلمي.

-اسمع يا ولد النباش تأكل خمستي بكيفك أما تشكك بالعين وتقول عنها خرابيط معصي والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

«نصف ما يحفر لأمتي من القبور من العين» □.

-العين حق يا صوير ، ولا هوب انت من يعلمنا بالأحاديث ، حنا أهل الحديث ، الحديث الذي ذكرته روته أسماء بنت عميس رضي الله عنها وإسناده ضعيف جداً ، أما خمستك فخذها.

أخرج خمسة ريالات ومدتها لصوير.

تلقف صوير الخمسة بلهفة ، أتم السلمي توبيخه قائلاً:

-حنا نوفي بالعهود يا صوير ، مع انك والله ما تستاهل ، كل سوالفك فناجيل بلا قهوة ، هرج بدو على جال ضوها ، أما سيارتي يا صوير ، ما عز الله ركبتها ، توكل على الله ، دور أهلك رجلي ، يا النصاب الأمعط.

تقبل صوير التشكيك في قدرته على معرفة العائن بصدر رحب ، بعد أن تضمن التشكيك تسليمه الخمسة ريالات ، غادر وهو يردد:

-الشرهة ما هيب عليك ، الشرهة على اللي يجي معك مرة ثانية.

التفت السلمي إلى فايز وراح يمسح على رأسه وجبينه ويتكلم معه بعقله الباطني: اسمح لي يا عم ، لأنني سمحت بها النفخ اللي جاك من أبو شهيب و

¹ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 109/5 وقال فيه علي بن عروه وهو كذاب ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة موضوع .

صوير، يعلم الله إني أدور الشفاء لك ، رغم إيماني ان الشفاء من عنده سبحانه.

دمعت عيناه ،وضع رأسه على صدر فايز ،ودموعه تجري الدمعة تلو الأخرى.

اليوم الثالث للمريض الفايز بإذن الله ، يوم يحمل عنوان التدهور السريع ، شعرت بذلك الممرضة سعاد ، الساعة السابعة صباحاً ، استدعت الطبيب على عجل ، طُلب من السلمي مغادرة الغرفة ، رفض قائلاً:

-اخبروني ما الأمر نحن ناس مؤمنون ؟

أفادوه أن الوضع خطير جداً ، بسرعة وبكل شجاعة ومعنوية عالية ،دنا من أذن فايز ، صار يلقنه الشهادة ، علّه يستمع إليه.

أزاحت الممرضة جميع الليات من على جسم فايز، ربت الدكتور على كتف السلمي وقال:

-الله يصبركم ،انتقل إلى رحمة الله ، كلنا لها يا ابني.

-هاه وش تقول يا دكتور ،فايز مات ،اكشفوا عليه مرة ثانية ،يمكن إنه حي، تكفى يا دكتور، تكفى يا دكتور ،وراح يرفع الغطاء الذي وضعته الممرضة على وجه فايز ، صار يقبله بشكل جنوني وعشوائي وهو يردد: لا يابو نباش، استعجلت بالفراق ،أنا السبب، أنا السبب ،حللني تكفى يا عم، حللني يا النسيب، حللني يا الحبيب.

ضمه إلى صدره ،وهو يودعه الوداع الأخير ،لم يتركه حتى أصر الفريق الطبي على إنهاء تعلق السلمي بجثة انتقلت روحها إلى بارئها ،مسح دموعه

بغترته البيضاء ، جلس جلسة القرفصاء ، ينظر بحسره لفائز وهو يؤخذ إلى
ثلاجة الموتى.

يالها من مصيبة كيف سيقابل شقيقته بخبر وفاة زوجها وهو المتسبب،
كيف وكيف، هل ستتحمّل خبر كهذا لوحدها ، لا إنها لن تستطيع،
أفكار بدأت تتسلل إليه وهو يركب سيارته بعد الانتهاء من البكاء في
الممرات، وفي الحديقة .

لم يجد حلاً إلا الاستعانة بأم مرزوق لإبلاغ أخته، أم مرزوق امرأة قوية
وصاحبة تجربة طويلة في الصبر.

توجه إلى بيت وزيان ، وجده جالساً مع أم مرزوق، يشربون القهوة ويأكلون
التمر في ظلال الصبح الجميل لبيت أبو مرزوق ، البساط مفروش عند الباب
في الشارع ، هذا يمر فيسلم وهو في طريقه للعمل، وهذا يأخذ فنجال مع أبو
مرزوق قبل ذهابه للسوق، الأطفال يلعبون من حول البيت، إذا حاولوا
الاقترب صاحت بهم أم مرزوق :

أبكم روحوا وراكم ، وأحياناً ترميهم بحجر صغير.

وقف وزيان حين رأى سيارة السلمي مقبلة كأنه استشعر مكروها لفائز:

-العلم يا السلمي، بشرني عن فايز وأنا عمك ؟

تعطلت لغة الكلام لدى السلمي واستبدلت بلغة الدموع الحزينة، حضن أبو
مرزوق وهو يقول:

-مات ولد عمي يأبو مرزوق.

-الله يرحمه، الله يرحمه، لا تبك يا السلمي، كلنا عيال عمك وعمانك وأهلك، قالها أبو مرزوق وهو يخفي دمعته عن السلمي.

أما أم مرزوق فصارت تهدئ من حزن السلمي وتردد:

-تعوذ من الشيطان وأنا أمك، 0 البكا ما هوب للرجاجيل، بشرني عن هيلة وش سوت ؟

-والله يا خاله ما بعد علمتها.

-أرواح أرواح يمها، يا قلبي قلبها، ثم استدارت ذاهبة الى داخل البيت وهي تنادي: يا الشقحا البسي عباتك اخلصي علانا.

قام أبو مرزوق بلبس حذائه بسرعة، للتوجه إلى جارهـم "حبتور"، حبتور يملك سيارة وانيت:

-حبتور يا البناخي، نبى الونيت ننقل ابن عمنا فايز الله يرحمه من المستشفى لبيت أبو كوير اللي يغسل الموتى.

-ابشر بسعدك يأبو مرزوق، أرواح، مشينا.

بيت أبو كوير يقع في حلة ابن نصار، المجاورة لمقبرة العود، وأبو كوير رجل خمسيني يلبس الغترة البيضاء، متخصص بغسل الموتى، يقوم بغسل الموتى وتكفينهم مقابل ما تجود به نفس أهل الميت، ولا يشترط مبلغاً معيناً.

تقضي مراسم التشييع نقله بعد تفسيـله إلى مسجد الضالع في حلة الضالع المجاورة لحلة الفحم في حارة الشميسي للصلاة عليه، يُنقل بعدها إلى مقبرة العود لدفنه.

تمت مراسم التشييع كالمتبع.

هيلة تقبلت الأمر بجلادة وإيمان، تردد إنا لله وإنا إليه راجعون.

السلمي قام بإرسال رسالة بريدية مع أحد سائقي السيارات التي تنقل إلى الخب والمتواجدين في محطة الغرابي، الرسالة موجهة إلى أم السلمي، لإبلاغها عن وفاة زوج ابنتها فايز، لم توجه الرسالة لأقرب الأقرباء من الرجال لفائز، وهو دنقور، ولم يتم تعزيته بالرسالة، دلالة مؤكدة أن السلمي مازال ورغم السنين ، لم يصفح لدنقور ، وأنه لا يحمل له من الود شيئاً كثيراً.

قام السائق بتوصيل الرسالة حسب العنوان الموصوف له في خب النباش مقابل خمسة عشر ريالاً.

الحزن عم الحارة، مات المتزن، مات من كف خيره وشره، مات من قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن رجل بمثل أعماله (أفلح إن صدق).

أهل الشمع الحمر ومنهم أهل المشرق ، كانوا يرددون عند ذكر خبر وفاة فايز:

ايه ، الله يرحم أموات المسلمين.

لم يأتوا لتقديم العزاء إلا في اليوم الثالث.

دكان فايز في شارع التمر مقفل، بسبب الوفاة.

دكان سوق أوشيق لم يقفل بسبب الوفاة ، فالبيع فيه مستمر عن طريق جارة أبو منصور، مساعدة للسلمي.

أهل الغتر يتسابقون لتقديم الضيافة للمعزين ، صب قهوة، جريش من أبوكحلة على الغداء ، ، منسف من رقلة على العشاء، جنب ذبيحة يرسله أبو

مغيبر الجزار مع ابنه مغيبر، سرور وبأمر من غرسة ،شارك بمرقوق، مرقوق
قد طبخ جيداً ، من طبخ شيخة.

شيخة لم يخاطبها السلمي منذ الوفاة ، لا ينظر إليها، رغم تعزيتها له أكثر
من مرة، مسكينة، تعيش حالة ارتياب من هذا الهجران.

عصر يوم الجمعة، اليوم الرابع بعد وفاة فايز، السلمي يتبادل الحديث مع أم
مرزوق التي أصرت على عدم المغادرة لبيتها وبسطتها إلا عندما تأتي أم هيلة
من الخب لتجلس وتؤنس ابنتها.

أم مرزوق تشتكي دائماً من "لاي"، زوج ابنتها الوحيدة، الشقحا، وكيف
أنه موسوس، لا يريد لها أن تبسط معها بسوق الجامع، لأنها في نظره تتجادل
حول الاسعار مع المشترين من الرجال باللين ، لا يعطيها ما تحتاج من المال،
لا يرضى أن تسلم على الأقارب من الرجال إن هم أتوا لزيارة أبو مرزوق في
المنزل، يتفقد أغراضها بين وقت وآخر.

هيلة لم تعلق على إشكالية لاي مع الشقحا ، وشكّه المريض في زوجته
، فهي في وضع نفسي يسوء لحظة بلحظة، رأسها مربوط بخرقه شدتها أم
مرزوق بإحكام على جبهتها ، عل ذلك أن يخفف الألم.

أأأووووءءء، ما هذا الصوت !! إنه صوت سيارة تقف أمام الباب، خرج
السلمي لمعرفة الأمر، يا للمفاجأة السارة في الوقت الحزين، من هذه المرأة
التي نزلت من السيارة ، إنها أم السلمي ، نعم أم السلمي.

هو علم أو حلم، أم السلمي بحلة الفحم، لم يمهلها أن تصعد عتبة الباب،
ضمها وضمته، أبكته وأبكاه، حزن فراق لم تطفه فرحة اللقاء،
فالمناسبة فراق آخر، فراق أبدي لعزيز لا يمكن نسيانه.

خمس سنوات يا ظالم، ماتتشد عن أمك؟ قالتها وهي تتمايل يمينا ويساراً
والسلمي في حضنها، واقفين على عتبة الباب.

يا ميمتي واللّه انك ما غبتي عن بالي ساعة في ها الخمس سنين كلها، قالها
ودموعه تنهمر.

السلام بالبيت مهوب بالشارع يا مرة^١، عبارة توييخية صدح بها دنقور من
بعيد وكأنه يقول أنا موجود وجاهز للسلام علي.

أذعنت أم السلمي لتوييخ دنقور، لمح السلمي عمه، ذهب إليه، قبل رأسه
بترحيب غير حار، لم يعز كل منهما الآخر في وفاة فايز، لأمر في نفس
يعقوب، لكليهما معاً.

لحق دنقور بأم السلمي إلى الداخل على عجل للقاء الأرملة هيلة، عمّت
اللحظات الحزينة والدموع الغزيرة وسط المنزل، تحديداً في المصباح
،السلمي يتهرب من مشاهدة هذا الموقف، بحمل عفش أمه من سيارة الشفر
السبعة وستين، ونقلها إلى المجلس، تحاشياً للدخول.

سلّمت أم مرزوق على دنقور بعد أن عرّفت بها هيلة، إنها زوجة وزيان ابن
ذريع، رفيق أبوها.

رد دنقور على السلام ببرود واضح، وازدراء خفي، كيف أن امرأة لا تعرفه
من قبل، وليست من أقاربه، تُسلم عليه بهذه الجرأة، وما زاد الطين بله،

^١ مرة، أي بامرأة.

أنها تلبس برقع يظهر عينيها ، وقبل هذا وذاك ، إنها زوجة وزيان غير المحبوب لدى نابيش الخب كلهم ، باستثناء أبو السلمي وفايز وبطبيعة الحال السلمي بعد ذلك.

تم أخذ الاحتياطات الأمنية لهذه الزيارة ، إخفاء الراديو تحت الفرش لحين تصريفه خارج المنزل عند أحد الجيران ، إخفاء كل الثياب التي تلبسها هيلة بالرياض نوع كرت ، وهي الملابس النسائية التي يقصد عند خياطتها تضيق خصر الثوب ، ما يعتبر مخالفة للعرف الخبي.

توافد نساء الجيران على هيلة ، للسلام على والدتها ، ومنهن غرسة وبنتها شيخة ، كانت شيخة نشيطة ، تأتي بالشاي ، وتصب القهوة ، وتغسل البيالات ، ما أعجب أم السلمي ودعاها إلى أن تهمس في أذن هيلة :

-يا حليلة هالبت مزينة ، وحركة ، ونفسه خفيفة ، ياليت من حظ وليدي السلمي.

تغير وجه هيلة وهي تنظر إلى شيخة مستحضرة دقائق فايز الأخيرة في حياته فلم تتمالك نفسها وقالت بعصبية :

-يمه الله يهديك هذي نورية قالتها بصوت كدن بعض الحاضرات أن يسمعنها.

-واسفا به ، نوريه ، قالتها أم السلمي بحسرة.

لاحظت أم السلمي اتصالات مباشرة بالمجيب بين السلمي وهيلة ، لترتيب عزيمة غداء للوالدة ودنقور يوم غد ، وقفت بينهما قائلة :

-والله ثم والله ، ما تذبحون ذبيحة ، هذا وقت ذبايح وعزايم ، حنا في عزاء.

-يا ميمتي الله يهديك ما شفتك من خمس سنين وتبين ما افرح بك؟.

-ياالسلمي حلفت انا ، ما بالحكي فايده.

-طيب انتي حلفتي عن الذبيحة ، ابجيب لحمه حاشي وطالبك يا ميمتي لا تردين.

-سم ، سم ، ياوليدي.

أعد الغداء وعزم أصحاب الغتر ومعهم هذه المرة أصحاب الشمع الحمر متيح ونشبة ولعلع بإلحاح من دنقور الذي التقى معهم بالمسجد وعزموه في المشراق.

-تفضلوا على الغداء الله يحييكم ، السلمي يدعو المعزومين لتناول الغداء.

قام الجميع بالنزول من الروشن الى الديوانية في الدور الأرضي ، ، أهل الشمع في المقدمة يتقدمهم دنقور وأهل الغتر في المؤخرة.

بدأ الهمز واللمز بالنظرات بين متيح ونشبة ومعهم لعلع وبمباركة من دنقور بعد أن لاحظوا أن عزيمة السلمي لأمه وزوجها لحم بغير وليست ذبيحة.

أخذ متيح قطعة كبيرة من اللحم ، وصار يعرّمشها بصعوبة ، لرداءة أسنانه ، يتكلم ، والعضم واللحم ما زالا في فمه موجهاً كلامه لنشبة :

-هالحمه نيه ، الظاهر انها ما استوت.

علق نشبة :

-لا والله مستوية ، بس هذا لحم هرش تحسبه لحم غنم !!

فهم السلمي الرسالة ورد قائلاً :

انتهت الوليمة بخيرها وشرها.

انتهى اليوم الأول لزيارة أم السلمي وزوجها دنقور، تبعه اليوم الثاني فالثالث.

في اليوم الرابع تم الحديث عن المسكوت عنه ،وهو الإرث، بدأ دنقور الحديث ، بأسلوب مهذب ، وبمنادات السلمي بسليمان لأول مرة ، واستخدام مفردة وانا عمك.

-يا سليمان وانا عمك انت تعرف ان فايز ما عنده عيال ،ولا اخوان ،وأمه وأبوه ميتين، وانا الوريث الوحيد له مع زوجته هيلة، وهذا حق محلله الله عز وجل ،واليوم نبي نعرف اللي له واللي عليه ،قروش وبضايح وعقار.

-والله يا عم دنقور، مثلي مثلك ،لا تتشدني الا عن حسابات دكان أوشيقر ،أما دكان شارع التمر فالمفتاح مع هيلة من يوم طاح الله يرحمه ،واللي أعرفه انه ما يملك إلا ها البيت اللي حنا فيه.

-الامر سهل وانا عمك ،نبي ننشد هيلة عن اللي تعرفه، ونبي نروح مع متيح ونشبة ولعلع نفتح الدكان ،ونشوف كم بالصندوق من دراهم واوراق وصكوك ،ونشوف كم تسوى البضاعة الموجودة،وعقبين نروح لدكان أوشيقر وننشد عن قيمته ،قبل نبيعه ،وانت عطنا اوراق حساباته، ومفتاح السيارة الشفر ، نأخذ اللي لنا من الورث ،ونعطي هيلة ورثها.

-وش تبي يا عم باهل المشراق، كلهم لا يقرؤون ولا يكتبون ،ولا يعرفون بالتجارة شي ،انشدهم عن الحمام والعنزة السورية وتفسير الأحلام.

-هذولا الخير والبركة، هذولا أهل النية الصافية وانا عمك، هذولا أهل الشمع ،أعلم من اللذين يقرؤون ويكتبون، اخلص علينا تراي باكر بسافر ونبي نحرّج ها العصر على البيت والدكانين والبضائع حراج ميت.

-وش اللي حراج ميت يا عم !! تبي تبيعهن بارخص الاثمان، أنا أبشترينهن يا عم ولا تكسرهن ،واعطيك القروش بعد سنة.

-مدة سنه، تبيني أصبر سنة، مت يا حمار إلين يجيك الربيع، ما هنا سنة، أنت تبي تشتري هاالحين ،ادفع هاالحين.

-ما عندي يا عم .

ثم فكر قليلاً ، كأنه يبحث عن طريقة لتأمين المبالغ، وقال:

-تدري يا عم، عندك حقي من ورث أبوي، خذه كله، حقي بالمرزعة، وحقي من الدراهم، كل ما أملك بالخب خذه، وعطن الدكانين وبيت حلة الفحم والشفرة.

-تم، تم يا ولد اخوي، ما عندي مانع، قم ناد ربع المشراق يشهدون، وجب احد يكتب بيننا، حقك بالمرزعة لي، وحقي من ورث ولد عمي فايز كله لك، بيت حلة الفحم والدكانين والبضاعة، الا الدراهم مالك شغل بهن.

اتفق الطرفان بشهادة أهل الشمع اتفاقاً نهائياً وشرعياً، آلت بموجبه ملكية البيت والدكانين والشفرة للسلمي، مقابل تملك دنقور جميع ما ورث السلمي من أبيه بخب النباش، موجودات، منقولات، مزروعات، وكل شيء، باستثناء كتب أبو سليمان التي أصر السلمي على أن تبقى ملك له، دون إصرار من دنقور على الاحتفاظ بها.

صفقة أثلجت صدر دنقور، فهو الرابع الأكبر بلا جدال واستعجال السلمي بالعرض لم يكن في صالحه، فلو ذهب وقيم المزرعة لعرف أنها تساوي أضعاف قيمة الدكانين وبيت حلة الفحم والشفرة.

غادرت هيلة وأمها وعمها دنقور الرياض إلى الخب، وقلبها يتقطع من حر الفراق، فراق الغالي، وفراق حياة الغالي، البيت، الجيران، عز عليها فراق شقيقها الوحيد السلمي، من حبها له لا تريد تحميله مسئولية التسبب في موت زوجها.

أحبت الرياض وأهلها حباً جما، انصهرت مع أهل حلة الفحم بشكل عجيب، صارت منهم وهم منها، رغم فارق اللون في بعض الأحيان والنسب أحيانا أخرى.

حاولت إقناع أمها كي تكمل عدة الحداد مع السلمي في الرياض بين أهل حلة الفحم، لكن هيهات أن يوافق عمها دنقور، فالأعمال الزراعية تنتظرها في مزرعة خب النباش، أم السلمي لم تعد نشيطة بما يكفي، للأعمال الشاقة.

حارة سكيرينة



بقي السلمي في حلة الفحم بالرياض وحيداً في هذا البيت الواسع ، كل مكان فيه يذكره بفايز، يتألم بحسرة ، كونه المتسبب الرئيس بعد الله في ارتفاع ضغط الدم الذي أدى إلى جلطته والتي بدورها أودت بحياته، كل شيء في هذا البيت يذكره بهيلة ، الشقيقة الوحيدة في هذه الدنيا، الأخت الحنونة، التي تسبب في ترملها، ليته لم يطرح خطبة شيخة النورية على تلك السفرة في ذلك الظهر المشؤم، بل قل ليته لم يهو من الأساس هذه الشيخة النورية الجميلة.

اليوم هو اليوم الأول له للعودة للحياة العملية، عليه أن يبدي اهتماماً أكبر بتجارته ، لينافس أنداده بالسوق من كبار السن وأصحاب الخبرة الذين لهم علاقات تجارية وداخلية وخارجية مميزة، وهو في العشرينيات ويفتقر إلى تلك الخبرة والعلاقات.

استيقظ باكراً، أحضر الخبز من المخبز مع قليل من الفول والطحينية، وعلبة جبن كرافت، تناول وجبة الفطور أعد إبريق شاي، وملاً كأسه،

جلس يتأمل نقط الماء التي تنزل من الزير[□] الذي أمامه في الطرف الأيمن من المصباح ،نقطة ،نقطة ، كأنه يعد قطراته ، هذا الزير لم يعد يحتاج إلى تعبئته بالماء يومياً ، كما في السابق ، مرتاديه للشرب ذهبوا ، لم يتبق الا هو. سبح في خياله ، غاص في ذكرياته ، تذكر أغنية وحيد منفوحة الجديدة التي سمعها مراراً عند سرور:

ما راح من عمري علي واجب أنساه

وابدا حياة مابها شك واوهام

يمكن يدور الوقت ويمكن اني اسلاه

وأريح العينين والفكر وأنام

هم بالمغادرة ،وقف على قدميه بتثاقل ، صار ينظر إلى كل ما هو أمام ناظريه.

هذا هو اليوم الأول له في البيت لوحده ، كيف سيتعامل بقية الأيام مع هذه الوحشة في هذا المنزل الكبير ، آه ، آه ، آه ، ونة خرجت من أقصى قلبه ، تمتم وكأنه يكلم نفسه ، صدق من قال:

احسب عمار الدار يا عبيد جدران

واثر عمار الدار يا عبيد اهلها

يبدو أنه أصبح في حال يرثى لها ، يستجد بكل الأبيات المدونة في ذاكرته للتخفيف عن ما صار يعانيه من كآبه ملازمة.

¹ مصنوع من الفخار يستخدم لتبريد ماء الشرب.

ذهب إلى العمل ذلك اليوم ، والأيام التي تلتها ، صار يتنقل بين دكان شارع التمر ، الذي أوكل البيع فيه لأحد الصبيان ، وبين دكان سوق أوشيقر ، الذي يبيع فيه بنفسه.

عبر المراحل الأولى للتجارة ، نجاحات ملموسة وخبرات تتراكم تدريجياً ، صار الرصيد ينمو بشكل جيد ، لكي تستمر هذه النجاحات ، لا بد من حل معضلة الوقت والتفرغ ، وجود متجرين في مكانين مختلفين أثقلت عليه المهمة ، ما دعاه للتفكير بعمق لحلها ، توصل إلى حل سريع مفاده أن عليه الاختيار بين أحد المتجرين ، خيار لم يكن صعباً عليه.

قرر تقبيل □ دكان شارع التمر ، وجرّد ما فيه من أرزاق ، وبيعها على المشتري بسعر معقول.

الزيون من أهل الشمع الأحمر ، يمتهن تجارة بيع الأرزاق في الشارع نفسه من أيام المرحوم بإذن الله فايز ، وضع عينه على الدكان منذ وفاته ، عرض على السلمي رغبته في شرائه ، تمت البيعة ، وانتهت إلى الدعاء بالتوفيق للبائع والمشتري.

احتفظ السلمي بدكان سوق أوشيقر ، وتم توسعته ، الدكان التجاري المربح ، عند أهل التجارة المتمرسين ، أهل سوق أوشيقر النشطين ، لديه طموح بأن يكون مثلهم ، ما العائق في ذلك ؟

الدكان موجود ، والمال توفر بعد أن أتم صفقة بيع دكان شارع التمر واستلم قيمته ، والإصرار والحماس يسريان في دمه.

صار يقضي جل وقته في دكان سوق أوشيقر ، يدفن همومه بالعمل الدؤوب والمتواصل ، حتى الراحة اليومية وتناول الوجبات لا يعود للبيت من أجلها ،

يقضيها في المقاهي، وقت القيلولة في مقاهي شارع البطحاء، وفي المساء مقاهي كيلو 6، يعود عند الساعة الحادية عشرة مساءً إلى البيت، يرمي بجسده المتعب على الفراش بعد أن ينتظره قرابة النصف ساعة مفروشاً كي يبرد.

هذه ضريبة العزوبية، الفراش يظل مرمياً مطوياً تحت أشعة الشمس طيلة النهار، على سطح المصباح، وليس سطح الروشن بطبيعة الحال، فسطح الروشن يفتقد إلى درج يوصل إليه.

يدير محرك الراديو على إذاعة لندن، يستمع حتى ينام،

أحياناً كان يجد عند عودته علامات على الباب، أو حوله، تشير إلى أن أحداً ما، أتى في النهار يبحث عنه، ولم يجده، ووضع ما يفيد بقدمه، والعلامة هي الدليل، هذه الخرقة المربوطة على مقبض الباب، أو هذه الحصاة الموضوعة فوق عتبة الباب، وليس أدل من هذا اللبن المسكوب على عتبة الباب بشكل ملفت.

كان يعرف أن الخرقة المربوطة دلالة على أن سرور جاء أكثر من مره يبحث عنه ولم يجده، افتقد لحمة الحاشي، وكرز الدخان أبو بس، وكشتات البر.

أما الحصاة، فهي عادة أبو محسن القديمة الجديدة، عندما لا يجد من يفتح له الباب، يضع حجراً كبيراً أمام الباب تذكر صاحب الدار، أن أبو محسن أتى ويرغب في رد الزيارة، يبدو أنه محتاج لأحد يوصله إلى سوق الاسطوانات في الديرة، لتصفية بعض حقوقه لدى بائعي الاسطوانات، بعد أن تحولوا إلى بيع أشرطة ماكسيل، انتهت أسطورة اسطوانات نعيمي فون، وبالطبع فالخاسر هو نعيمي فون وجماعته.

تبقى اللبن، بلا فراسة يعرف من أتى وسكبه على العتبة، إنها النورية المميزة شيخه، كانت تتحجج بالسابق بجلب اللبن يومياً لهيلة، والهدف رؤية السلمي، واليوم تسكب جزء منه عند الباب، ليعرف السلمي أنها أتت أكثر من مرة لمقابلته، إنها مصرة على معرفة سبب هجرانه القاسي لها بأي ثمن، حتى لو تجاوزت الأعراف وأتت بنفسها لتعطيه اللبن في منزله، وهو العزوبي، إنها مضطرة لذلك فالسلمي بعد وفاة فايز لا يكلمها، لا يسلم عليها، يتجنب زيارة عمها سرور، حتى لقاءات دكان أوشيقر توقفت، بعد تعمده ترك الدكان، والتلثم، وذهابه بالاتجاه الآخر عندما يراها مقبلة هي وأمها لزيارته بالسوق.

أما شلة حلة الفحم، شلة الخرابة، شلة مقهى أبو رقلة، فقد انكشفوا له، ليس لهم خاتمة، يعرفون موقع دكانه، ويعلمون أوقات تواجده بالمقاهي الأخرى، مع ذلك لا يسعون لمقابلته.

سنتان من الزمن ورؤية السلمي في الحارة كالشبية في الرأس، واقع جديد للتواصل، ابتكره كي يقفز فيه عن آلام الفراق، فراق الحبيب فايز، وفراق الحبيبة شيخه، فراقين كلاهما يتقاطع مع الآخر.

لنقل واقعاً جديداً لعدم التواصل، فرضه السلمي، تعايش معه، أهل حلة الفحم بتفاوت، أهل المشرق رحبوا كثيراً بتواري السلمي عن الأنظار، الشلة نسيته، أما شيخه فقد بدأ اليأس يدب فيها وصارت تشك كثيراً في سلوك السلمي، بعد أن أصبح عزوبي حلة الفحم المشهور، عنده سيارة، وجيبه مليء بالدرهم، لماذا لا يصبح هدفاً لنساء الحي، إطلالتها مع الباب، ومن فوق السطح ليل نهار بانتظار أن تراه لم تعد تجدي، تعبت من الإسراع عند سماعها لأي صوت سيارة تمر عبر الشارع، عل وعسى أن يكون السلمي.

-الجولة التاسعة عشرة -

آخر الليل ، في عودته المعتادة إلى بيته ، وجد رقلة ومغيبر على عتبة الباب بانتظاره ، ارتاب قليلاً قبل أن يبادره رقلة بإخباره عن سبب الانتظار والمقابلة :

-ابشرْكَ يا السلمي عرسي الاسبوع الجاي.

-مبروك من ستتزوج يارقلة ؟

-شمة اخت كحلة ، تراي محتریک ابعزمك عجزنا نلقاك يا رجال.

استغرب السلمي اختيار رقلة لشريكة حياته ، فرقلة حنطي اللون ووسيم ، وشمة أخت كحلة فتاة سمراء ورأسها مفلفل ، بينهم خلاف شديد ، بعد شجار سرور معهم ، لكن لا بأس ، الحب أعمى ، وعفى الله عن ما سلف.

-مبروك يا رقلة قالها السلمي وأكمل : لي الشرف أحضر عرسك.

ثم أخرج من جيبه مئة وعشرون ريال قيمة ذبيحة ووضعها بجيب رقلة بسرعة ، عانية¹ على الزواج ، أبدى رقلة رفضه اللين قائلاً :

-ما يحتاج يا السلمي حضورك هو المهم.

تداخل مغيبر :

-يا رجال خذ الفلوس ، ما انتظرتة تالي هالليل الا تبي العانية.

ضحكوا جميعاً ثم سأل السلمي رقلة :

¹ عادة منتشرة وهي : إهداء مبلغ معين أو هدية عينية للمقبل على الزواج.

-وين موقع الزواج.

أجاب رقلة:

-الحريم في بيت أبو كحلة، والرجال فرشوا لهم بالسكة السد[□] اللي جنب بيتهم.

علق السلمي مستظرفاً:

-وان جاهم كلب مغلوث بها السكه السد وين يهجون.

قهقه رقلة بشدة ، مسرور جداً ، أكيد ، ولماذا لا يُسر ويبتهج فالسلمي قد أعطاه مئة وعشرون.

علقوا لمبات الزواج ، فرشوا السجاد في السكة السد ، بدأ الحفل.

فرقة السامري عند الرجاجيل ، والطاقات[□] يُسمع أصواتهن من مدى بعيد.

لحظات فرح غامرة ، النساء في بيت أبو كحلة ينتظرن دخول العريس.

فجأة اختلط الحابل بالنابل ، الفتيات يصرخن ، الأطفال يبكون ، والمسنيات يَصِحْنَ:

طفى الكهرب ، طفى الكهرب.

الأحمال أكبر من تحمل عداد الكهرباء ، انقطعت الفيوز[□].

¹ جادة صغيرة لها مدخل وليس لها مخرج.

² مجموعة من النساء عملها إحياء الزواج تطرق على الطبول مع ترديد أناشيد الأعراس وغيرها.

³ هي القواطع التي تصل بين الأسلاك القادمة من الشارع وكهرباء المنزل.

صاح طقطق ،وهو الذي لم يكن بعيداً عن الباب ، ومفتاحه وأسلاكه في جيبه:

وخروا ، وخروا.

اقتحم الجموع النسائية في ظلمة لا ترى يدك فيها ، يشعل عود كبريت لينير طريقه ، ثم يشعل الآخر وهكذا ، اتجه إلى الفيوز في عداد الكهرباء ، عمل الخطوات الفنية اللازمة لإعادة الكهرباء ، عادة الكهرباء ، أضاءت اللمبات في البيت مرة أخرى.

فرح المدعوات من النساء بعودة النور ، خاصة البنات ، صفقوا في وقت واحد وبصوت واحد ، عاش طقطق ، 0 عاش طقطق.

كل ذلك أمام أعين الأنسة العرجاء ، بدرية بنت المقرقش.

نظرت إلى طقطق بعين ، بادلها طقطق النظرة بمثلها ، اتبعتها بغمزة بالعين اليسرى ، أجابها طقطق بغمزة بالعين اليمنى ثم خرج من عند النساء وهو سعيد بهذه الصدفة الثمينة .

تمت مراسم زواج رقلة على خير ما يرام ، بفضل براعة صديقه المشكوك في شهامته.

هذا هو ثالث زواج في الحارة تنقطع فيه الكهرباء ويتدخل طقطق بشهامه ويصلح الفيوز 00 ما الحكاية !! وما يثير الشك أيضاً، حرصه على المشاركة في تمديد أسلاك الكهرباء وتركيب اللمبات بعد العصر وقبل بداية الحفل .

الرجل في جيبه مفتاح وأسلاك ، وينتظر عند باب النساء طوال الوقت ، يتوقع مشكلة انقطاع الفيوز قبل وقوعها ، نحن نبرأ إلى الله أن نتهمه

،ونقول إنه من رتبَ لهذه الانقطاعات في الزيجات الثلاث ، لا نقول إنه حريص على الدخول عند الحريم، ولا نقول إنه يعلم أن الدخول عند الحريم بلا سبب من سابع المستحيالات.

باختصار الرجل أجاد ،كان بارعاً حقاً في الاطلاع على محارم الناس ، براعة نال على أثرها إعجاب بدرية، يبدووا أنها وضعت عليه العين، وبدرية إذا أرادت الحصول على شيء فستأخذه مهما كلف الأمر.

يحق لها ذلك ،فهي وحيدة أبيها ،0 وبيتهم مبني من الخرسانة تحت طلعة الشميسي، أبوها وكيل أدوات البناء الحصريّ في حي الشميسي، اسمنت 0، جبس، أبواب، نوافذ ، تعود له ملكية أكثر من عشرة بيوت في حلة الفحم، كلها مؤجرة، ناهيك عن الدكاكين التي تطل على شارع الشميسي، الله نسال أن تكون بدرية العرجاء من حظ طقطق وهو على استعداد لتقبل إعاقته.

انتهى زواج رقلة ،عاد الجفاء يخيم من جديد، بين السلمي وسكان حارة الفحم، التجارة هي صديقه الودود.

صار التويجر □ سليمان النباش ،يقضي يوم الجمعة -إجازته الاسبوعية - في حي سكيرينة

أصبح وزيان أباه ،وأم مرزوق أمه ،ومرزوق أخاه، والشقحا أخته، لا يعكر صفو أنس زيارته لهم إلا "لافي" زوج ابنتهم الشقحا، هذا الرجل لا يُخفي عدم تقبله للسلمي منذ زيارته الأولى لسكيرينة، لا يعلم السلمي ما سر هذا الحقد.

¹ تصغير تاجر.

ألغى لاي في زيارة الشقحا لأهلها والتي كانت مبرمجة كل يوم جمعة بسبب أن السلمي يتناول الغداء عندهم كل جمعة، عند لقائه معه يعتمد تسفيه وقطع كلام السلمي في أي موضوع يتحدث فيه، عند الانشراح لا يستسيغ أي كلمة مزح يبدعها السلمي، في جلسات الغناء على الربابة يقاطعه ويفتح مواضيع لا صلة لها بالغناء.

باختصار لا يحب هذا الرجل ولا مجالسته، الويل للشقحا إذا جاء ووجدها جالسة معهم جلسة أسرية والسلمي بينهم، الويل كل الويل إذا وجدها تستمع للسلمي وهو يجر الربابة، هذا يعني مشاجرة ولعن وشتم وقد يصل الأمر إلى مد يده عليها.

اليوم هو اليوم الأول من رمضان، السلمي في طريقه لبيت وزيان في سكيرينة للإفطار معهم، معه هدية لبيت وزيان، راديو نوع فيلبس، نوع حديث لكي تتمكن عائلة أبو مرزوق من سماع يوميات أم حديجان في ليالي رمضان □ بصوت أوضح من صوت راديو وزيان القديم، القديم ليس له أنتل.

أوقف السيارة تحت جدار وزيان، طرق الباب، المفتوح على مصراعيه وهو يحمل الراديو:

يا عم أبو مرزوق.

اقلط يا السلمي، عد جاي، هلا والله بالنشمي ولد النشمي.

¹ برنامج تمثيلي إذاعي مشهور يعالج بعض القضايا الاجتماعية.

دخل المجلس ،أقبلت أم مرزوق ،تلتها ابنتها الشقحا ممسكة بأبنتيها "سویر" ذات الأربع سنوات و "نویر" ذات السنتين ، كلهم فرحون بزيارة السلمي لهم.

بادلهم التحية والمباركة بالشهر الفضيل ، وهم بدورهم أثوا عليه لشرائه الهدية القيمة ،وضعت أدوات طعام الإفطار للرجال في وسط المجلس ، على السجادة دونما سفرة.

إفطار شعبي بسيط ما هو الا مطبقية فيها "تمرة شعة" ،وهي خليط من التمر ومعه مطحون الإقط مفروكة بالسمن البلدي ، تؤكل مع تناول القهوة المضاف إليها الهيل ، أحضرت بعدها أم مرزوق غضارة أم كوير يبدو عليها القدم مليئة باللبن الرائب ، تشرب منها أيها الصائم رشفتين تغنيك عن ما هو قادم.

بعد الصلاة يتم تقديم الطبق الرئيس للإفطار وهو صحن مليء بالرز واللحم.

بووم ،بووم ، صوت مدفع الإفطار ، انهال الجماعة على الفطور ، كجلمود صخر هده السيل من عل ، أفطر الجميع ، أدى الرجال الصلاة في المسجد ، عادوا ، أكلوا الطبق الرئيسي والحمد لله.

اجتمع جميع أفراد العائلة نساء ورجالا بما فيهم السلمي يشربون الشاي ،ملتفين حول الراديو يستمعون إلى يوميات أم حديجان في ليالي رمضان ،ارتفعت الضحكات ، وبدأت التعليقات ، الجميع مسرورون.

الشقحا تلبس البرقع جالسة على استحياء ، أم مرزوق متبرقة وتجلس بلا استحياء ، السلمي كأنه بين أهله ، أبو مرزوق يمسح دموعه بشماغه من كثرة الضحك على مقطع "السراج يقبب في التمثيلية الاذاعية.

فجأة دخل لاي في عليهم، قادما من بيت والدته ،التي أصرت عليه بالإفطار عندها أول يوم في رمضان مع زوجها المدعو "زويرق"، دعوتها له لم تكن حرصاً على مشاهدته والإفطار معه بقدر ما هو عناد لطليقتها أبو لاي في، شقيق وزيان الوحيد..، حركة من أم لاي في تدل على خبثها ودهائها.

مسكين لاي في ، لا علم ، لا مال ، لا وظيفة ، عاش حياة مقسّمة ، بين والده المتزوج من غير والدته ، وبين أمه المتزوجة من غير والده ، لولا الله ثم عمه وزيان الذي زوجه ابنته ، الوحيدة الشقحا ورفع من قيمته بين آل ذريع ، لأصبح لا يساوي شيئا.

اكتفى لاي في بالوقوف على باب الديوانية، في شموخ، يلتفت يمينا ويسارا ،متقلداً شماغاً أحمر كالدم، يبدو عليه القدم ، غير آبه بابنتيه نوّير وسوّير، اللتين تلعبان بالمجيب بجوار قدميه، يخلل أسنانه بعود يجده عادة، مرمياً على الأرض، مسلولاً من خشب الباب ،أو مأخوذاً من بقايا خشب النافذة المتكسر، أو من لوح خشبي وجد مرميا في وسط الشارع لعقه الكلب عدة مرات، النظافة لا تهم .

تفاجأ الجميع من تسلل لاي في بهذه الطريقة دون طرق الباب، صحيح أن الباب مفتوح على مصراعيه كالعادة ، لكن الأصول تقول أن ينادي قبل أن يدخل، يا ولد ، أو يا أهل البيت ، أو يا الربع ... الخ .

حدّق بالسلمي، أدار وجهه لعمه وزيان ،وقال:

-سلام علاكم.

رد الجميع: عليكم السلام.

-أبكم صوت أم احدىجان ،وضحكاتكم، واصلة الجامع ،علامكم
، انتم انهبلتوا.

-يا رجّال استرح بس ،وبشرني عن حال اللي جيت منهم، أمك وشلونها ؟
قالها وزيان يريد إسكات لاي في عن انتقاده لهم.

-بخير يا عم.

-الشهر عليك مبارك يا لاي في، قالها السلمي علها تجد صدى طيب في هذا
الشهر الكريم وتلطف الأجواء.

-الله يبارك فيك، قالها لاي في بتكلف واضح للعيان ثم أردف: ياالله
ياالشقحا أرواح للبيت.

بادرته أم مرزوق مستغربة:

-وش تسوي بالبيت يا لاي في أباهها تروح معي للمبسط، شوي في ردي بالليل،
وأباهها توسع صدرها.

-يا عمّه أخاف على البنات من السكة ،وأباهها تسوي سحوري.

-يا رجّال البنات بحفظ الله معنا ،والسحور يبي يمدّيها علاه.

وافق لاي في على مرافقة الشقحا لأمها في المبسط ،بعد أن رأى العين الحمراء
من أم مرزوق.

-ياالله ،وش تحترن ،الهام، الحقوا على المبسط الزينة ،لا توخذ وأنتم
توحدون أم حديجان، قالها لاي في يستعجلهم بمغادرة المنزل في أسرع وقت
ممکن.

-نحتري ولدي السلمي يصلي العشاء ويودينا على دربه.

ما إن سمع لاي في اسم السلمي ، وانه سيوصلهن بسيارته حتى استشاط غضباً وقال بصوت عالي:

-علي الحرام ما تروح مرتي معكم ، 0 قومي يا مَرَه للبيت.

ذهل الجميع من التحول السريع للاي في ، من موافقة إلى رفض ، وبغضب.

هنا تدخل وزيان بحكمته المعهودة وفهمه السريع قائلاً :

-قومي ، قومي يا الشقحا لبيتك.

ثم التفت إلى أم مرزوق:

وانت ياعجوز بليس ، جهزي قشك عقب الصلاة على طول ، ينطلق □ السلمي على دربه ، لا تأخريه ، عنده دكان بالديرة ، ياراعية مبسط الجامع.

نار وسكب عليها ماء ، هذا هو حال الغضب العارم للاي في بعد كلام عمه وزيان ، المساند له.

أخذ زوجته وبناته وذهب إلى بيته ، والسلمي أوصل أم مرزوق بعد الصلاة وذهب إلى دكانه.

أكمل السلمي رمضان وهو يفطر عند أبو مرزوق يومياً ، يحمل معه في كل يوم مشروبات ومأكولات حجازية يشتريها من البطحاء تبهر أم مرزوق.

شراب تمر هندي ، لقيمات ، 0 سنبوسة ، 0 شراب التوت ، أكلات ومشروبات تفرح مرزوق والشقحاء وابنتيها نويرة وسويرة ، خاصة شراب التوت

¹ يرمي بك.

عندما يكون سكره زايد، تجدهم يكررون الشرب منه مرات ومرات ، حتى تكاد بطونهم أن تتفجر.

انتهى رمضان ، هجران السلمي لحلة الفحم مستمر ، شوقه لشيخة يؤلمه ، انقطاعه عن الشلة يجعله بشوق إلى تلك الأيام الجميلة ، آه، آه، حن لجلسات سرور الطربية مع اسطوانات الفنان وحيد منفوحة ، واللعب معه أم ثلاث ، وشيخة تتمشى أمامه في الذهاب والإياب.

أُعلن يوم غد أول أيام العيد.

آه، أمه وشقيقته وأقاربه الخبوية بعيدون عنه.

لمن يلبس السلمي ثوب العيد الجديد ؟ ولمن يلبس الغترة الجديدة المكوية ؟ ولمن يتعطر ؟.

لن يُعايد شيخة هذا العام.

من يعايد ؟ أصدقاؤه في الحارة صاروا كالغرباء.

من يعايد ؟ أهل المشراق الخبثاء اللذين يمشون بين الناس في حلة الفحم يهمزون ويلمزون ، لعزوبيته غير المقبولة في الحارة ؟

على كل حال ، إنها شعيرة دينية يجب الالتزام بها.

جهّز الثياب ، استحم للعيد ، استرخي على فراشه في السطح ، جعل مؤشر الراديو على صوت العرب من القاهرة ، كوكب الشرق تغني "يا ليلة العيد أنستينا" ، إلى أن نام.

أصبح وأصبح الملك لله ، توجه إلى سكيرينة ، حسب الموعد الذي أعطاه لوزيان بأن يصليا العيد معاً ، 0 في مسجد العيد بشارع الوزير ، عادا بعد

الصلاة ليجدا أهل سكيرينة قد بدأوا بتقديم صحون أعيادهم في الشارع، قدموها على بسط مختلفة من حيث الجدة ومن حيث النوع، فرشت وسط الشارع دون مراعاة لحرية السير فيه، الجميع يعايد بعض، سلاماً ثم يليه طعاماً، لم يُرَ لاي بين الموجودين، يبدو انه تعيّد مع والده في سكناه بحي منفوحة.

تذوق السلمي أصناف وجبات عيد سكان شارع وزيان، هذا رز، وهذا جريش، وهذا مرقوق .

جلس متكأ على الجدار بجوار وزيان يسمع بعض التعليقات التي تفتقد لأبسط أبجديات الطرافة، أتت بعدها سوّير بنت الشقحا تنقل رسالة شفوية من أم مرزوق إلى السلمي، تطلب فيها منه، أن يوصلها مع ابنتها الشقحا إلى شقيقتها الكبرى المدعوة "أم زقيم" لمعايبتها، تسكن أم زقيم في ظهرة منفوحة وهو حي جديد ملاصق لمنفوحة من الغرب الجنوبي.

بكل ممنونية أوصلهم بيت أم زقيم، كان الطريق مليئاً بالمطبات ما جعله يتوتر قليلاً، أنزلهن عند الباب وهو يردد:

-لا تبطين يا أم مرزوق، والا تراي أبخليك وأمشي، أنا ما عايدت أهل حلة الفحم إلى ها الحين.

-الله واكبر، "هل المربع على العازة"؟، وش معجلك على كمش حلة الفحم، والله لو انهم من المعول □.

قالتها أم مرزوق وهي ترفع عباؤها التي سقطت من على رأسها وهي تنزل من السيارة.

¹ الأمراء.

انتظر ربع الساعة، لتظهر عليه الشقحا وابنتيها، صعدت إلى السيارة مفيدة:
أن أمها ستبقى اليوم عند أختها أم زقيم، أما هي فستعود مع السلمي إلى
بيت والدها بعد أن عايدت خالتها، فهي على موعد مع زوجها لايف لتذهب
معه لمعايدة والده ووالدته.

-بسرعة يا السلمي، قبل يجي هاالمقرود، والله إن يشب علي النار المكبرة.
قالتها الشقحا والقلق يبدو عليها.

زاد السلمي من سرعة السيارة، أقبلا على بيت وزيان، يا للحظ العاثر، وجد
لايف ينتظرهم على عتبة الباب، ودخان سجائر أبو بس تحوم حوله.

بمجرد وقوف السيارة، أقبل ليتحقق من بداخل السيارة، عندما لم يجد أم
مرزوق، استدار بسرعة نحو الشقحا التي تهم بدخول البيت بعد نزولها من
السيارة، جرها بعنف وهو يصرخ:

-رايحة مع الخبي بلحالك.

-لا والله أمني معي، قعدت عند خالتي أم زقيم.

بصوت أعلى من السابق، ويد جائرة، تسقط على وجهها بقوة مضاعفة:

-جايه من خالتك أم زقيم، والا من حلة الفحم.

قفز السلمي من مقعده أمام مقود السيارة ليمنع لايف من الاستمرار بضرب
الشقحا والتوقف عن هذا الاتهام الخطير وهو يردد:

-تعوذ من الشيطان يا لايف، عيب الكلام هذا، هذي أم عيالك.

-الشيطان انت. ثم أحال موجة الضرب إلى السلمي.

اشتبك السلمي ولاي في الشارع ، والشقحا واقعة على الأرض والابنتان سوّير
ونوّر تبكيان ، خرج وزيان ومرزوق من الداخل وهما يرددان:

-العلم يا ولد ؟ العلم يا ولد ؟

دخلا بين السلمي ولاي لفض الاشتباك ، أمسك مرزوق بلاي ، وأمسك
وزيان بالسلمي.

-وش السالفة يا لايف ؟ قالها مرزوق وهو يمسك بكتفي لايف.

-السالفة ان هالسربوت وهالسربوته ، جايين بلحالهم ، مدري منين جايين.

صرخ السلمي من بعيد:

-جاييها من معايدة خالتها أم زقيم يا مريض ، عقب ما لّزمت أم زقيم على
أم مرزوق تقعد عندها ، والا كانت جايه معنا.

التفت مرزوق إلى لايف وصفعه بعنف ، سقط على إثره أرضا ، طار شماغه
مسافة نصف كيلو ، وارف بصوت عالي:

-وصلت محارمنا يا لايف ، تتهمهن بالشرف ، ثم انقض عليه قبل أن يقف
على قدميه ، صار يضربه على وجهه حتى سال دمه.

رفع وزيان ابنه مرزوق من على لايف وهو يردد:

-تعوذوا من ابليس.

وقف لايف والدم يسيل من فمه ، وهو يمسك بشماغه الأحمر وعيناه تقدحان
شرارا ، وبأعلى صوته:

-الشقحا بنتكم ، طالق ، طالق .

انقض مرزوق عليه مرة أخرى بعنف حاقد قد يؤدي إلى القتل، لكن والده والسلمي منعاه.

التفت وزيان إلى لاي في وهو يقول:

-هاالحين طلقت بنتنا، تقلع، عرض المحارم يا لاي لا تكلم فيه، شفني أحذرك، والله لأشرب من دمك أنا، وانا أبو مرزوق، انقلع، 0 انقلع.

فُض الاشتباك، سار السلمي ببطء صوب مقعد السائق في السيارة، حزيناً محبطاً محرّجاً، فقد تسبب في تشتيت أسرة نوّير وسوّير بالطلاق، وتسبب في جرح حبيب والده وحبيبه وزيان.

ناداه وزيان:

-وين ياالسلمي، الغداء.

اسمح لي يا عم، مالي شف.

-ارجع يا ولدي، ما عز الله رحت الا عقب ما تغدي معنا، ما لك ذنب وانا عمك، هذا لازم يصير من زمان، هذا شكّاك، يبي المرة ما تطلع من بيتها الا للقبر، ولا يبيها تشوف أحد غيره، يا دافع البلاء، أرواح نجيب أم مرزوق من أختها، تسوي غدانا، وأبو قرص مات ما أكله.

-سم يا عم. قالها السلمي ووجهه للأرض خجلاً من عمه وزيان وابنه مرزوق، على ما تسبب لهما، من أذى في طلاق الشقحا.

ذهبا وزيان والسلمي لإحضار أم مرزوق من أختها أم زقيم، ارتابت أم مرزوق من طلب وزيان منها إنهاء الزيارة فوراً والعودة إلى البيت، صعدت إلى السيارة وهي قلقة.

-عسى عيالي ما بهم شي، قالتها ويدها على ظهر المقاعد الأمامية.

-لايفي طلق الشقحا، قالها وذيان بيرود، وهو يمسح لحيته بيديه.

-وبس، بدل الرجال رجال ثاني، قالتها وهي منشرحة.

تداخل السلمي ليخبرها عن القصة من البداية إلى أن انتهت بالطلاق، واصلوا تعليقاتهم عن البنيتين ومصيرهما ومصروفهما، وهل الشقحا ستعود إليه أم ستتزوج غيره.

أقبلوا على شارع بيت وذيان، ليفاجأوا بنار مستعرة امام بيت لايفي، ولايفي يزيدا استعاراً عبر تغذيتها بفراش ومخدة وبطانية وملابس الشقحا، ويدعو الجيران للفرجة، صارت أم مرزوق تضرب بكفيها على رأسها وهي تقول:

-يا فضحي، 0 يا فضحي.

أبو مرزوق يردد:

-حسبي الله ونعم الوكيل

استفسر السلمي بسرعة عن ما يحدث أمامه وهو يوقف سيارته أمام بيت وذيان.

-وش يسوي ذا، الظاهر انه انهبل.

شرح له وذيان وهم يدخلون البيت، حيثيات إشعال هذه النار، وأنها عرف قديم يمارس عندما يعتقد الزوج بخيانة زوجته، يطلقها أولاً، ثم يقوم بإحراق قشها أمام بيت سكنها.

الحمد لله، أن مرزوق ليس موجوداً ساعة إحراق ملابس الشقحا، ولو كان موجوداً لرماه في وسطها ليحترق بسعيها.

مر ضحى العيد عاصفاً أليماً على السلمي، يوم لا ينسى، تمنى لو أنه لم يتعيّد عند وزيان، عاد آخر الليل إلى بيته في حلة الفحم مكسوراً محطماً حزيناً على ما آل إليه حال بنت أعز أصدقاء والده، بعد أن قضى مساءه كله في معايدة بعض تجار سوق أوشيقر في منازلهم واحداً واحداً، لم يكن يرغب في معايدتهم أول أيام عيد الفطر، لكنه فعل ذلك علّ هذه المعايدات أن تنسيه مأساة الشقحا مع طليقها الشكاك لا في، ولربما تساهم في إخفاء تلك الصور البشعة عن مخيلته. أبشع أنواع التحقير اللفظي والإيذاء الجسدي ضد الشقحا، في وسط الشارع وأمام الملاء.

منظرها وهي تسقط على عتبة الباب وابنتها تصرخان من حولها، منظر لا ينسى.

منظر النيران وهي تلتهم ملابس الشقحا أمام عيني والدها والفضلاء من أهل الشمع يتفرجون ويشمتون منظر مستفز.

ليته لم يكن المتسبب الرئيس في هذا الجرح العميق لأسرة وزيان، التي أحبها وأحبته، مشاعر تعصر قلبه عصراً وهو يفرش فراش النوم قبل وقت النوم بكثير، صار يدير مفتاح الراديو على جميع محطات الإذاعات، بلا استثناء، ودون التوقف عند أي منها.

واو، واو، بواوي هوى، عند الباب، الساعة تقترب من التاسعة مساء بالتوقيت الزوالي، بواوي الهوى منبه للسيارات تصدر أصواتاً بألحان، يحرص على تركيبها في السيارات، السائقون الزكركت.

أحس السلمي بخرج، سيسمع كل من بالحارة بوارى الهوى، فتح الباب، وجد وايت[□] البلدية، وهى السيارة التى تعنى بشفط مياه الصرف الصحى، يقود الوايت كحلة، بجانبه مغير.

نزلوا جميعاً مع باب غمارة الوايت الموالى لباب بيت السلمي، فرحين بالسلمي 00 الغائب من مدة، عايدوه، وعاتبوه، وبشروه أن كحلة صار يعمل سائقاً لدى البلدية.

دعوه على سهرة ومأدبة عشاء فى ظهرة طريق الحجاز، تكفل بدفع تكاليفها، كحلة ومغير ورقلة، وبقية الزملاء الجدد الذين انظموا إلى الشلة بعد انقطاع السلمي عنها، أهل وايتات، وأهل تكاسى، سيطبخون جنب ذبيحة، لطقطق ولأبو شديق.

-أبو شديق ما غيره، كبتن فريق حلة السبالة لكرة القدم سابقاً، وش جابه لكم وليه العزيمة ؟ السلمي يستفسر.

أجاب المتحدث الإعلامى للنميمة ونقل الأخبار مغير:

-أبو شديق فراش المحكمة الكبرى، معرس على الخيارية، وطقطق تزوج بدرية العرجا بنت المقرقش.

-أخس يا طقطق، والله طاح متواسى، قصير، وسمين وأبوه داج، ما عنده شيء، لا حلال ولا مال والصنعة مصلح ساعات، وياخذ بنت المقرقش، اخخخ، صدق الشريف بركات يوم يقول :

إن جاد حظك باع لك واشترى لك
فوايده من كل الأبواب تاتيك
وان جاد حظك بالمنازل بنى لك

¹ صهرج.

بيت رفيع شامخ الطول يذكرك
أنّ مغبير من داخل قلبه آه ، آه ، الحظ يا السلمي.

أتم السلمي استغرابه من هذه الزيجات وقال:

-طيب ، وش جاب أبو شديق للخيارية ، تساؤل ، وجهه السلمي لمغبير.

-أبو شديق يشتغل فراش المحكمة الاول ، وبالصدفة وهو يصب القهوة
للقاضي ، سمع النطق بالحكم على زوج الخيارية السابق ، بإعادة البيت لها
بعد أن طلقها ، وحسب الشرط الجزائي في عقد النكاح ، تعود ملكية
بيتها لها عند تطليقها ، وأنت عارف يا السلمي أبو شديق داج ولا عنده بيت ،
تزوج الخيارية بشرط ، ان تمنحه البيت دون اقاربها ، بعد عمر طويل ان شاء
الله.

عقد استفاد منه الطرفان ، العجوز تسعى لأن تعيش مع زوج صغير السن ،
وشاب لا يملك شيئاً سيملك البيت بعد وفاتها.

علق كحلة وهو يتفقد كفر الوايت:

أبو شديق ذهين ، عمر الخيارية سبعين سنه ، ينتظرها تموت وياخذ بيتها و
عنزتها.

قهقهه السلمي ومغبير على الطرفة الكحلية.

أصر كحلة ومغبير على أن يذهبا على الوايت ، وليس على شفر السلمي ،
وافقههم بلا تردد فهو بحاجة إلى من ينسيه كارثة سكيرينة الاجتماعية التي
حصلت هذا النهار ، تراصوا جميعاً في غمارة الوايت ، بدأ مشوار ظهرة طريق
الحجاز ببواري بلا داعي ، وفلشر التحدي شغال دون مناسبة تماشياً مع

العبارات المكتوبة على الوايت من الخلف (مر وعدي واصحى التحدي)،
وروائح غير زكية من بقايا الحمولة المفرغة عصراً تملأ الغمارة.

الله يستر، ما يشوفه أحد من تجار سوق أوشيقر، راكب هاالوايت ويفضحه
عند الباقيين، وبذلك يفقد هيئته التجارية عند القاصي والداني، وتنتشر
إشاعة مفادها أن السلمي قد شوهد مع عربجيين أسمرين على وايت في
طريق الحجاز، احتياطاً تلثم بغترته، صار يتمايل مجاملة على سامرية مغيبر
المفضلة "ياالله اليوم يارواف 000يابالافراج عاوني" التي يصدق بها مسجل
محمول يعمل بالبطاريات.

بعد دقائق أغلق السلمي المسجل وصاح فيهم:

-يا جماعة خلونا نسولف مبطين ما شفنا بعض، وش أخبار الوالد يا
كحلة، وعمك سرور، وخالتي غرسة.

-والله تمام، الوالد بخير، وعمي سرور على حاله تنن وشاهي وطرب،
وخالتي غرسة ما عليها.

-متى العرس يا كحلة .

قالها السلمي يريد تسحيب كحلة ليتكلم عن شيخة.

-خلاص اشتغلت سواق بالبلدية، وابجمع قروش، كلها سنة بالكثير
وترقص ياالسلمي على عرسي.

قالها كحلة وأدار مفتاح تشغيل جهاز التسجيل بعد أن غير الشريط من
سامري إلى طرب وأي طرب إنه الفنان أبو حمد وأغنية:

سائق التسعة شفر زيد بالسرعة شوي

وهي إشارة من كحلة للسلمي بأن ينهي كلامه الجاد والعودة إلى المرح.

وصلوا مكان الكشنة في ظهرة طريق الحجاز ، كان بانتظارهم رقلة وزملاء كحلة الجدد ، من سائقي وايتات الصرف الصحي وسائقي التكا سي ، يتوسطهم العريسان ، أبو شندق وطقطق.

بدأ التعارف بين السلمي والغرباء بعد أن بارك لطقطق بالزواج وسيارة الكدلك التي أهداها إياه أبو زوجته المقرقش ، أما أبو شندق فقد بدا للسلمي بعد مباركته أكثر مرونة عن ذي قبل ، رغم احتفاظه بعادته القديمة في لبس الشماغ الأحمر متدلي من الطرفين خلف ظهره.

تغير أبو شندق ، يتوسط لباسي الغتر البيضاء ، ارتباطه بالزواج من الخيارية ، وهي المعروف عنها إدمان أغاني الفنان محمد فارس ، لجذورها الخليجية.

أنزل مغير المسجل من الوايت ، قام أحد سائقي التكا سي بإحضار أشرطته الوافرة ، ابحت عن شريط فنانك المفضل من هذه الكومة من الأشرطة ، قم بوضعه بالمسجل ، ثم أدر المفتاح ليصدق ، فالحرية مكفولة للجميع.

سقطت عينا السلمي وهو يقلب الأشرطة على شريط الفنان عبدالله فضالة وأغنية العجوز الشمطاء ، أدار الشريط ورفع الصوت لكي يتمكن الجميع من سماع الأبيات المضحكة.

قالت تسب العجز أهل الديانة
أهل الذمم وأهل الأمور الجميلة
ترى ان تجمعنا وجيناك بعجر
. والله لنحرمك من هوى النثيلة

وقف أبو شندق فجأة ، وصاح بأعلى صوته:

-صك المسجل يا السلمي.

لحظة صمت قاطعها السلمي باستغراب:

-سلامات عسى ما شري يا أبو شديق، تونس شيء ؟

-حذروني منكم يا أهل الغتر البيض ما صدقتهم ،قالوا لي لا تماشيهم بس ما طعتهم، ثم التفت إلى المتكفلين بالعزيمة وأردف: هاالحين انت يارقلة وانت يا كحلة، جايينا تعزومنا والا تهينونا ، 0 ثم ارتفعت نبرة صوته الأجلش واسترسل: هاالحين وش قصد السلمي يوم يحط أغنية العجوز، يلمح الخبي، لعلمك ياالسلمي ترى الخيارية ما بعد وصلت السبعين لا تحسب انها عجوز،وانا ما اعرست عليها عشان بيتها، مدحوها لي أهل النظر.

لم يتمالك السلمي نفسه من الضحك وبصوت أعلى من صوت المسجل الذي اخفض صوته بدرجة كبيرة ،تبعه بالضحك البقية وإن كان بسرية مكشوفة ، كأن يضع أحدهم الفترة على فمه، أو يلتفت بالاتجاه الآخر.

-يا خوي وراك (كبيت عشاك)¹ الله يهديك ،وعلمت باسم زوجتك ، يا هداك الله، لا قصدنا زوجتك ولا علينا منها، عجوز والا بنت الله يستر عليها، شريط عبدالله فضالة حطيناه بالصدفة، اقعد يا رجّال، اقعد يا رجّال.

قالها السلمي وهو يسحب ثوب أبو شديق إلى الأسفل، والذي لا زال واقفاً.

سحب أبو شديق ثوبه من يد السلمي، ثم استدار غاضباً يمشي باتجاه الشارع العام ،لحقه الجميع باستثناء السلمي.

-يا رجّال تعوذ من ابليس وارجع، حنا جايين نستانس والسلمي ما قصده.

¹ كشفت اسرارك امام الآخرين.

عبارات انهالت على أبو شديق من هذا وذاك حتى رضخ أخيراً للأمر الجماعي ، وافقهم على تناول العشاء معهم بشرط ، أن يذهب إلى عروسه الخيارية بعدها مباشرة.

صار الجو مشحوناً بين السلمي وأبو شديق ، إذا تكلم السلمي أشغل أبو شديق نفسه بأي شيء ، والعكس صحيح. تناول الجميع طعام العشاء ، تفرق الجمع في نهاية الكشته كل إلى بيته ، حسب وسيلة النقل التي قدم عليها ، من جاء على وايت ، و من جاء على تاكسي ، واثنان على دباب.

-الجولة العشرون -

ذهبت أيام العيد والأيام التي تلتها، حل محلها أيام الكآبة وتأنيب الضمير، الجرح الذي سببه تشكيك وايفي بالشقحا، وأنها على علاقة بالسلمي، يزيد إيلامه يوماً بعد يوم، لا بد من حل، هموم تلازمه صباحاً ومساءً.

هناك فكرة بدأت تدغدغ عقله، لماذا لا يتزوج الشقحا ويعوضها عن أبو شماغ الشكاك وبذلك يتقرب من صاحب أبيه وزيان، وتصبح الشقرديه أم مرزوق خالته، ويرد بعض ما فقدته الشقحا من كرامة ؟.

مقترح غريب وجريء، لابد من استشارة أغلى الناس، نعم أمه الحبيبة لابد أن يسافر لها ويطلب موافقتها على الزواج.

الشقحا، مطلقة، لديها طفلتان، سنهما قريب من سنه، تكبره بسنة أو سنتين.

أن تقنع أهل الخب براعية غنم، مهمة صعبة، الرجاء بالله متين.

شدّ الرحال، غير زيت الشفر، انطلق للخب عبر الطريق الذي يمر بمدينة شقراء، ثم مدينة ساجر ثم بعد ذلك يدخل إلى منطقة خب النباش، حرص على السفر مساءً لاستقبال الطقس البارد ليلاً، ليضمن بأذن الله عدم تسخين ماكينة السيارة.

وصل الخب آخر الليل، دخل المزرعة، وجد أمه على عاداتها المستديمة، في نفس المكان الذي تركها فيه ليلة هروبه، تصلي آخر الليل، وتقوم بعدها بانجاز الأعمال الزراعية الموكلة لها.

لم تتوجس من صوت السيارة بل أنسثه، لم تقطع صلاتها، انتظرها إلى أن أنهت الصلاة، احتضنها وهي تبكي، استيقظت هيلة وشاركتها فرحه اللقاء، تبعهما عمه دنقور، الذي خرج من الحجرة يفرك عينيه:

-هه هذا السلمي جا، يا الله حيه.

توجه إليه السلمي وقبّل رأسه.

-الله يحييك يا عم.

أوقدت أم السلمي النار، تريد صنع قرص بر فطور للسلمي، وهيلة ذهبت لتحلب البقرة، السلمي ودنقور ذهبوا إلى المسجد لأداء صلاة الفجر.

في طريقه إلى المسجد لمح أثلة العصفور عن يساره، أحزنه ما آلت إليه، أعتمدت سكناً مستديماً للحيوانات، من الشمال ربطت بها بقرة غير حلوب، من الشرق جمعت ثلاث من الماعز وتيس واحد بسور خشبي غير منظم، سور يمنع هذه الأغنام من الانقضاض على مزارع مالكيها.

لاحظ أن مزرعة أبو اللولو كبرت وتوسعت، حتى أصبحت الأثلة جزء منها.

وصلا المسجد قبل إقامة الصلاة بقليل، كان الجماعة ينتظرون اكتمال حضور أهل الخب لإقامة الصلاة.

انتهت الصلاة بهدوء، لم يفرح منهم أحد لرؤية السلمي بعد هذا الغياب الطويل، كأنه قد صلى العشاء معهم، شوق، حرارة لقاء، حفلة بمناسبة العودة، كل هذه المسميات، لا يتعامل معها أهل الخبوب بجديّة، عادات ومصاريف ليس لها داعي عندهم، علاقات اجتماعية أقرب وصف لها أنها أفيون الخبوب، تبعدك عن الصلاح المطلق، ليس لهم عذر بالتجاهل، الفتى واضح وضوح الشمس، جميعهم يلبسون الشمع الحمر إلا هو، غترته

البيضاء علامة بارزه تؤكد أنه السلمي، عاد والعود غير أحمد ، هم يرون أن عليه المبادرة بالسلام، كاعتذار عن أفعاله المشينة يوم الهروب قبل سنين، وهو يرى أنه قادم والقادم مزار، سلاما، ومكاناً.

الجميع يسبحون ويهللون، وهو الدعاء الذي يردد بعد انتهاء كل صلاة، تسبيح يتخلله نظرات مسروقة إلى الفترة الوحيدة بالمسجد، ضوء السراج ضعيف، إلا أن السلمي تعرّف على نزلاء الخب جميعاً، واحداً واحداً، وبسهولة.

نظراتهم تبعث الكثير من الرسائل ، تجاهلاً لمن كان يحفظ غالبية سور القرآن والملم بكثير من الأحاديث، استياء من النظافة والأناقة الزائدة التي يتحلى بها السلمي، فأناقته وملابسه البيضاء النظيفة تحسب عليه وليست له، فالنظافة الزائدة تعلق بالدنيا، وعكسها دلالة على إهتمامك بالآخرة.

خير يا طير، عندك سيارة، وتعمل بالتجارة، وتفهم بالسياسة، كل ذلك لا يعطيك أفضلية على المتسول عبيد الهطق أو الأجير براك المنفلق.

تجاهل أحرق أعصابه ، همّ بالمغادرة، سحبه دنقور من طرف ثوبه:

-وش معجلك يا دافع البلا ، حاسد عمرك الأجر قالها دنقور بصوت خافت.

-سم، سم، يا عم، كلمة قالها السلمي باحترام.

وتعني الموافقة بدون نقاش، أعقبها بالجلوس.

قام شاب من مكانه، يجلس في الطرف الأيسر من الصف، قصد السراج، رفعه بالقرب من وجهه، حتى يبدو معروفا للحاضرين ، صار يتكلم بارتجالية وثقة، بحدة ناصعة ، ينصح بترهيب، يحذر بترغيب، يا للغرابة،

إنه زامل التّن، وهذا هو التعريف المركب لاسم ابن الطهوري في ذاكرة السلمي، قبل الهروب وبعدها.

سبحان مغيّر الأحوال، أصبح سارق الدجاج محاضراً من الدرجة الأولى، صال الفتى وجال في جميع أنحاء الخبواب، حتى كسب هذه المكانة، صار قادراً على تقمص دور العارف المطلق بجل الأمور.

لم يقبل السلمي أن يستمع إلى من هو أقل منه علماً وصدقاً، فكلاهما عيال قرية وكلن يعرف أخيه.

غادر المسجد وزامل منهمك في سرد المحاضرة، الجميع حدّق بغترته وهو يغادر وكأنهم يقولون: انتظر وانهل من علم زامل الطهوري حتى النهاية أيها الجاهل الغافل، فربما تُغيّر غترتك البيضاء إلى شماغ أحمر.

أسرع الخطى باتجاه مزرعته سابقاً أملاك دنقور حالياً للجلوس مع والدته، يروى عطش شوقه لها، وليتذوق قريصاتها اللذيذة، والاستئناس بسوالف أخته هيلة، وشرب حليب الغنم الذي تجيد إعداده.

نقل إلى هيلة أخبار حلة الفحم وأهلها، وأم مرزوق وطلاق الشقحا من الشكّاك لايفي، دون التطرق لأسباب طلاقها، بدوره استمع إلى علوم الخب، لم تتغير إلى الأحسن من وجهة نظره.

وصل العم دنقور مع طلوع الشمس، انظّم إلى الجلسة المفتوحة، حرص السلمي على استثمار الأجواء الودية فيها لطرح ما أتى من أجله:

-يمه ما ودك أعرس؟

-إلا والله يا وليدي، متى يجي هاك اليوم اللي أشيل وليدك بحضني.

تتحنح دنقور ونظر إلى أم السلمي، كأنه يذكرها باتفاق بينهما سابق، ثم ذهب إلى حجرته بحجة أن وقت غفوة الصفرة قد حان، ولا يريد تفويته.

-أبشرك يمه، قررت أعرس، وجاي من الرياض للخب عشان آخذ شورك يا الغالية، إن شاء الله توافقين على اختياري.

ارتبكت هيلة وتغيرت ملامح وجهها، وبغضب جامح قالت:

-عسا مهيب شيخة النورية ؟

-وين الله يهديك، أنا ولد النباش اخذ نورية، قررت آخذ الشقحا بنت وديان.

تنفست هيلة الصعداء وبتردد قالت:

-لكن الشقحا عقب رجال وعندها بنتين.

وقفت أم السلمي على قدميها وقالت بصوت تريد من دنقور سماعه، علّه يشارك في ثني السلمي عن رأيه:

-طاير من رأسك وشره، قضن البنات، تاخذ مطلقة؟ هذي الدرجة بنت عمك دنقور وش تقول فيها، زين، وصحة، وراعية بيت.

-لا، لا، يمه حرام عليك توهقين السلمي بالدريجه بنت عمي، اخطبي له بنت الطهوري منيرة شقيقة زامل كله ملح، أو بنت خالي نورة وش حليلة، ثم دفعت السلمي مع كتفه وقالت:

-وش اخترت ياخوي ؟

تمتم السلمي بأبيات شعر حفظه من والده لم تفهمها والدته:

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدري خراش ما يصيدُ

-وشو خراشة الله يخرش رأس العدو، ولد مثلك ياخذ راعية غنم مطلقه
وعندها بنتين.

-قدوتي صفوة قريش بالزواج، أخذ ثيابات، وياالله لك الحمد، أنا أبقوم
أنام لي ساعتين قبل الغداء وعقب الغداء تراي ابسلم عليكم للرياض،
والزواج من الشقحا، حاصل، حاصل.

خفضت أم السلمي رأسها وهي تردد:

-الله يكتب ما فيه الخير.

وقف السلمي وقبل رأسها وهو يقول:

-كلمة طيبة من قلب طيب، هاالحين أبعرس وأنا مسفهل الخاطر يوم
رضيت علي، بعد ما ندري، يوافقون آل ذريع يجوزون الخبي والا لا،
والشقحا ما سألناها، لها رغبة تعرس علي والا لا، الله كريم.

ذهب تحت ظلال النخلة، ونام نوماً هنيئاً، استيقظ ليجد كبسة هيلة تفوح
رائحتها.

-هاه يا ام السلمي وين عمي يتغدى معنا.

-عمك زعل من يوم درى إنك تبي تأخذ بنت وذيان، وتخلي بنت عمك
الدريجة.

لقد ذهب الحمار بأم عمر فلا رجعت ولا رجع الحمار

تمتم بها السلمي كالعادة.

-احشم عمك يا السلمي عيب عليك، قالتها أم السلمي بغضب.

-إذا رضيت علي انت يا الغالية، الباقي بقليط.

ابتسمت له ابتسامة الرضا، تناولوا طعام الغداء، الثلاثة هو وأمه وأخته، بجو أسري ودود.

بعد العصر قرر العودة إلى الرياض، رغم محاولة أمه وأخته إثثاءه عن عزمه على السفر، أعماله التجارية ومشروع الخطبة تدفعانه دفعاً، لكن عليه قبل ذلك السلام على خاله أبو خجبا، تنفيذاً لإلحاح أمه، بعدها يسافر.

عرج على مزرعة خاله، وجده مجهداً عند الساقى، يرقب الماء، سألته بعد السلام عن ابنه هادي، تنهد وقال:

-حسبي الله ونعم الوكيل على من غسل مخه، وخلاه 00 يدور شي ما غدا له □، يذكرونه مع جماعه منعزلين عن الديره، بحجة ان فيها كهرباء، ويمشون على الرمال حافين القدم، بحجة تذكر نار جهنم واجتتابها، زاهدين بالدنيا، يرون غيرهم على ظلال مبين، يمشون بين الهجر للدعوه لما هم عليه، يقسون على الجاهل ويسمونونه عاصي واذا سالتهم قالوا نجاهد، أقول له: يا هادي وانا أبوك جاهد نفسك أول، وأمك وأبوك فيهما جاهد، لا تتركهم، لا يرد علي، وما زاد من غيضي إلا ان من غرر به ودفعه الى الغياب يجلس في حضن امه.

-منهو يا خال؟

¹ مثل شعبي ومعناه يبحث عن شيء هو في غنى عنه.

- هالجلطي □ زامل، حسبي الله عليه ونعم الوكيل.

نزلت بعدها دمة من عينه ملؤها الحسرة والشوق، في آن واحد.

قَبْلَ السلمي رأس خاله وهو يقول:

-إن شاء الله يعود لرشده.

غادر الخب إلى الرياض مودعاً بنسيان وتجاهل، كما استقبل به.

مرت أشهر العدة على الشقحا دون أن يحاول لاي أن يراجعها، أو ينظر في الموضوع، فبعد إحراق ملابسها وفراشها أمام الناس واتهامه لها بشرفها لن يجرؤ على بحث الموضوع.

اليوم تمام الثلاثة أشهر على الطلاق، ذهب السلمي لساحة بيع الاغنام، اشترى خروفاً نجدياً كبيراً، ذهب به إلى بيت وزيان ودخل به.

-ياالله كثر خير، وشو له تكلف عمرك، وانا عمتك، قالتها أم مرزوق وهي تستخدم لقب عمتك لأول مرة.

وعمتك عند أهل سكيرينة تكنى بها أم الزوجة، عكس أهل حلة الفحم وأهل خب النباش، أم الزوجة تكنى خالة.

-هاالخروف بمناسبة انتهاء عدة الشقحا، أجابها السلمي وهو يسلمها الخروف لتدخله الحوش، أجابة تحمل لأم مرزوق رسالة، لم يصعب على أم مرزوق فك رموزها.

-الله يكثر خيرك ياالسلمي، وشوله مكلف على عمرك، كررتها أم مرزوق وهي تجر الخروف إلى الحوش الخلفي.

¹ كناية لمن لا يراعي الله في أفعاله وأقواله .

-يا خالة : الشقحا تستاهل، فرج الله لها من هالشكاك.

بكل صفاء نية وعفة ، تعاون السلمي وأم مرزوق والشقحا على ذبح الخروف وتنظيفه ، جاء وزيان ومرزوق ، فرحا بالسلمي ، تغدوا في تلك الجمعة السعيدة ، قبل المغادرة استفرد بعمه وزيان قائلاً :

-يا عم أبي قريبك ونسبك، أخطب الشقجا، وأمي موافقة.

-لو هي ذبيحة يااسلمي ما عشتك، جتك، مني وانا أبو مرزوق، والله
يرحم أبوك حمد اللى قربنا.

-بس يا عم ما شاورت الشقحا.

-أفأفففففف، حنا ما نشاور الحريم يابو حمد ، هذي كبيرة منك.

-السموحة يا عم، بس اخاف انها تبى لاي.

-تطمئن وانا عمك، والله إنها من يوم دخلت عليه هاك الليلة وهي دمعتها على خدها، ما تبیه، وأردف : بس عندي شرط، إنك تسكن حولنا، في حي سكيرينة، أو حي منفوحة، ما أبيها تسكن حلة الفحم، كل أكثر سكانها سمر.

قَبْلَ السِّلْمِي الشَّرْطِ، وَدَفْعِ الْمَهْرِ، وَاسْتَأْجَرِ بَيْتَ لَه رُوشَن، أَمَامَهُ دُكَانَ فِي حَارَةِ سَكِيرِينَةِ، بِجَوَارِ مَسْجِدِ سَكِيرِينَةِ.

عُملت وليمة مصغرة، لم يحضرها إلى المقربين جداً من الطرفين، حرصاً على عدم إثارة مشاعر لاي في العدوانية المتوقعة، لم يُعمل حفلة كون العروس مطلقة ولديها انتان.

دعا السلمي أبو محسن فقط لحضور العرس ، كونه الأبيض الوحيد في حلة الفحم ، وكبير سن ، وجار ، ويلبس غترة ، أما الباقي من المعارف ، فقد اعتذر منهم بلباقة ، أبلغهم أن حفل زواجه مختصر على الأقارب فقط.

كل ذلك تم في عشرة أيام.

الشقحا أسعد من السلمي بالزواج ، وجدت شاباً صغيراً ، جيبه مليء بالمال .

بدا أن السلمي لم ينس حبه لشيخة النورية ، تفاعله وانسجامه مع الشقحا محدود ، لا نقاشات ، لا جلسات رومانسية ، لا تبادل نكت أو هدايا ، صار يقضي جل وقته بالمحل التجاري حتى وهو في شهر العسل.

السكن غير مريح ، سكيرينة ليست حارة حية ، أهلها ليسوا زكورية.

حتى المسجد وهو المكان الذي كان السلمي يأمل من جماعته أن يساهموا في انصهاره الاجتماعي مع أهل الحارة ، وجده مليئاً بأناس ينكمش قلبك حين تراههم.

مسجد سكيرينة يختلف اختلافاً جذرياً عن مسجد حلة الفحم ، المصلون فيه كثر ، رغم ضيق المساحة ، وغالبيتهم من خارج الحارة ، يُلقى فيه محاضرات لرؤى إيديولوجية متطرفة ، طرحها المستمر ، التزمت وهجر المجتمع ، ورفض معالم المدنية فيه ، راديو ، وتلفزيون ، وصحافة.

المحاضر فيه رجل أعرابي ، في متوسط العمر ، حاد الطباع ، يقرأ عليهم رسائل كتبها بنفسه ، تحمل أفكار جماعة يبدو أنه ينتمي لها ، أفكارا عن الخلافة ، طرح عن ظلاله المجتمع ، المقلدون أصناف مختلفة:

بيض ، سمر ، صفر.

عيونهم واسعة، ومكحلة.

سيقانهم كالأفخاذ.

يلبسون شمع كبيرة، أطرافها عند الركب.

مكان تواجدهم واجتماعاتهم بالخلوة.

ينظرون إلى لابس الغترة بحقد، يضايقونه أثناء أداء الصلاة، إماماً ومأمومين.

يهمزون ويلمزون على الزكرت، بمناسبة وبدون مناسبة. مواضيعهم المطروحة للنقاش متنوعة، بينها روابط مشتركة، بعد اختصارها قدر الإمكان هاكم بعضها:

الغترة البيضاء، الدخان، الجهاد، الشيشة، الكبكات، المرأة من بيت أبوها إلى المقبرة، طواقي الزري، العودة لحياة الأسلاف، الأغاني، الكرة، العملة، السينما، الرقيا، التلفزيون.

الله يستر، الأوضاع مربية من هؤلاء الأشخاص، بدأ يفكر جدياً بالصلاة في مسجد الإحسان في الجزء الغربي من حي سكيرينة.

إيه 00كلها سنه واحده، ويغير سكناه ويبتعد عن سكيرينة، وأهلها، وروادها.

بدأت تتسرب أخبار متضاربة بين آل وزيان، هناك من يقول ان لا في سينتقم لشرفه من السلمي، بعد أن أقام علاقة حب خسيصة مع طليقته

الشققا، يوم كانت في ذمته ، وهناك من يقول ان لاي في يثني على السلمي
لتعامله الحسن مع ابنتيه .

ارتابت الشققا من هذه الأخبار، صارت تحذر السلمي عند خروجه ودخوله
باستمرار، بالذات عندما يمشي على قدميه لأداء الصلاة في مسجد
سكيرينة، تؤكد عليه أن يصلي في مسجد الإحسان.

مسجد سكيرينة صار مربياً هذه الايام ، يزداد فيه أعداد أهل الشمغ
الشرسين يوم بعد يوم ، و لاي في شوهدهم عقب طلاقه للشققا، وأنهم
قرءوا عليه وعالجوه من مرحلة الاكتئاب التي مربها والاضطرابات النفسية
التي تخبطته في مرحلة ما بعد طلاقه للشققا ، احترازياً صار يصلي
بمسجد الإحسان، يذهب بواسطة السيارة ،

يوم، ويومان، وتسعة، وشهر وشهران، مرت ولم يحدث شيء، شاهد لاي في
أكثر من مرة في أكثر من مكان، في المسجد، عند الدكان المقابل
لبيته، في بعض العزايم، الحمد لله، كأن الأمور هدأت.

إن التوتر آمن في بعض الحالات من الهدوء مع الخصوم ، وهذا ما حصل مع
لاي في، سكينته أزعجت السلمي، كل ظهيرة يجده عند الدكان المقابل
لبيته، يشرب ببسي ويأكل فصفص، إذا فتح الباب تجده يعدل الشماغ
وعينه على الباب.

احتار ماذا يعمل، لا يريد الاحتكاك فيه، هل سينفع معه التعامل اللين،
سيجرب فربما يجد تجاوبا.

قرر المحاولة، مرة واحدة ليرى،

أقبل عليه وسلّم.

أجاب لاي في بحرارة : وعليكم السلام، وشلونك يا السلمي وأخذ يقبله بشغف.

-بخير الله يسلمك، تفضل تقهو يا لاي في.

كان ينتظر هذه الدعوة بلهفة، سبق السلمي الى الباب، أدخله المجلس، أحضر الشاي والقهوة، صار يصب له ، أخونا في الله لا يكتفي من شرب القهوة، (لو بطنه قربة قد ملاها).

-هاالحين يا لاي في، حنا عيال عم، وانت الله يهديك طلقت الشقحا، وهاالحين هي زوجتي ، وانت عند هاالدكان الصبح وتالي النهار، تشري حلاوة وحدة، وتطق الباب وتعطيها البنت الكبيرة، وبعد خمس دقائق، تشتري حلاوة ثانيه وتطق الباب مرة ثانية، عشان تعطيها البنت الصغيره، وتاليتها معك يا لاي في ؟ عيب عليك وش يقولون أهل سكيرينة عنا ؟، كله كوم، وفضايح قصايدك كوم، كل يوم قايل قصيدة فيها الله يهديك، صايرن كنك المتبني وهي سيف الدوله الحمداني، تشره، توجد، وغزل، وترجي، الشقحا زوجتي يا لاي في، وقف هاالخرابييط، أرجوك.

نظر لاي في إلى الأرض، وأخذته العبرة، سقطت دموعه، ثم أمسك بطرف ثوب السلمي وقال:

-تكفى يا اخوك ياالسلمي، طلقها واعطيك اللي تبني، أحبها ياخوك، تسوى نور عيوني.

-صاحي انت، الشقحا هاالحين حامل، وتبي تصير أم عيالي، ولا مفرقنا إلا الموت.

احمرت عينا لاي في، صار يرتجف ثم وقف، توجه إلى الباب الخارجي بعجل،
استدار وصاح قائلاً:

-شف يا الخبي، ما يوخذ عقب النذر إلا هاي في الاصل[□]، وانا أنذرك، الله
عطاك شهر، أما تطلق الشقحا والا ذبحتك.

شعر السلمي بالندم على إخباره بأن الشقحا حامل، فهذه المعلومة هي من
حولته من حمل وديع إلى ذئب شرس، اللهجة التي يتحدث بها هذا المريض
مجنونة، وهو يعاني من اضطرابات نفسية منذ صغره، وزاد الطين بلة
طلاقه للشقحا.

حقائق دامغة، أوجدت تخوفات مبررة، ألزمته بالمهادنة.

-يا لاي في الله يهديك، في الشرع عند بعض الفقهاء، لا يقع الطلاق للمرأة
إذا كانت حاملاً، لو تطلقها عشر مرات.

-أنا ما اعرف يا الخبي يقع ما يقع، لك شهر وعقبه لا تلوم إلا نفسك، ثم
غادر بسرعة.

إنا لله وإنا إليه راجعون، قالها السلمي وهو يغلق الباب بعد خروج المجنون
لاي في.

لم يبلغ أحداً بتهديد لاي في له، فهو بين مصدق ومكذب، على قدرة هذا
المريض، على تنفيذ تهديده.

ظل طوال الشهر يشعر بالخوف الدفين، قلب شجاع لا يأبه بالمواجهة، وعقل
يوصي بعدم الدخول في هذه المواجهة (العمر يا شامان)[□].

¹ الذي لا يتعظ من الانذار الاول هو بلا نسب.
² مقوله تقال لتأكيد أهمية الحياة.

اليوم تمام الثلاثين يوما ، على تهديد لاي في ، لا أثر ولا خبر.

الرجل منذ ما يقارب الأسبوع وهو مختفي ، لم ير في سكيرينة كلها ،
الله يستر.

اليوم الجمعة ، صلى السلمي صلاة الجمعة في الجامع الرئيس في منفوحة ،
عرج على بئعي الخضرة واشترى جحة سيدلانية كبيرة ، توجه بها إلى
منزله ، أوقف السيارة تحت ظلال الجدار الشرقي ، حمل الجحة.

فجأة إذا بلا في أمامه ، مشهر مسدس ، نوع ربع ابو محالة ، يلتقط أنفاسه ،
ويخرج من فمه بعض الزيد ، تكلم بتلعثم قائلاً :

-ظنك اني ابخليك تهنا بالشقحا ، يا الخبي ، يا ابا البقر؟

بلا تردد انقض السلمي عليه بالجحة ، لكن بعد فوات الأوان ، سبقه لاي في
إلى الضغط على الزناد ، أصابت الرصاصة الجحة وانطلقت بعدها إلى كتف
السلمي الأيمن ، سقط أرضا بينما هرب لاي في.

صاح الصياح بالحارة.

وصل وزيان ومرزوق والجماعة عن بكرة أبيهم إلى موقع الحادث.

بسرعة نقلوه إلى المستشفى لإسعافه.

الغائب أخبر الحاضر عن الحادثة.

مرزوق صار يبحث عن لاي في في كل مكان ، يريد الثأر لنسيبه.

أظهرت التقارير الطبية سلامة قلب السلمي من الرصاصة وتم إخراجها من
كتفه.

ظل في المستشفى لعدة أيام.

أتت الأخبار اللاحقة أن لاي في استسلم للشرطة، بعد مضي سبعة أيام من تضيق الخناق عليه من قبل الجميع.

هناك رأي يقول بأن العامل الأساس في دفع لاي في لتسليم نفسه، هو خوفه من مرزوق، التي تناقلت أنباء منفوحة إصراره على الثأر لنفسه عندما يراه، ومرزوق معروف بعقد العزم وعدم التراجع، إذا قال فعل.

شفي السلمي بوقت قياسي، لم يخبر أهل الخب ولا أهل حلة الفحم ولا تجار سوق أوشيقر بالحادث.

بعد صلاة الجمعة التي تلت خروج السلمي من المستشفى، اجتمع ثلة من أعيان منفوحة وأعيان مسجد سكيرينة الأشداء، أصحاب العيون الواسعة والسيقان المنتفخة، اجتمعوا في بيت أبو لاي في، توجهوا إلى بيت وزيان لطلب وجاهته عند السلمي، فهو من يؤثر عليه، عله يتنازل عن حقه الجنائي في محاولة قتله من قبل لاي في.

استقبلهم وزيان بترحاب، قبل أن يتوسط لدى السلمي بشرط، أن يلزموا بدورهم لاي في بمغادرة سكيرينة إلى الأبد، لضمان عدم المواجهه مع ابنه مرزوق المتحفز للثأر، قبلوا الشرط بلا تردد، فالجماعة يريدون إخراج لاي في من السجن بأي طريقة.

ذهبوا إلى السلمي، قذفوا بأشمغتهم الحمراء قدمي السلمي، و هذا عرف قديم لطلب الصفح من صاحب الحق وهم يقولون:

-طلبناك يا سليمان، يا ولد حمد النباش، يا ولد عمنا، إنك تسمح عن
هاالضعيف المنطول بالسجن، تلقاها إن شاء الله عند ربك، قالوها جميعاً
بالتتالي وبصيغ مختلفة.

-شوفوا يا جماعه، جيّتكم على عيني ورأسي، انا سامحته، بسبب
هالبنتين، سوّير ونوّير، اللي حملني الله أمانتهن، يوم صرت زوجاً لأمهن،
ولأنّي أخاف إذا كبرن ان يقولن ، عمّا ادخل السجن ابانا.

تبرير أورده لهم، يريد من القاصي منهُمأن يخبر الداني بأنه لم يصفح تقديراً
لأهل الشمع، وقصد التكلم بلغة القرآن ليفهم أهل الشمع أنه لوجه الله.
تداخل وزيان قائلاً:

-لا تنسون الشرط اللي شرطته عليكم يا جماعة، يفارق لايّ حارة
سكيرية، ولدي مرزوق إن شافه ذبحه، و بناته أنا مستعد اجيبهن له في
محله ويشوفهن.

تم توثيق الاتفاق كتابياً وعليه شهود منهم أبو لايّ يُصفح بموجبه السلمي
عن لايّ.

أُخرج من السجن، وعاش بعيداً عن سكيرية حسب شرط وزيان، بدوره
التزم وزيان بما شرط عليه، بإيصال البنتين في كل يوم جمعة إلى والدهن،
في مقر سكنه الجديد، خلف حلة ابن نصار، ليطمئن عليهن.

تسعة أشهر مرّت على السلمي مرور الكرام، لا وناسة ولا ضيقة صدر، أهم
ما فيها، انتظاره للمولود الجديد، حمد الصغير.

بشروه عصر يوم السبت وهو يبيع في محله التجاري.

-وش البشارة يا السلمي مبروك جاك ولد ، خبرزفه نسيبه مرزوق.

والبشارة هي مكافأة من الشخص المعني بأي خبر مفرح ، تُقدم لناقل الخبر الأول ، عادة يلتزم بها الكرماء في نجد دون البخلاء.

-ابشر بالبشارة يا مرزوق ، هذي ساعتني نوع وستن هدية.

-لا يا اخوك أبي مسجل.

-وجاك المسجل يا مرزوق مع الساعة.

قام وصلى ركعتين شكر لله ، وحمد الله على نعمته.

أول نسله ولد ، هذا فأل طيب ، حالت فرح نقلت خياله بلا مقدمات إلى حلة الفحم ، تحديداً شيخه ، كم كان يتمنى لو كانت هي أم حمد الصغير.

أغلق الدكان ، لا يعلم أين يذهب ، وجد نفسه وهو لا يشعر في شارع الأحباب في حارة الشميسي ، قصد أول ما قصد بيت أبو محسن ، لم يكن الباب مغلقاً تماماً ، دخل المجلس ، وجد أبو محسن منكباً على وجهه فوق مخدة متسخة ، بجانبه الشاي ، وطفاية مليئة بأعقاب السجائر ، والراديو الفيلبس بجانبه مغلق ، حالته الصحية أسوء من ذي قبل.

-أبو محسن ، ☐ أبو محسن.

-من انت ، السلمي ؟

-ايه السلمي.

قبل رأسه، فرح أبو محسن، قام ليعمل شايا جديداً، حلف السلمي عليه بعدم القيام.

دار الحديث بعد الترحاب، كان حديثاً متشعباً، بشره السلمي بمولوده الجديد، فرح أبو محسن له، استغرب السلمي عدم تأجير بيته حتى الآن رغم عرضه للإيجار منذ انتقاله لسكيرينة، أفاده أبو محسن بطرافة، أن كل من أراد الاستئجار وعلم أنه سيصبح جاره هرب، ضحك السلمي.

استفسر السلمي عن أحوال الرعية في حلة الفحم لسنة خلت، وهي سنة الزواج التي انقطع فيها تماماً عن التواصل معهم.

بدأ أبو محسن بسرد المعلومات:

مغير ورقلة وطقط طايحين بالبصرة، من يوم صار طقطق نسيب المقرقش وسيارته كذلك، وهم خايسين بحي الطرب، كل شهر سفرة.

أبو كحلة توفي في الله يرحمه قبل أربعة أشهر.

سرور توه طالع من السجن، ممسوك شارب عرق عند صديقه "أبو دقري" في شارع السبالة.

فئيس أخو كحلة صديق البعثيين والاشتراكيين والثوريين، خرج من السجن وصار ينصح المخالفين والعصاة في الأماكن الخاصة والعامة.

كحلة مازال في البلدية سواق وايت مجاري ويستعد هذه الأيام لاستكمال نصف دينه والزواج من شبيخة بنت غرسة.

-على طاري سرور وش رايك يابو محسن نسيّر عليه نتقهوى عنده، ونبارك له خروجه من السجن، ونبارك لغرسة بملكة بنتها شبيخة على كحلة ؟

اقترح ساقه السلمي لأبو محسن وهو يعرف أنه عليل، لكنه جازم بموافقة عليه، بحثاً عن سعة الصدر.

-توكلنا على الله، يا أبو حمد.

وصلا بيت غرسة، طرقا الباب، ليأتي تغريد البلابل من الداخل.

-من عند الباب؟

ارتبك السلمي، لم يستطع الإجابة، بادر أبو محسن:

-أنا أبو محسن، افتحي.

فتحت الباب دون تحفظ، لعلمها المسبق أن أبو محسن رجل كفيف، ولا غطوه عنه.

انفتح الباب بالكامل لتلتقي العيون، وترجف القلوب، شهقت، وضعت يدها اليمنى على مبسمها، لحظات صمت لم يعقبها حرص على تغطية الشعر المنثور، أو توارى الجسم النحيل خلف دفة الباب.

-وشلونك يا شيخة؟ قالها السلمي بعد سنين من عدم التكلم معها بتاتا، منذ وفاة ابن عمه فايز.

اغرورقت عيناها بالدمع، لم تستطع الكلام، اكتفت برفع قصاصة شعرها عن جبينها، ثم استدارت لإخبار عمها سرور عن الضيفين غير المتوقع زيارتهما.

-لا، لا، لا، السلمي!! ولد النباش!! ياهلا يا مرحبا!!! كلام ترحيبي رده سرور وهو بالحوش الداخلي.

تبعه ترحيب غرسة القاسي:

-مَسْكُونِي اياه، ناكر العشره، لايوم صار تاجر ججدنا ، والله اني
لاشرم اذانه □.

تداخلت المسالمات بين جد وهزل، عتاب وشوق، جلس الجميع بالمجلس.

-يقولون القوالة إنك أعرست، صحيح يا السلمي ؟

استفسار من غرسة عن معلومة، هي متأكدة منها.

-وجاني ولد وسميته حمد يا خاله.

-ولا تعزمنا يا كافي، أو خايف نفسلك عند انسابك ؟

-وش دعوى يا خالة أنتم ترفعون الرأس، لكن والله ما حطينا عرس.

قاطعهم صوت المسجل من الداخل يصدح بصوت عالي :

يا مشغل القلب يا / ليتك تُمر وترى / وتشوف حالي عقب فرقاك / وش لونها
/وان كان جرحك برى / لا تظن جرحي برى / بعض الجروح الاوادم ما
يشوفونها / اخفي جروحي بروحي / تقل ماشن جرى / وانا جروحي أدل اللي
يداونها.

-قومي خلي بنتك تقصر المسجل إنهبلت هي، من زين هالأغنية اللي
حاطتها.

قالها سرور وكأنه يريد إثبات قوة شخصيته على غرسة.

¹ اقطع اذنيه .

نفذت غرسة توجيهات سرور، واقفل المسجل وعادت بالشاي ، صبّت لأبو محسن، ثم للسلمي، قدمت له البiale وهي تقول:

-وش طيِّحك يا السلمي براعية الغنم؟

-هذي أم حمد يا خاله لا تقولين بها شي.

سمعوا صوت، اووووء، اووووء، زنين حاد من فرامل وايت كحلة، وقف بجانب جدار المجلس، عرفته غرسة.

-هذا النسيب كحلة، هذا وقته، كل ما صب له رد، جاء يتقها عندنا، ذبحنا بها الريحه الله يذبحه، قالتها بحسرة.

-قولوا له يلبق الوايت عند طلعت الشميسي، ويجيكم مشي على رجليه، ولا يوذيك بالريحة. اقترح أبداه أبو محسن

-يقول برجله لتسمه □ ولا يقدر يمشي عليها، عساها ما تطيب. وقبل أن تكمل غرسة كلامها، رُكل الباب الذي لم يكن مغلقاً.

كحلة، الغترة على الكتف، السيجارة باليد اليسرى:

-هلااااا أبو السلاليم.

-هلااااا كحلة.

تعانقا السلمي وكحلة، أجلسه السلمي بجانبه، على المتكأ الذي يتكيء عليه، شارك كحلة بملتقى بيت غرسة بفعالية، وقدم ورقة عمله التي تحتوي على عتاب على الزمن والتغيرات فيه.

¹ جرح في مقدمة أحد أصابع القدم.

أخبره بانقطاعه عن مغير ورقلة وطقطق، الذين صاروا يتهربون منه بعد أن اشترى مغير سيارة نوع ماركوتو.

ناقم على أهل المشرق كونهم يتلثمون بشمغهم إذا مر من أمامهم.

الخباز هو المحبوب عند كحلة إذا أتى ليشتري خبزاً، يعطيه أول الناس حتى لو كان آخر من حضر، السبب معروف لدى الجميع باستثناء كحلة.

-مبروك يقولون قرب العرس يا كحلة، ابشر بالعانية.

-الله يبارك فيك يا السلمي، والعانية منك، ودي تأجرني بيتك بيت ابوي صغير ما فيه غرفه لي .

-غالي والطلب رخيص مفتاح البيت عند أبو محسن معطيه. وكالة عامة عليه، تفاهم معه على الأجار، و أول سنة من عندي عانية.

فرح كحلة وقال:

- الله يكثر خيرك ياالصديق، وقاطعه هنا أبو محسن قائلاً:

-لا ياالسلمي معصي، تبينا نأجر راع الوايت، ييلشنا بالريحة؟ ضحك الجميع.

مضت الدقائق بسرعة، وناسة، وتعليقات، أصرت غرسة على أن يتناول السلمي العشاء معهم، لكنه اعتذر.

تفرقوا على أمل اللقاء في حفل زواج شيخة من كحلة قريباً جداً.

جاءت الدعوة لحضور حفل الزفاف مباشرة من كحلة بعد أن تم تحديد الزواج في ليلة الجمعة في آخر الشهر، والدعوة موصولة لأم حمد راعية الغنم الشقحا ووالدتها.

شارك الجميع في إحياء الحفل، كان زواجا متواضعا، خمس لمبات بالشارع، وحاشي صغير، أولم فيه، وخمسة شباب زكرتيه كوّنوا فرقة سامري، أحضروا معهم طبلين وأحيوا الحفل بطريقة متواضعة.

شيخة بكت كثيراً ليلة الفرح، روت ذلك الشقحا، أجبرت على العودة أكثر من مرة إلى غرفة العرسان.

كان السلمي يظهر الفرح أما شعوره الداخلي فهو مختلف تماما.

كيف يتم هذا التزاوج ؟ الجميلة، الذكية، تذهب لسائق وايت صرف صحي أسمر اللون ؟

ولكن علينا القبول بذلك، هذا هو العرف الموجود بيننا، وعلى رؤوسنا جميعاً، ديكاً ودجاجاً.

-الجولة الحادية والعشرون -

مرت ثلاث سنين على منفوحة والشميسي وباقي الأحياء والمدن و كأنها منعزلة تماماً عن الأحداث والمؤثرات الخارجية والداخلية، أكل، عمل، نوم، الغائب غائب، والحاضر حاضر، الكاشت كاشت، والتاجر بين نمو وركود.

استيقظ أهل الديرة صباح ذلك الفجر المشؤوم على خبر بشع، لجريمة بشعة، حدثت في أقدس بقاع الأرض، صارت أحاديث المجالس والطرقات وأهل المشرق والمغرب،

أيام عصيبة مرت على الخيرين من أبناء هذه الديار، ينتظرون زوال هذه الغمة، أتى ذلك في مساء جميل، أثلج قلوب الجميع، أعلن على الملأ عن دحر أرباب الفتن المتكررة.

تسمّر الناس أمام التلفاز بانتظار مشاهدة وجوه المجرمين الخونة، عباد الأهواء، والايديولوجيات المنحرفة، أغبياء القرن العشرين.

كان السلمي مسترخياً أمام التلفزيون، بجانبه، ابنتا زوجته من لاي في سويّر ونويّر تداعبان أخاهما الأصغر حمد.

فجأة ظهر صوت المذيع الأسمر المميز، يعلق على صور بشعة لشخص بشعة، سمر، بيض، كبار، احداث، مراهقين، الكل في حالة يرثى لها.

كانوا يخفون وجوههم أمام الكاميرات، خوفاً من أن يتعرّف عليهم المشاهدون، لم يخافوا من خالقهم قبحهم الله. دقق النظر في وجوههم، يبدو أن بعضاً منهم قد رآه في مسجد سكيرينة.

اخخخخ، يا لهول المفاجأة، إن من بين المجرمين شابين يجلسان بجانب بعضهما بعض، قد رآهما من قبل.

، دقق النظر بهما، نعم انه سنيّة الأبكم، بائع الأكوات المستعملة بسوق الرخوم في أب اللهاب، ومن هذا بجانبه ؟ آه آه، معقول، فنيس أخو كحلة، نعم هذا هو فنيس، سائق بعثي واشتراكي حلة الفحم، ناقل أدوات مفجري البطحاء ، يوم كان طفلاً ، وذلك بواسطة وسيلة النقل المظلمة ، حمار أبو كحلة، أصيب بذهول.

صرخت سوّير، أبوي، أبوي ، شوفوه اللي قاعد وراء جنب الجدار.

أمعن النظر السلمي ليتحقق من معلومة سوّير، يا للمصيبة نعم إنه لا في الشكّاك، متأبطاً شماغه الأحمر ، أين اجتمعوا، من عمل على جمعهم، من أقنعهم، من سلّحهم، ما الهدف، أسئلة تلاطمت في عقله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

احتضن البنّتين ، صار يقنعهما، أن من ظهرت صورته بالتلفاز، شبيه لوالدهن وليس هو.

بقدر تشفيه ممن أطلق النار عليه ، بقدر تعاطفه مع ابنتيه سوّير ونوّير.

صدرت بحقهم الأحكام الشرعية، نالوا جزاءهم الرادع، جراء ما ارتكبوا، من إجرام وسفك للدماء.

خسرت سوّير ونوّير أباهما، الشكّاك لا في، لبّاس الشماغ الأحمر ، راح ويا دار ما دخلك شر.

خسر حراج الرخوم أحد المستثمرين الأذكى، البائع سنيّة، لبّاس الشماغ الأحمر المعرّط، ودرب يودي ما يجيب.

خسر بائعي الطحينية عميل مستديم يروج لبضاعتهم ليل نهار، مدمن الطحينية فنيس أخو كحلة، عساه ورا الشمس بخمس.

احتار السلمي مع نفسه، هل يعزي فيهم أم لا، هل يستفتي في أمر تقديم العزاء لذويهم، يجوز، مستحب، مكروه أم لا؟ تذكر حديثاً شريفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لطالما رده والده في مناسبات عدة:

(استفت قلبك ولو أفتك وأفتوك)

إن قلبه يقول، لا عزاء في من قتل وسفك وألحد في أقدس بقاع الأرض.

-أجمل عيون -



أشهر معدودة مرت بعد انتهاء أجواء الحدث الجلل، صار السلمي يلحظ ،تكاثراً للابسي الشماع الأحمر ، في جميع الأحياء ،واندثاراً للفترة البيضاء.

حراك غريب ، وأنواع من السلوكيات تنمو، والمؤلم أنها على حساب المبادئ الفقهية الوسطية، والأعراف الوطنية، والاجتماعية.

أدار ظهره لهذه الظواهر ،شأنه شأن غيره من الغالبية الغافلين، اتجه إلى طلب الرزق، مرت ثلاث سنين من الحادثة الإجرامية الشنيعة والتي أقتص فيها من القتلة المجرمين ومنهم لايفي.

توفي وزيان، صديق حمد النباش، أبو الشقحا الصبورة، أبو مرزوق الشجاع، الأب الشهم، الجد الحنون ، إنتقل إلى جوار ربه، اليوم الأحد، السابع من شهر رمضان، بعد معاناة طويلة مع المرض الخبيث، تم الصلاة عليه ظهراً في جامع منفوحة، نقلوه إلى مقبرة العود لدفنه، تصادف وجود أناس يدفنون

ميتا لهم بقبر مجاور، ومن عادة طلب الأجر والمثوبة، أن تساعد الآخرين في دفن ميتهم، بعد انتهاء مراسم دفن من أتيت لدفنه.

ذهبوا جميع آل ذريع ابن دبوج ومعهم السلمي للمساعدة، يا للمصادفة الغريبة، أهل حلة الفحم يدفنون أبو محسن رحمه الله، صاحب اسطوانات نعيمى فون والجار الطيب، في نفس الزمان والمكان.

عزى الجمع بعضهم بعضاً، انفرد السلمي بكحلة بعيداً، عاتبه على عدم إخباره عن وفاة أبو محسن.

رد عليه كحلة، بأن الوفاة جاءت مفاجأة، وكان لإخبار ابنته وبقية عائلته الأولوية، وداهمنا الوقت ولم نتمكن من إبلاغ الجميع.

بعدها تطرّق كحلة لموضوع إيجار البيت، وكيفية إيصاله للسلمي، بعد أن توفي أبو محسن رحمه الله، وهو من كان يستلمه ويوصله للسلمي، ويتابع الدفعات، التي يبدو أنها تراكمت بشكل يصعب على المدين تسديدها للدائن.

وبخه السلمي قائلاً:

ليس هذا وقت بحث مثل هذه المواضيع.

تفرق الجميع باستثناء وزيان وأبو محسن، اللذين بقيا في قبريهما جوار بعضهما البعض يلاقيان عند ربهما ما يلاقيان، رحمهما الله.

رزق السلمي في السنة نفسها ابنه الثاني، أطلق عليه اسم وزيان، إجلالاً لوالد زوجته، وتخليداً للصداقة التي كانت تربطه بوالده.

توسعت تجارة السلمي، أصبح الوكيل الحصري لاستيراد الإبرة والخيط الحريري في المنطقة كلها، زادت إيرادات الأموال، اشترى سيارة من نوع مرسيدس بخمسة وسبعين ألف، اشترى فلة في العليا، افتتح مكتباً تجارياً حديثاً في إحدى عمائر سوق البطحاء مع احتفاظه بمحله القديم في سوق أوشيقر كمقر دائم ومعروف لمعظم عملائه القدامى.

توقفت قَدَم السلمي عن الذهاب إلى حلة الفحم نهائياً، لا تواصل بينه وبين أهل حلة الفحم إلا مع كحلة، زوج الحبيبة النورية، بين كل سنة وأخرى يأتي حاملاً إيجار بيت السلمي، غالباً ما يكون مبلغ الإيجار ناقصاً النصف، وأحياناً الثلثين، يقبل السلمي ما يدفع له من زوج حبيبة العمر دون نقاش، حتى لو لم يدفع شيئاً، والله لن يناقشه.

تتم بين فترة وأخرى لقاءات قليلة جداً مع طقطق، بحكم البرستيج التجاري.

-الجولة الثانية والعشرون -

هبت هبوب الجنه وينك يا باغيها ، في بلاد استان ، تحت راية غلام خان ،
النساء تخلين عن حليهن ، الرجال ارخصوا الغالي والنفيس ، الزكوات
والصدقات يجلبها أهل الشمع إلى سكان الجبال والسهول ، تلك الجبال
المزروعة بالنبتة الخبيثة.

بعد صلاة العصر ، السلمي يقرأ كتاب في الادب الجاهلي لطفه حسين ،
جلبه طقطق له من مكتبات بيروت ، أدخله سراً إلى الوطن ، رمى كتاب
حميدان الشويعر جانبا ،

كتاب الشعر الجاهلي أمتع من قراءة شعر حميدان الشويعر ، طه يتكلم
عن الفكر ، والشويعر يتكلم عن ابنه مانع وبربورته.

الشعر الجاهلي ، يتصف بجهل المعاني والمفردات وغموضها ، وفيها
شطحات تمس الثوابت ، بينما شعر حميدان الشويعر مفهوم ، ويتكلم من
السرة وما تحتها ، هذه هي قناعات أهل الشمع.

دخل عليه شاب في السادسة عشرة من عمره ، وهو يقرأ الكتاب ، سلّم ،
ثم قبل رأس السلمي :

-وشلونك يا عم أبو حمد.

-بخير الحمد لله ، من انت ولده ؟

-أنا ثرثر أخو رقلة.

-ونعم، ما شاء الله، كبرت، أنت اللي تلعب بالليات بالقهوة منول،
وتكب ماء على الجمر؟

-إيه يا عم أنا هو، نعم أنا اللي أَلعب بالليات وأطفي الجمر بالقهوة، القهوة
اللي فكنا الله منها والله الحمد.

-بس ها الشماع مهوب كبير عليك شوي، غادي كنه خيمه؟

ابتسم ثرثر وهو يعلم أن السلمي يسخر من الشماع الأحمر ثم أجاب:

-الشماع اذا صار كبير يا عم أزين، يدي، ويظلل عن الشمس، ويستتر،
ثم استرسل بالحديث مستغلا روح المرح التي تحلى بها السلمي: أنا جايك يا
عم، أطلب دعمك، من زكاة أموالك وصدقاتك لوالديك، نريدها للعمل
الخير.

بمجرد أن أتى ثرثر بذكر الصدقات عن والديه، لم يتوان السلمي عن
إحضار مبلغ من المال وأعطاه إياه قائلاً:

-الله يصلحك وانا عمك، ويجزاك عنا خير.

أخذها ثرثر، واستدار إلى خارج الدكان وهو يردد، الله يقبلها إن شاء الله،
الله يقبلها إن شاء الله.

عاد إلى قراءة كتاب طه حسين، إذ برجل يكبره سناً، شماغه الأحمر
يتدل على وجهه من كل حذب وصوب، حيث لا يمكن تمييز وجهه
كاملاً.

-السلام على من اتبع الهدى.

أجاب السلمي وهو يتحقق من وجه الرجل:

-وعليكم السلام.

لحظات فحص دقيقة لمعرفة الرجل أسفرت عن نتائج إيجابية

- أوه، من، أبو شديق، يا الله حيه، يا هلا ومرحبا، ثم تعانقا.

طلب السلمي براد شاهي من مؤمن الشاي للمحلات التجارية في سوق
أوشيقر المدعو "شايف علي"، لضيافة أبو شديق، بدأت معه السوالف:

-علمنا اخبارك يا أبو شديق، الصحية، والمالية، والعائلية، بشرني عنك ؟

-أبشرك زوجتي الخيارية ماتت، ورثت منها خير واجد.

-الله لا يبشرك بالخير، أحد يفرح إذا ماتت زوجته ؟

قالها السلمي بغضب.

تلثم أبو شديق، وأحس أنه أخطأ في إظهار فرحته بموت زوجته، استدرك
وقال:

-الله يرحمها، والله يا السلمي إنها غالية على، بس أنا أتعير معك، خلنا
بالموضوع اللي أنا جايبك علشان، بيتك بحلة الفحم قديم، ساكنه كحلة
من سنين، سنة يعطيك أجار والسنة اللي بعدها ما يعطيك، أنا ابشتري
منك هالبيت وأريحك منه، حده بأي مبلغ يرضيك، أنا مستعد.

عرض غريب ومريب، من رجل يبشّر بموت من ورث منها بيت و عنزة ومال.

لم يستطع السلمي إخفاء ارتياحه فأجابه بالحال:

-يا أخ أبو شديق بيت حلة الفحم ريحة المرحوم عمي فايز، ولا طرى لي
أبيعه.

لم يعلق أبو شديق بأي كلمة بعد هذا الرفض الصريح، يعلم أن التراجع ليس من خصال السلمي، استدار وهو يقول بصوت خافت ويتمتم:

-إيه هين ريحة المرحوم، لا والله ريحة اللي ساكن فيه هالحين يابو غتيرة.

لم يتمكن السلمي من الاستماع لما قاله أبو شديق فالصوت لم يكن مرتفعاً، استفسر بترقب:

-وش تقول يا أبو شديق ؟

-أقول أكرمك الله، ثم غادر.

-الشاهي يا أبو شديق.

-فيني سكر ما أشرب شاهي.

أكمل السلمي قراءة عشر صفحات من كتاب طه حسين، رفع أذان المغرب، توجهاً للصلاة في المسجد، توجه إلى منزله الجديد في شارع الثلاثين بالعليا، السكن في الشمال يختلف عنه في الجنوب.

الغتر البيضاء تكثر في الشمال، وتكاد أن تنعدم في الجنوب.

للعيد فرحة جماعية لسكان الحارات في الجنوب، بينما تقتصر فرحة العيد في الأحياء الشمالية على الأسرة الصغيرة، هذا إن بقوا أهلها داخل الوطن ولم يسافروا.

المساجد في الشمال يرتادها كبار السن، ومن النادر أن تجد من هم أقل من السبعين، صغارهم و شبابهم يصلون في المنزل، ويخسرون أفضلية حسنات المسجد، بينما في الجنوب تجد الرجال من جميع الأعمار يصلون في المساجد.

الهدوء في الشمال، والإزعاج في الجنوب.

في الجنوب يتهادون لحم الضحايا وفي الشمال يتهادون التحايا.

في الشمال الأطفال لا يخرجون إلى الشارع، وفي الجنوب الأطفال لا يدخلون إلا ليلاً.

في الشمال تتسرب إليك في منتصف الليل الألحان الموسيقية، أما في الجنوب فتسمع في منتصف الليل شخيراً و زفيراً يعقبه مرازيم تصب ماء كالشلال بسبب الغسل.

في الشمال روائح جميلة تفوح من عبق أزهار نديه ، وفي الجنوب ريح الكبسة مع الحبحر تشمة وأنت بأول الشارع، أما ريح الأغنام فحدث ولا حرج خصوصاً عند نزول المطر.

في الجنوب كل يوم مشاجرة أما الشمال فالاحتكاك بين السكان شبه معدوم.

في الشمال لا تُفتقد إذا مرضت، لأن الجيران لا يعرف بعضهم بعضاً، أما في الجنوب فينتشر الخبر أول عشر دقائق من المرض، تجد الزوار يتوافدون عليك بهدف شرب القهوة والشاي أو الغداء أو العشاء حسب التوقيت المحلي للزائر وليس للمريض، وفي الختام تسمع لزمة "ما تشوف شر، تعقبنا عليك العافية".

أنس السلمي سكناه الأخير، لكنه يحن عند أي مناسبة لحلة الفحم، أغنية شعبية، أكلة شعبية، رجل هيئته شعبية، سيارة قديمة، عجوز تحمل معها دجاج، الموروث محبوب السلمي، نديم تعاطفه، آله كثيراً أن هذا الموروث

بدأ يتوارى، وأدواته بدأت تنفذ، اليوم اختفت العربة التي يجرها حمار وغداً سيختفي شيء آخر قديم، يهوى القديم بشكل جنوني.

يذهب بين وقت وآخر في بعض العصريات من يوم الجمعة إلى حراج ابن قاسم، منذ كان الحراج بجوار الجامع الكبير بالصفاء، مروراً بمرحلة انتقاله إلى طرف شارع الريس الشرقي الشمالي جوار جدار المقبرة، وانتهاء بموقعه الأخير جنوب شرق حي منفوحة، يشتري منه ما يعجبه من سقط المتاع، كتب، مقتنيات، أدوات منزلية لم تعد تستعمل.

وهو ينتقل بقدميه عبر الممرات العشوائية بين مباسط الحراج، بحثاً عن أي مبسط يعرض كتب قديمه، زين، ها هو وجدته أخيراً على يمين بياح الجزم، لا يفصلهم شيء،

يقوم بالبيع في هذا المبسط اثنان وليس واحد كما جرت العادة، كلاهما يلبس الغترة البيضاء، تبدو وجوههما محترقة من أشعة الشمس الحارقة، فحراج ابن قاسم ليس فيه مظلات للمباسط تقي من الشمس.

دقق النظر بالشخصين مرة أخرى إذ به يعرفهما حق المعرفة، يا للزمن، إنهم قطبا أعضاء عزبة حلة الفحم، خميس وجمعة.

أين كبيرهم الذي علمهم الخرطي سبيت ؟

متى خرجا من السجن ؟

كيف فلتا من الإعدام، وهما متورطان في الإعداد والتجهيز لتفجيرات البطحاء، وتوزيع منشورات تحرض على الدولة ؟

سَلِّم ورأسه إلى الأرض، كي لا يمعنا النظر فيه، راح يقلب الكتب المعروضة، كتاب له غلاف ويمكن معرفته، وكتاب غلافه ممزق

فتضطر إلى قلب صفحاته لمعرفة محتواه، هذا كتاب المأجور ورأس المال لكارل ماركس، وهذا كتاب في سبيل البعث تأليف مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ميشيل عفلق، وهذا كتاب الثورة والدولة للنين، وهذا غلافه جيد إنه الماركسية والحزب لجون مولينو.

-على كم الكتب يا أخ؟ قالها السلمي دون أن يرفع رأسه.

-على نصف ريال، كررها خميس مرتين.

-يا حرام هؤلاء المفكرون تباع أفكارهم بنصف ريال بحراج ابن قاسم، قالها وهو يُظهر التحسر.

أجابه جمعة بعد أن همس في أذن خميس إن هذا الزبون ربما يكون مباحث، وعليه لا يجب مجاراته في التحدث عن محتوى الكتب ويجب عدم إخباره أن لديهم في مكتبهم العامة كثيراً منها، التفت إلى السلمي وقال:

-والله يا الاخو لا ندري عن محتوى هذه الكتب، ومن أين جاءت، نحن نترزق الله، اشتريناه من الحراج ونبيعها في الحراج وبس.

-طيب، هل أجد أي كتاب لسيد قطب،

قالها السلمي بعد أن وضع النظارة الشمسية على عينيه مع تغييره نبرة صوته، وصار أكثر ثقة بأن خميس وجمعة لن يعرفاه.

فقد خميس هدوءه بعض الشيء وارتفع صوته قليلاً وقال:

-هذا النوع من الكتب، تجده معزراً مكرماً، في أرفف المكتبات، وأمام الملا.

-طيب هل أجد عندك كتاب، (من لا يقوس قبل الغوص ما ينفع القوس عقب الفرق) ؟

-الظاهر إنك فاضي يا الاخو، هذا مثل معروف وليس عنواناً لكتاب، قالها جمعة وهو يسحب أحد الكتب من يد السلمي.

غادر السلمي مبسط خميس وجمعة دون أن يتعرفا على شخصيته.

وهو يتمتع بغوغائية الحراج، سمع صوتاً لدلال من بعيد، يردد:

-على كم نقول، □ المحماسه □ والدله والمنفاخ، كم نقول يا ولد ؟

نغمة الصوت مألوفة لدى السلمي، ليست غريبة على مسامعه، اتجه لمصدر الصوت، فوجئ بصاحبه، إنه سرور، استغرب هذا الحضور المميز لأصحاب الغتر للتجارة في حراج ابن قاسم، تلثم كي لا يعرفه، وقف بجانبه يتابع المزاد.

-من يسوم، كم نفتح الباب يا ولد ؟ سرور يستجدي الزبائن بأعلى صوته. افتتح أبرز هوامير الحراج و أحد مستثمريه، والذين يطلق عليهم الشريطية، المدعو أبو فهيد، افتتح السوم بخمسة ريالات.

زاد عليه السلمي بربع ريال، صار السوم بخمسة ريالات وربع، زاد الشريطي أبو فهيد على السلمي بريال، أصبح عرض الشراء بستة ريالات وربع، قفز السلمي بالعرض إلى عشرين ريال مع أن البضاعة لا يتجاوز ثمنها المقدّر عشرة ريالات، يريد منفعة سرور بهذا السعر الغالي، زاد الشريطي أبو فهيد بخمسة ريالات على العشرين، يريد السلمي أن يرفع السعر ثم يقول

¹ وعاء لحمس القهوة بطرفه ممسكا بقي من النار عند الحمس.

نصيبك، فيقع السلمي بفخ الصفقة، فيخسر، ولا يعود بعدها لمنافسة الشريطيه، أهل الشمع البواسل، بحراج ابن قاسم كآفة وإلى الأبد.

عاد ولبس النظارة الشمسية مرة أخرى، خوفاً من أن يعرفه سرور، وهو يعلق على مزايده أبو فهيد:

-يا أخ أبو فهيد، أحذرك من النجش.

-النجش، أنت وأشكالك، وبعدين مانيب اخوك يا بو غتيرة، انا لبّاس شماغ.

-النجش ليست مسبة، إنما وصف لما تقوم به الآن، وهو أن تزيد ثمن السلعة ولا تريد شراءها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتاجشوا).

-اترك الأمور الشرعية لأهل الشمع الحمر، ما عاد إلا أهل الغتر يعلمونا الحلال والحرام، عناد فيك أنا أبزيد خمس ريال قالها أبو فهيد ثم التفت إلى سرور وقال:

بثلاثين ريال يا سرور.

انتبه السلمي لما يحاك من أهل الشمع ضده فسارع إلى القول:

-الله يربحه بثلاثين ريال، نصيبه.

بعجلة من أمره، قام سرور بالإمساك بالشريطي أبو فهيد بقوة خوفاً من أن يهرب، فالبضاعة لا تساوي المبلغ الذي أرسى به عليه.

-عطنا عربونك يا أبو فهيد.

أسقط في يد أبو فheid، صار يقلب البضاعة ويد سرور ممسكة بجيب ثوبه،
رفع رأسه إلى سرور وقال:

-البضاعة ما تسوى يا سرور.

-يوم انها ما تسوى، وراك تراود عليها.

-رد النظر لأبو مناظر وغترة، يمكن له رغبه يشتريها، وكان يقصد
السلمي.

أشار السلمي بيده دون أن يتكلم، إنه لا يرغب في البضاعة، بينما أصر
سرور على موقفه، والمطالبة بالعربون، أو المبلغ كاملاً من أبو فheid.

رفض الشريطي أبو فheid إتمام عملية الشراء، تماسكا، التف الناس
حولهما، طالب أحد المتجمهرين بإبلاغ مندوب البلدية لحل الإشكال، وافق
المتخاصمان، سرور، والشريطي أبو فheid، إلى اللجوء لحكم مندوب
البلدية،

ذهب أحد المتطوعين من المتجمهرين لإبلاغ مندوب البلدية، حضر المندوب،
وحكم لسرور.

يا لسعادة سرور، فالمندوب نسيبه، رقلة زوج شمة ابنة أخيه.

غالبية من بالسوق لا يعلمون بهذا النسب، سرور قبل العمل بالحراج، تنفيذاً
لتوصية من رقلة له بعد صدور قرار تعيين رقلة مندوباً للبلدية في ساحة
الحراج، اشترط رقلة على سرور أن لا يخبر أحداً بهذا النسب.

صدر الحكم بطبيعة الحال لصالح سرور، ألزم أبو فheid بالبضاعة، تفرق الجمع إلا السلمي، متخفي بغترته ونظارته الشمسية، اقترب من المندوب رقلة وقال بعد تضخيم صوته، كي لا يعرفانه:

-حكمك جائر يا مندوب البلدية، الظاهر انك تعرف من حابيته وحكمت له، الله واعلم انك قريبه، أو نسيبه، متزوج بنته أو بنت أخوه، أنا أبرفع شكوى ضدك أنت واياه، إلا إذا عطيتوني كل البضاعة المعروضه بالمبسط ببلاش، هالزير، وهالمساند، وهالزوليه وها الكفرات، وش قلت يا كحيلان بالإشارة إلى سرور.

-بسم الله الرحمن الرحيم، وش عرفه ذا انك رجل بنت اخوي شمة ؟ استفسار وجهه سرور لرقلة بصوت خافت.

-والله اني خايف منه، ما تشوفه متلثم ولا بس مناظر، تظن إنه من الكباريه ويقدر ياصل المسئولين ويفصلوني من البلدية اذا عرفوا علومي معك بهالحراج، ومكاسبنا من الاحكام التي نصدرها على المستثمرين بالحراج، والمباسط اللي نأجرها ؟ عطه يا سرور كل المعروضات عندك بالمبسط.

-معصي إنت واياه، اعطيه الزير والكفرات والمساند نعم، أما الزولية معصي، تدري إنها صوف أصلي وتسوى ميه وعشرين ريال.

-يا سرور فكنا أعطيك قيمتها بس عطه اللي يبي، قالها وهو يضغط على يد سرور.

-أقول يا أبو لطمة خذ البضاعة وعساها بدمتك، انت اتهمتنا وظلمتنا والله بياخذ حقنا منك.

قالها سرور وأخذ يخرج البضاعة من المبسط، ويرمي بها بجانب قدمي السلمي، إذعانا لطلب السلمي، المتخفي خلف اللثام والنظارة.

-وش اللي ظلمتكم، أنا صادق هذا رقلة متزوج بنت أخوك شمة وانت سرور رجل غرسة، وكلكم نصابين من حلة الفحم، ثم فك اللثام.

تبين أنه السلمي، تعانقا بحرارة، وضحكوا كثيراً على الموقف الذي كتب السيناريو له السلمي.

طلب سرور براد شاهي كضيافة للسلمي جلسوا جميعاً على السجادة الغالية، بدأت السوالف التي لم تكن على مستوى من الرقي، فرقلة المجادل لم يعد هو رقلة زمان، لم يعد رقلة المقهى والأفلام والمعلومات، بدأت أفكاره تضحل، منذ أن تزوج أخت كحلة، المدعوة شمة الطقاقة.

استحضروا جميع الشخصيات القديمة من ساكني حلة الفحم، ما لهذه الشخصيات وما عليها، كل ما صدر عنها من مواقف، طريفة، او غبية، او خبيثة، يعرجون بعض الأحيان، على بعض ما ارتكبته تلك الشخصيات من أخطاء مقصودة أو غير مقصودة.

كان في قائمة الشخصيات المتحدث عنها، أبو شديق زوج الخيارية، استوقفهما السلمي عند الحديث عن هذا الشخص، وعرض عليهما ارتيابه من الزيارة المستغربة، التي قام بها أبو شديق له أخيراً في محله التجاري بسوق أوشيقر، وعرضه الذي قدمه لشراء بيت السلمي، أجاب رقلة على هذا التساؤل والاستغراب من السلمي بسرعة، أليس رقلة من أوائل من عمل بالبلدية هو و زميله طقطق قبل أن يستقيل هذا الأخير عقب زواجه من بدرية العرجا بنت المقرقش، ولأن رقلة يعمل في البلدية فمن الطبيعي أن يسمع ما

يدور خلف الكواليس من المسؤولين الكبار في البلدية، عن الأماكن التي سوف يشملها التثمين.

-يا أبو حمد أبو شديق يبغى يشتري البيت منك بعد ما سمع إن الحارة بتثمن وتهدم، وبيتك مشمول بالتثمين، وانت عارف مبلغ التثمين، أضعاف أضعاف القيمة السوقية للعقار.

اتضحت الرؤيا الآن للسلمي، فقد كان ارتياحه في محله، وحمد الله، أنه لم يبع البيت لأبو شديق.

أداروا موجة الحديث إلى موضوع آخر.

سأل السلمي رقلة عن أخيه الأصغر ثرثر، والذي يعطيه زكاته وصدقاته أولاً بأول.

أبدى رقلة غضبه من أخيه المتمرد على الجميع، يختفي بالأيام وأحياناً بالأشهر دون أخبار والدته، تأتيه معلومات غير مؤكدة أنه يسافر إلى بلاد استان، ويقاقل هناك لمدة أشهر ثم يعود، ويحمل الراية أحد أشباهه بديلاً عنه، من أحداث منفوحة والشميسي والعود وبقية المدائن.

ثم تابع رقلة بقوله:

-هبل بأمي بكثرة غيابه، الله يهبل فيه، كسر التلفزيون والراديو، دائماً ما يقوم بتمزيق دفوف زوجتي شمة التي تستعملها بالأفراح، احتجاجاً على طبيعة عملها كونها طقاقة وتغني بالأفراح، أوزانا يا جماعة، والله أوزانا، قالها بحسرة، وهو يكاد أن يبكي.

دعوا جميعاً له بالهداية، وتفرقوا على أمل اللقاء قريباً.

أحسن السلمي وهو يغادر الحراج بأنه استعجل في دفع الزكاة والصدقات
لهذا المراهق المندفع ثرثر.

-الجولة الثالثة والعشرون -

بعد تلك الحادثة الإجرامية المحرمة في الأرض المقدسة مرت أيام وأشهر وسنين عصيبة على أهل الغتر البيضاء في حارة الشميسي وبقية الأحياء، والمدائن كافة، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً.

أهل الشمع يأمرّون وينهّون، يقومّون ويُمْلون، وأهل الغتر يتقهقرون وينقصون، يؤمرّون وينفذون، حتى أتى ذلك الاثنين المشؤم.

صباح هادئ، لا يوحى بأن شيئاً سيكدر صفوه، استيقظ السلمي فيه باكراً، ذهب كالعادة إلى مكتبه في مؤسسة نباش الخب للتجارة، في سوق البطحاء، كان منهمكاً في مراجعة فواتير الإبر والخيط الحرير التي يمتلك الحقوق الحصرية لتوزيعها في البلاد و منطقة الشرق الأوسط كافة، الواردات بانخفاض، لا بد من وضع حلول لهذه المشكلة الجديدة التي بدأ يواجهها، إبر خياطة مقلدة وخيوط حرير مغشوشة غزت الأسواق، يقوم بجلبها بعض أهل الشمع.

دووووووب دوي انفجار كبير هز المدينة بأكملها،

ارتاب، ارتبك، خرج كغيره إلى الشارع لمعرفة موقع الانفجار، لم يتمكّن أحد من تحديد موقع الانفجار، خبرتهم قليلة جداً بالانفجارات، يخيل إليك وأنت تسمع الانفجار أنه في الغرف الملاصقة لغرفة منزلك أو مكتبك،

كثر اللفظ بتحديد موقع الانفجار، أخيراً جاء الخبر اليقين، انفجار في العليا بقرب شارع الثلاثين، ولا تفاصيل، أصيب بقلق عارم، فلتة قريبة من

الموقع، أجرى اتصالاً سريعاً بـتلفون منزله ، لم يجبه أحد ، زاد قلقه، ركب سيارته وتوجه إلى بيته، التواجد الأمني كثيف، لم يسمح له في البداية بدخول الموقع ، أكد لهم أن منزله قريب من موقع الانفجار، تعاطفوا معه وسمحوا له بالدخول.

يا للمنظر المخيف، بيت السلمي مهشم النوافذ وجدرانه بها شروخ كبيرة، كل ذلك لا يهم، دخل البيت على عجل ليطمئن على عائلته، وجد عاملة المنزل جالسة لوحدها في مقدمة البيت وهي في حال يرثى لها، تجاهلها ودخل إلى وسط المنزل ثم عاد:

-وين عيالي، صاح بها، عسى ما فيهم أحد مصاب.

-بابا فيه سويّر تعبان كثير، دم من رأس، عين فيه خراب.

خرج مسرعاً ليسأل رجال الأمن عن المستشفى الذي يُنقل إليه المصابين جراء الانفجار، أفادوه باسمه ومكانه.

توجه إليه في الحال، ليفاجأ، أن سوير ابنة زوجته، ، فقئت عينها ، أصبحت بعين واحدة، نتيجة لوح زجاجي تناثر من صق الانفجار، واصابات خفيفة أقلها ٥٥ شج رأسها

صار يردد في ممرات المستشفى وبشكل هستيري،

- لعنة الله عليهم، الفجرة، المجرمين، يفقئون أعين بناتنا بحجة التترس، إن هم أرادوا محاربة المعاهدين الكتابيين فلماذا لا يحاربونهم بعيداً عن ذمتنا، أم لأن هناك صواريخ تأتيهم في جحورهم، يقاتلون هنا، بين أهلنا.

آه، آه، يا للمصيبة من هذه الجريمة، فقدت ابنتي عيناها، بتمويل من أموال زكاتي وصدقاتي، لست براء ورب الكعبة من المشاركة بها.

انقض عليه أحد الأطباء المتواجدين عند سويّر، أغلق فمه بيده ثم قال له بصوت خافت:

-ما هذا الكلام الذي سوف يعرضك للسجن، تعوذ من الشيطان، إن شاء الله، ينالون عقوبتهم بالدنيا خزي، وفي الآخرة عذاب اليم.

خيم الحزن على أسرة النباش وأسرة آل وزيان بن ذريع، أبو لافي لم يكن حزيناً بصدق، رغم أنه جد سويّر لأبيها، تلمح منه تعاطفاً مصطنعاً، جدتها لأبيها لم تزرها في المستشفى.

خرجت سويّر من المستشفى وقد شفيت من الجروح تماماً، لكنها لم تعد ترى سوى بعين واحدة، أرسلها السلمي إلى أحد المراكز العالمية المتخصصة في أسبانيا لعلاجها وتركيب عين صناعية، تساعد على مواجهة هذه المصيبة، التي ارتكبتها، أعداء الله، وأعداء المرأة، بل قل أعداء الحياة كلها.

يا سبحان الله، بشرّ القاتل بالقتل ولو بعد حين، ألقى القبض على مخططي الانفجار بزمان قياسي، كانوا جميعاً من لابسي الشمع الأحمر، على رأسهم وللأسف الشديد ثرثر أخو رقلة.

إعلان ثرثر ضمن المجرمين لم يكن مفاجأة للسلمي، مذ كان صغيراً والسلوك التخريبي يتلبسه، يعتمد إلى تقطيع ليات مقهى والده بالسكين، وبلا سبب يرش الماء على جمر شيش زبائن القهوة من سائقي التاكسي

لتعكير مزاجهم فقط، ثرثر في مراهقته لا يهاب أحد، كان يجاهر في انتمائه إلى أهل الكهوف والغيران، بوضوح النهار، بتغطية دعائية من أهل الشمع يرددون: ما شاء الله، ثرثر، الله يحفظه من العين، إذا دخل المجلس مهاب، محبوب، مُصَدِّق، ما قال هو الصواب، وما يقول غيره، رجس من عمل الشيطان.

طُبِّقَ عليهم حد الحراة وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، بعد اعترافاتهم أمام الملأ، ليتعظ أصحاب الشمع المنحرفون الذين تسول لهم أنفسهم القيام بمثل هذا العمل الجبان، ويتوقفون عن هذا الخط المدمر للوطن وأهله.

-البشت المقصب -

يمر الزمن بمراحل صمت لا يأتي على المرء فيه ما يدعو إلى التغير سلباً أو إيجاباً ، تمضي الأيام وهي لا تحتاج رقابة ، فالشخص لا تتجاوز إدمانها لرتابتها في كل الأمور.



مر عقد ونيف من الزمن والحال على ما هو عليه ، إلى أن أتى ذلك اليوم التاريخي ، وجد السلمي على مكتبه خطاباً من البلدية يخبرونه فيه ، أنه تقرر ، هدم حلة الفحم بالكامل ، وذلك لانجاز مشروع فتح شارع ، يربط شارع الشميسي القديم بشارع السبالة ، وبما أن

السلمي يملك أحد البيوت المشمولة بالهدم ، فهذا إبلاغ له بالمهلة المحددة من قبل البلدية ، التي قدرت بسنة ، تُخلى بعدها المساكن ، وإلا سوف يقطع الماء والكهرباء عنها.

-ماذا ؟ حلة الفحم ، تمسح من الخارطة ، لا يمكن القبول بذلك ، إنها أطلالي ، إنها ذكرياتي ، ردة فعل ذهنية متسريعة من السلمي ، على خطاب الهدم ، لم تدم كثيراً ، عاد بعدها إلى تفهم تغير الحال في كل شيء ، فدوام الحال من المحال ، ليس باليد حيلة ، علينا بقبول الأمر ،

فكر قليلاً ، لا بد من توثيق هذه الأطلال ، للتذكير بما دار فيها من ذكريات ، لابد من الإسراع في تصوير جميع البيوت والشوارع والسكك لحلة الفحم ، لتبقى أمام ناظريه ، فتح أحد أدراج المكتب والذي كان

يحتفظ فيه بكمثرته الخاصة ، ركب سيارته متوجهاً إلى حلة الفحم ، الآن
الآن وليس غداً.

أوقف سيارته في شارع السبالة ، الموازي لحلة الفحم ، مر من أمام دكان
يحي ، الذي لطالما لعب عنده لعبة طاش ما طاش، صُدم ، حل محل لباس
الغتره يحي ، أحد الوافدين ، التقط صورته للدكان بغض النظر عن من
يبيع فيه ، بجانب دكان يحي يقع مخبز أبو زكية ، يا للأسف ، إنه الآن
يدار من أحد الآسيويين ، بدلاً من لباس الغتره أبو زكية ، سأل عن يحيى
والخباز ، قالوا له ، إن خبرك قديم ، من سنين غادروا حلة الفحم ، توجه
بعدها إلى بيته هو ، المؤجر لكحلة بلا أجار ، تَعَمَد كحلة عدم دفع
الإيجار ، غسل على قلبه ، يرخص الإيجار ، لعيون وضاح النحر.

طرق الباب ، فتحت له طفلة صغيرة تشبه أباها كحلة إلى حد كبير ،
سألها عن أبيها كحلة ، أخبرته انه ليس هنا ، سألها عن أمها فأجابته بأنها
تذهب كل صباح ولا تعود إلا قبل أذان الظهر.

-كل يوم ، وش عندها ذي ؟

على علمي لم تكمل دراستها التي لم تتجاوز أولى معهد ، هل تذهب إلى
السوق تبيع وتشتري ، أم صارت طبيبة شعبية مثل أمها ، تعالج النساء في
وقت الضحى ، أم هي من مدمني كرات الضحى ؟ تساؤلات أنهاها بتوبيخ
نفسه ، وش دخلني أنا ، والله إني ملقوف.

كم كان شغوفاً أن يرى شيخة بعد هذه السنين الطويلة ، نهى نفسه مراراً
وتكراراً عن لقائها ، احتراماً لذكرى ابن عمه فايز ، ووفاء لزوجته
الشقحا ، وشهامة لصديق الحارة كحلة.

آآآآآآه، كل هذه السنين ينام على رسم خيالها ، يحلم بضحكتها الساحرة ،
يا لذاك الشعر الناعم المتناثر على ذلك الوجه المنير ، يا لتلك اليدين
الصغيرتين اللتين ترتعشان عند أي خجل يطرأ ، لا إشكال سوف أعود
إليها مرة أخرى ، اليوم سأراها مهما كلف الأمر.

استدار إلى يساره ، وقعت عيناه على بيت أبو محسن ، بابه مفتوح على
مصراعيه ، أطفال كثير ، يدخلون ويخرجون ويلعبون ، يبدو أنه تم شرائه
من أناس أطفالهم كثير ، وبشرتهم تميل إلى السمار ، الله يرحمك يا
صاحب اسطوانات نعيمة فون ، يا ما قدر الفن ، و الفن خذله ، جعله
حبيس الفقر والعمى واحتقار أهل الشمع الحمر ، دعاء صادق رده السلمي
بينه وبين نفسه.

التقط صورته عن قرب لبيته وبيت أبو محسن.

أعاد تفقد كمرته المربوطة بسير أسود يتدلى من رقبته ، صار يلتقط الصور
التذكارية للسكك والأماكن التي لها ذكريات وخاف أن تمحوها السنين
، هناك تشاجر مع أبو شديق بعد المباراة ، وهناك الخرابة ، وهنا التقى
بشيخة ، وهنا تشاجر مع سنيينة بائع الأكوات مشاجرة تاريخية ، أمام هذا
الباب الأزرق ، الباب الذي لطالما وقفت فيه زكية تلقي التحايا والطرف ،
وأحيانا تمد المنتو واليغمش ، ليأكلوها وهم لا يعلمون ما هي ، وكيف
تعمل ، وقف عند هذا الباب ، ضيوف كثير من الجنس الناعم ، بنت خالها
فتحية وبنات أرحامهم هناء وصفية وجورية ، في هذا الموقع كانت الرسائل
والعطور والمناديل الحمراء والأغاني تتهاذى بين الجنسين ، عصريات لا تنسى
، السلمي كان يتذكر جيداً استمتاعه بتلك الأجواء الغرامية.

يبدو أنه صار بيتاً مهجوراً ، يؤكد ذلك الساي في على الباب ، تذكر قصيدة سليمان ابن حاذور غنوها سامري مرات عديدة ، وتراقص عليها مغير وكحلة كثيراً وبمزاج:

مریت بیت للمحبين مقفول

جابتني القدرة على حد بابه

نشدت جيرانه عسى البيت منزل

قالو حبيبك راح لا واسفا به

له مدة بالسوق ما شيف له زول

بابه عليه من السوايف ترابه

صحيح بابه عليه من السوايف ترابه ، وراح يزيل الساي في من حواف الباب ، ثم التقط صورة للبيت وصورة للموقع كاملاً.

غادر المكان إلى مكان آخر من الأطلال ، خرابة الكلاب الشجعان ، طراح وجراح وعنترة وعصما ، بقدر كره للكلاب الا انه تذكر وفاءها يوم المعركة الفاصلة مع فريق حلة السباله وتمنى لو كانت على قيد الحياة ليلتقط لها صوراً تذكارية .

بعدها قصد شارع التمر ليلتقط صورة لدكان نسيبه فايز ، حباً وتذكراً ليوم وصوله الأول إلى حي الشميسي ، ليفاجأ أن الدكان تحول من دكان يبيع الأرزاق إلى محل تسجيلات ، معلقه فوق بابه ، لوحة كبيرة ، كُتب عليها : تسجيلات الصلاح المطلق ((نبيع بأسعار رمزية))

دخل التسجيلات ، وجد شاباً صغيراً يلبس شماغاً كبيراً ، أشرطة
الماكسل تملأ الأرفف أينما اتجه نظرك ، يغطي بعض هذه الأرفف لافتات
إعلانية ، لمحاضرات متنوعة ، يكتب اسم المحاضر بخط أكبر من خط
عنوان المحاضرة ، من تلك اللوحات ، لافتة ورقية كتب عليها :

((وصل إلينا حديثاً المحاضرة الجديدة ، أخطار الغزو المدني لبلادنا ، للمحاضر
زامل الطهوري))

استغرب السلمي ، منذ متى زامل الطهوري يحاضر ، وتُسجل محاضراته ،
وتنتقل عبر الأسفار من أثل الخب ، إلى شارع التمر بالشميسي ، سأل البائع
عن موعد هذه المحاضرة وأين ألقيت ؟ فأجابه :

ألقيت هذه المحاضرة في مقر معهد الأجيال القادمة ، الذي يُدرس فيه زامل
الطهوري.

وضع يديه على رأسه ، وصار يردد :

معهد الأجيال القادمة يا زامل ، معهد الأجيال القادمة يا زامل ؟ مخلي لك
الخب بكبره وهاج للرياض ولاحقني بشارع التمر ، وتريد أن تلحق بأجيالي
القادمة ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

خرج ولم يلتقط أي صورة للمحل ، احتجاجاً على تحوله ، من محل لتجارة
الأرزاق ، إلى محل لتجارة الطهوري وربعه.

تابع مشروعه التصويري ، عرج على مقصب مغير الذي ورثه مغير عن أبيه
، وجد عاملاً أجنبياً يعمل بداخله ، سألته عن كفيله مغير ، أجاب بأنه لا
يراه إلا في نهاية الشهر ليتحاسباً فقط ، التقط صورة للدكان بعد أن طلب
من العامل الخروج لكي لا يتم تصويره ، عاد أدراجه إلى حلة الفحم ، قصد

سكن الحبايب ، علّه يرى حبيبة العمر ونديمة الفكر ، بعد أن تكون قد عادت من مشوارها اليومي ، قبل أن يصل إلى سكة البيت ، رأى سيارة مرسيدس حمراء حديثه تدخل السكة ، معقول هذي سيارة طقطق ؟ ما الذي أتى به ؟ استعجل الخطى ليكون على مقربة منه ليناديه ، توقفت المرسيدس عند باب كحلة ، ونزلت منها شيخة ، بدت سعيدة وتمون على طقطق ، بدليل إنه مد لها مبلغ من المال وتطالبه بالمزيد وهو يستجيب دون أن تلتف إلى من يمشي بالسكة.

-السلام عليكم ، قالها السلمي وهو يمشي بين الجدار والسيارة من جهة باب السيارة التي نزلت منه شيخة ☐☐

ارتبكت شيخة بعد أن غادر طقطق المكان بالسرعة القصوى خوفا من هذا الرجل الذي ربما هو أحد أقارب شيخة دون أن يتحقق من هذا الرجل الذي ألقى التحية.

تعطلت لغة الكلام ، وحل محلها لغة ، الإحراج ، والصدمة ، والخجل ، أجابته بصوت لا يكاد يسمع:

-هلا السلمي ، هذا طق ، طق ، موديني للمستشفى.

لم يستطع السلمي استيعاب موقف الشك الذي صار أمامه ، وصار ينظر يمينا ويسارا كأنه يبحث عن مأوى ، تمالك أعصابه ثم قال:

-سلامات يا شيخة ، ما تشوفين شر ، عساهم عطوك علاج ؟

-هاه ، إيه ، عطوني، بس الظاهر إني نسيت العلاج في سيارة طقطق ، اقلط تقهو يابو حمد ، الين يجي كحلة ، يجي هاالحين.

-لا مستعجل ، سلمى لي عليه ، ثم هم بالمغادرة.

استوقفته شيخة بتردد ثم قالت:

-خذ هذي دفعة من الأجار ، انا عارفة ان كحلة ما يدفع اجار من سنين ،
انت جاي تبي الاجار ، صح ، وقدمت له المبلغ الذي اخذته من طقطق للتو.
احمرت عينا السلمي ، وظهرت حولة الخب التي لا تظهر على عينيه إلا على
رأس كل قرن ، غضب غضبا شديدا ، وصاح بها قائلاً:

-ودك والله ، اكسر هالكاميرا على رأسك ، انا أخذ فلوس عطاك إياها
طقطق قدامي ؟ من جاب طاري الفلوس يا شيخة ؟ الله يرحم والديك ،
البيت بكبره لك ، مهوب الأجار بس ، ما عاد أبيه ، بس لا تذلين نفسك يا
شيخة ، لهذا وأشكاله ، هذا سفلة.

أحست شيخة بجرح كبير من غضب السلمي المبرر ، وتمنت لو أن الأرض
ابتلعته قبل أن يراها السلمي في هذا الموقف ، لم تستطع الوقوف ، جلست
على الأرض ، استندت إلى الجدار ، وضعت يديها على عينيه التي انهمرت
منها الدموع وهي تردد:

-يا ليتك تذبحني يا السلمي مهوب تكسر رأسي بس.

ثم رفعت يديها إلى السماء وصارت تدعي ، مع بكاء ونحيب ، يا رب خذني
، ثم وقفت فجأة وتبدل الحال من ضعف إلى قوة ، وجهت كلامها للسلمي
، و بصوت عالي:

-يوم انك ما تبي أجار ، وش جابك عقب هاالسنين ؟ هاه ، ما تقول لي ،
وش جابك ، عقب ما بديت أنساك ؟ يا ولد النباش ، ارحمني ، وخلي
أنسى غلاك ، يا ولد الشيوخ أبعد عني ، انا نورية ، ذبحتني وانا حيه ،
تكفى فكني.

اقترب السلمي منها لتهديتها ، بعد أن عاد إلى رشده، وتذكر أنهما في الشارع ، وبعض الأطفال بدءوا يتوافدون لسماع النقاش المحتدم.

أراد إمساك يدها لمساعدتها على النهوض ، سقط نظره على أثر إحراق الشاي ليدها يوم سقوطها بالدرج وهي تصعد له بالروشن ، نزلت دمعته ، ولولا وجود الأطفال لقبل يدها ، لم يستطع النطق ببنت شفة ، استدار بسرعة ، وتركها وهي تردد بأعلى صوتها:

-كل هذا بسببك ، كل هذا بسببك، الله لا يبارك بالساعة اللي أغليتك فيها، ثم دخلت إلى البيت ، وأغلقت الباب بقوة يسمعها البعيد قبل القريب.

عاد إلى سيارته ، متألماً لحال المحبوبة ، مجروح من غدر طقطق له ، كيف يفعل ذلك ، وهو العارف مع وقف تنفيذ المعرفة بأن شيخة محبوبته ، ولم يمنعهما من الزواج إلا العرف الاجتماعي المقيت ، كيف يعمل ذلك مع زوجة صديقه كحلة ، هل نسي شراسة كحلة ، أم كحلة لم يعد كحلة زمان ، هل الحاجة للمال تغير ثوابت المحتاج وشجاعته ، يا لهذا الجبان استغل حاجتهم للمال ، أين أنا عنهم طوال هذه السنين ، لماذا لم أتلمس حاجة شيوخة؟

هل هي عقدة التفوق عليه من السلمي وكحلة في الحارة ، رجولة وشجاعة؟.

هل ولماذا وكيف ؟ أسئلة كالنيران في جوف السلمي لم يطفئها بعد ذلك سوى استحضاره لأبيات معانيها داله ، حفظها من والده:

لا تأسفن على غدر الزمان لطالما

رقصت على جثث الأسود كلابا

لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها

تبقى أسودا والكلاب كـلابا

وصل إلى بيته ، توجه إلى الباب ، ادخل المفتاح بالقفل بسرعة ، كان تواقاً
لرؤية زوجته ، شوقه غير عادي ، كأنه لم يرها منذ زمن ، بحث عنها في
الصالة ، في الغرفة ، وجدها في المطبخ ، أقبل عليها بشغف ، ضمها ، قبل
رأسها ثلاث مرات ، وهو يهمس في أذنيها :

-كلي فدوة يا العفيفة.

استغربت الشقحا هذا الغلا الزايد وقالت:

-ميت من الجن عشرة ، وش هاالتدليع ياالسلمي ؟

-لا غرابة في تدليع ، زوجتي ، حبيبتي ، أم عيالي ، لا وبعد هذي ألفين
ريال هديه ، روعي للسوق ، واشترى أي شي ، لك ، وللبنات ، وللعيال.

-قص يمناي ان فيك بلا ، وش ها الخير اللي جانا جميع ، تدليع ، ودراهم
، واحجاج يضحك.

﴿ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ﴾ كلام الشفيع صلى الله
عليه وسلم هذا ردي عليك ياالشقحا ، ما عندي غيره .

-لاتحدّث على ياالسلمي ، علمني وش السالفة ، مزاجك اليوم مختلف.

-السالفة عند أبو العلاء المعري ، الشاعر الكفيف ، اسمعي وش يقول:

إذا تفكّرتَ فكراً لا يمازجُهُ

فسادُ عقلٍ صحيحٍ هان ما صعباً

فَاللُّبُّ إِنْ صَحَّ أَعْطَى النَّفْسَ فَتَرْتَهَا

حَتَّى تَمُوتَ وَسَمَّى جَدَّهَا لَعْبًا

وَمَا الْغَوَانِي الْغَوَادِي فِي مَلَاعِبِهَا

إِلَّا خَيَالَاتُ وَقْتٍ أَشْبَهَتْ لَعْبًا

والله ما أدري وش يقول معريك هذا يا السلمي ، لكن ترى يقولون الاولين (من دليله أعمى ضاع بالنهار) قالتها الشقحا وهي محرجة لجهلها لمعاني قصيدة أبو العلاء .

-لو هي بالعيون وكبرها ، ما فيه أكبر من عيون البوم، والمثل يقول (من دليله البوم يمرح بالخراب)[□] ، الفكر أهم من العيون يا الشقحاء ، تعلمي وتعرفين معنى كلام المعري وغيره ، مدارس محو الأمية مفتوحة يا الشقحا ، اتركي العجز وادرسى.

وهاالحين اخلصي علينا بالغداء يا بعد حيي كلهم ، باستثناء أمي وأختي.

-من بقي ، رح لأمك واختك خلهم يغدونك ، ما عندي غداء.

ثم ضحكا وتعانقا بود.

نصف عقد من الزمن بعد أن تم تنفيذ الهدم لحلة الفحم ، تفرقوا ساكنيها وتغيرت أحوالهم.

طقطق زاد نفوذه التجاري بفضل ملايين بدرية التي ورثتها من والدها ، يدير أعماله بجد وذكاء فريق لبناني ، بدل الغترة البيضاء إلى شماغ أحمر وصار يلبس بشت عودي ، برنامج السنوي منظم تنظيم دقيق ، سياحة ودعاية

¹ المكان الخرب 00 وهو دوما سكنى البوم .

وعمل، رحلاته السياحية محددة، رمضان عمرة ،الصيف جنيف وأحيانا كان ، زوجته بدرية العرجا بنت المقرش سيدة مجتمع ، يسكن الآن في عالية عليشة.

رقلة ما زال مراقب بلدية في حراج ابن قاسم ، زوجته شمة أخت كحلة تعمل طقاقة ، وكل سنة تجيب له ولد ، وآخرهم سماه ثرثر إحياء لذكرى أخيه عضو عصابة التفجيرات ، الذي فقأ عين سوير ، لم يرث رقلة من والده شيئاً ، فالقهوة التي تدر على والده في حياته كانت أجار ، طردهم مالكا ليبي مكانها محطة بنزين ، ما زال يلبس الغترة البيضاء يسكن الجرادية.

كحلة ما زال يعمل سائقاً لوايت الصرف الصحي ، اشترى له السلمي منزل في حلة ابن غنام الحديثة بعد تحصيل تامين بيت حلة الفحم ، كان هذا القرار متخذ منذ ذلك اليوم المشؤم الذي شاهد فيه السلمي شيخة وهي تنزل من سيارة طقطق وتعطيه الإيجار ، ألم يقل لها في حينه البيت لك ، وفاء لصداقة كحلة ، و وراء الأكمة ما وراءها ، فصك ملكية البيت مسجل باسم سليمان حمد النباش.

شيخة ، الله يستر علينا وعليها ، سوف تدخل الجنة بإذن الله ، لصبرها على الحياة مع كحلة ، خاصة بعد إصابته بالربو.

مغيبر لا زود ولا نقص ، تزوج من ابنة خاله ، لم تكن معروفة وليست مميزة ، يعمل جزاراً مثل أبوه مع وقف التنفيذ ، فمن يقوم بالعمل عنه وافد يعطيه آخر الشهر المقسوم، ساكن بأم سليم ، بيته ملك، ما زال يلبس الغترة البيضاء.

سرور من هوامير حراج ابن قاسم ، بعد مساندة مندوب البلدية له في السراء والضراء ، لم يفكر في الزواج ثانية ، بالرغم من أن غرسة أصبحت طاعنة في السن ، ولكنها أم شيخة ، تسوى نور عيونه ، بس لو الله يفكه من صديقه أبو دقري ، ليلة الجمعة ، لكان بخير.

أبو شديق ، يذكرون أنه تاجر بيوت طين ، تحديداً في حلة الطويلعة ، يشتري البيت القديم ويقوم بترميمه وتجديده وبعدها يبيع بريح وافر ، أساس تجارته ، ما ورثه من زوجته الخيارية ، تجارتها يطلق عليها تجارة الأوليين. أهل المشراق تدهورت أحوالهم.

لعل أصيب بالزهايمر ، يقوم أبناءه بربطه بشماغه الأحمر بعروة الباب ، خوفاً عليه من الضياع كل صباح ، يسكن أبنائه في بيت شعبي بجوار حي تليم.

نشبة يُحمل ويوضع ولا يستطيع خدمة نفسه ، أدخل مركز العجزة ، يلبس الشماع الأحمر مع روب المركز ، منتهى الأناقة.

متيح مازال صامداً كالجبال ، ينقل مشرقه إلى حيث التساهيل ، هنا وهناك ، وفيأ لحله الفحم ، حتى بعد الهدم ، لديه مشكلة في ركبته ، لم يعد نشيطاً كما في السابق ، يحاكي الزمن دوماً بالتوجد والحنين ، صار رمز يُعرف ، يُجلّه جميع سكان الشميسي ، ما زال متمسكاً بالشماع الأحمر غطاء لرأسه واستغنى عن الطاقة.

-الجولة الرابعة والعشرون -

اليوم هو اليوم الأخير من السنة المالية لميزانية مؤسسة النباش التجارية، الأرباح في العلالي ولله الحمد، اطلع عليها السلمي وطلب من المحاسبين إخراج الزكاة، أخرج الزكاة وخرج هو من مكتبه، إلى بيته، متفائلاً.

هذه السنة كلها خير، سوّير اجتازت المرحلة الجامعية بنجاح وبمعدل ممتاز، لم تتأثر ولله الحمد من فقدانها لعينها، حمد التحق بالجامعة هذه السنة، كما وعد أباه، متمنياً على والده الوفاء بوعده له وتزويجه حين يجتاز المرحلة الثانوية، دون انتظار الحصول على الشهادة الجامعية، حلمه أن يدخل على عروسه في هذه الصيفية، التي لم يمض منها سوى أسبوع واحد فقط.

وصل بيته، وجد سيارة تقف أمام باب الكراج، دون اعتبار لاستخدامات باب الكراج، وجودها في حي العليا مستكر، نوع داتسون بكب غير نظيفة في صندوقها حبال وجراكل ماء ومخلفات أغنام، لم يجد صعوبة في معرفة أصحاب هذا الداتسون، إنهم من طرف آل ذريع بن دبوج، أبو لاي في جد سوّير ونوّير، أو العم أو الخال أو أحد من أقارب البنات، الأكيد أن الزوار من أهل منفوحة.

دخل البيت وهو يرحب:

-هلا بالضيوف، يا مرحبا. أتاه رد الترحاب من الضيوف بالحال:

-المهلي ما يولي يابو حمد.

عدد الضيوف ثلاثة، أبو لاي وابنه صنهاة ورجل مسن لم يره السلمي من قبل، تجاوز الستين، شعر وجهه أكثر سواداً من الكحل، صبغة عملت

بشكل رديء، لا يمكن لعاقل أن يصدق أن سواد هذا الشعر طبيعياً،
الثلاثة يلبسون أشمعة حمراء أكل عليها الزمن وشرب.

انتهت مراسم السلام المتبادل، وانتهى الجميع من احتساء القهوة مع التمر
وجاء دور الشاي، بدأت التلميحات حول الموضوع الذي بناء عليه تمت هذه
الزيارة:

-يأبو حمد حنا شايفين معروفك على بناتنا سوّير ونوّير، وانت في محل
أبوهم، ماقصرت في مصروف ورعاية ودراسة، واليوم سوّير عطيناها أبو
طحيشل هاالرجال اللي قدامك ونبيك تبارك لها وتوافق، أبو طحيشل ولد
عمنا عنده حلال ووايت ماء يسقي به الدبش.

أردف أبو طحيشل بعد أن مسح أنفه بطرف شماغه:

-وعندي فاطر وبغيرين، الخير واجد يا أبو حمد.

-والله يأبو لاي، أما المعروف فأنا مالي معروف سوّير ونوّير بناتي، أما
تزويجهن فهن بناتك وإن أخذت رأيي فالشور يرجع للبنات، إن وافقت على
الزواج من أبو طحيشل فمبروك وان رفضت يرزقها ويرزقه الله.

وقف حمد بشكل غاضب وهو يقول:

-وش انت تقول يبه، تبينا نزوج أختي سوّير هالشايب، والله ثم والله ما
يدخل عليها لو يصير ما يصير.

صاح أبو طحيشل:

-اخو صلفة أخوها، أبك تحلف علانا، هذي بنت آل ذريع ابن دبوج والا
بنت النباش؟ اركد ياورع، اركد يأبو غتيرة.

-تعوذ من الشيطان يا أبو طحيشل نبى نشوف رأي البنت هالحين وما صاير إلا الخير قالها أبو لاي في.

توجه أبو لاي في إلى الداخل، تبعه السلمي وابنه حمد، ولم يدخل معهم صنهاة عم البنات، فالشقحا لا تكشف عليه.

بلا مقدمات أبلغها أبو لاي في أن أبو طحيشل تقدم لخطبتها وأعطوه الموافقة، وقام بدفع المهر وعليها الاستعداد، ثم استرسل بحديثات موافقته واستعجاله لتزويجها:

-هذي بنت ما لها إلا عين وحدة وعمرها كبر جدي فوق العشرين، وش تحترى ما تعرس؟

لم تستطع سوّير التعليق على ما سمعته من جدها الجلف، تجريح زائد، جلافة ظالمة، إنها تعرف أبو طحيشل، عنده زوجة وعيال، متخلف لا يقرأ ولا يكتب، بينه وبين النظافة خصومة، استثماراته التي يتبجح بها لا تتجاوز الخمسين رأس من الغنم، وفاطر وبعيرين، وكلب يحرسها، يعيش معها في البراري.

-شف يا عم، زواج سوّير من أبو طحيشل من سابع المستحيالات، وان كانه دفع لك مهر رجعه له، وإذا إنك خرجته أنا مستعدة أعطيك إياه، قالتها الشقحا بكل هدوء.

لم يمهل السلمي أبو لاي في الوقت للتعليق على كلام الشقحا، استفسر وهو يبتسم:

-وش عطاك يا أبو لاي في، إنت رجال صدوق؟

-عطاني ددسن وخمسة آلاف، وعطى صنهاة خمسة الاف والبنت بيا يرضيها، وأمها يبي يشتري لها رشرش.

-شف يابو لاي في الله عطاك ونيت وعشرة الاف وعطى الله صنهاة ددسن وخمسة الاف ، وكل ما أعطاك أبو طحيشل أعطيك مثله، بشرط، إنك تعطيني الولاية على البننتين كاملة في كل شيء ونوثق هذا عند المحكمة اجوزهن اللي أشوفه مناسباً خلقاً ونسباً وتقول لأبو طحيشل البنت ما وافقت. سال لعاب أبو لاي في على العرض ، وافق ، وأبلغ أبو طحيشل بحماسة.

خلال أيام معدودة لا تتجاوز عددها أصابع اليد أبرم العقد بشهود عدول ، أعطي الجد الونيت وعشرة آلاف ريال والعم صنهاة الددسن وخمسة آلاف، إضافة إلى إعادة مهر أبو طحيشل كاملاً من حساب السلمي الخاص. عم الفرح بيت أسرة السلمي بعد انقضاء هذه الغمة المرتقبة من سنين، (وعسى أن تكرهوا شراً وهو خير لكم) ، أتت هذه الخطبة وجلبت معها الحرية الكاملة للبننتين في اختيار العريس، والولي الجديد لن يخرج عن طوعهن في الاختيار.

أصرت البنتان على عمل حفلة بهذا الاتفاق المفرح، شوي في طريق المطار ، يشرفن عليه بالكامل ، وصلوا البر ، نزلوا جميعاً من السيارة ، قامت سويّر برمي العباءة والشيلة في الهواء الطلق وهي تقول:

-ما أحلى الحرية .

تبعته نوّير ، عملت ما عملته أختها مع إضافة عبارة ،

-لا منفوحة بعد اليوم.

تولى القيام بعملية الشوى حمد ، لأمر في نفس يعقوب ، أنجز الشيخ الأول من لحم الهريفي بشكل سريع ، كان يريد أن يستغل هذا الانشراح الذي يعيشه والده ، يعرفه من سنين، إذا كان منشراح الخاطر ، تأخذ منه ما تريد ، بلا جدال ولا تأخير ، تم التنسيق مع الأختين ، والوالدة ، بدعم موقفه فيما يصبو إليه.

-سم طال عمرك ، أطعم شيخ شوي ، لأطعم أبو خبوبي ، بها الدنيا.

-وش عندك يا حمد ، اخلص علينا.

-ابعرس ، والعروس من الخب ، لأنني خبوبي، واسمها بنت الطهوري ، حسب توصية جدتي أم السلمي، وعمتي هيلة.

رمى السلمي شيخ اللحم بصينية الشاي التي أمامه ، وبان حَوْل عينيه ثم قال:

-تبي تعرس على بنت اللولو يا حمد ؟

-إيه ييه الجوهره بنت اللولو، اللولو فيها شي ؟

-لا يا ولدي ما فيها شي ، بس ما لقيت الا بنت الطهوري، الطهوري هذولا ما يصلحون لك ، أبوها رائد الجلافة في العالم العربي كله ، شماغه الأحمر ما يطيح من رأسه ، حتى وهو نائم ، والظاهر انه يتروش فيه، الخب مليون بنات ، دور غيرها

هنا تدخلت الشقحا قائلة:

-وش علينا من الطهوري ، يتروش بشماغه ، والا ما يتروش به ، الجوهره بنت مزيونة ، وأخلاقها كلن يحكي بها وأمها اللولو دين ودنيا.

جاء الدور المناط للبنات في إقناع السلمي ، بعد تعليق الشقحا مباشرة ، بدأن يقبلن رأس السلمي لحثه على الموافقة ،

-يا بيبي الله يحييك وافق ، وافق والله ما نلقى مثل الجوهرة.

رضخ أخيرا للضغوط الأسرية فهو أضعف ما يكون أمام أبنائه وبنات زوجته إضافة إلى أن الجوهرة وأمها لا يعيبهن شيء ، لماذا التردد بالموافقة ، فاللولو لم تعد تعني له شيئاً ، منذ زواجها من الطهوري .

المشكلة الحقيقية تكمن في والد الجوهرة ، فهو كبير خبثاء الشمع بالخب ، أقشر واحد فيهم ، نفوذه المادي مُستغل من قبله بشكل حقير ، يحب ذاته على المكشوف ، التوجس لدى السلمي ، أن تطلع البنت على أبوها بالقشارة ، والبتارة، وحب الذات.

-أوافق يا حمد ، بشرط ، إن عمي دنقور ، وأمي يخطبونها من أبوها ، مهوب أنا ، والزواج يصير عائلي مختصر ، يحضره عمي دنقور نيابة عني ، لا تقول لازم تحضر.

تلكأ حمد في البداية ، وتمنى على والده أن يغير رأيه ، لكنه يعرف والده، عندما يشترط شرطاً فلذلك أسباب، لا يخبر بها أحدا ، لذلك لم يجادل.

قبل حمد شرط أبيه ، خوفاً من أن يغير رأيه ، متأملاً أن تقوم جدته أم السلمي باقناعه لحضور زواج ابنه الأكبر، ومشاركته فرحة العمر.

تمت الخطبة والزواج بشكل سريع ، أبلى دنقور بلاء حسن للوقوف مع ابن ابن أخيه حمد ، كان مفاوضاً جيداً ، استطاع إقناع الطهوري بتفهم تغيب السلمي عن خطبة وزواج ابنه ، بحجة أن الرجل تاجر ويتنقل بين العواصم ،

وأنه أي السلمي مُبارك للزواج، وحريص كل الحرص على الفوز بنسب الطهوري ، وسوف يأتي إلى الطهوري في عيد الأضحى المبارك عندما يأتي لمعايدة أمه.

زفة عروس حمد إلى الرياض بكل وناسة من الجميع ، لم يأت أحد معها من أهلها ، هل هو رد على مقاطعة السلمي للزواج ؟ الله أعلم.

الأكيد أن العروس تتعامل مع والد عريسها بشكل يختلف عن معاملتها لبقية أفراد الأسرة ، تعامل يقترب من الاضطراب ، فالرجل سمعته القديمة في الخب ، مرتبطة بما قام به ، يوم خروجه النهائي من الخب ، أما سمعته الحالية ، فملطخة بارتدائه للفترة البيضاء ، إضافة إلى ما عرف عنه من جدال حول أمور شرعية يفهمها أهل الخب فقط ، يكمل مخالفاته بالاستماع إلى الأغاني ومشاهدة الأفلام ، وهذا لا يليق برجل في سنه.

لا شهر عسل لأي زواج في الخب، الثلاثون يوم عسل تختصر إلى ثلاثة أيام .

اقترح السلمي على ابنه حمد ، أن يسافر هو وزوجته إلى مصر لقضاء شهر عسل بأثر رجعي أي بعد الزواج بعشرين يوماً ، رفضت العروس الصغيرة والتي لم يتجاوز عمرها الخامسة عشرة السفر لغير مكة ، وافقها عريسها وذهبا إلى مكة ، اعتمرا وعادا بعد يومين.

ما إن علم المحاضر زامل الطهوري ، الساكن في حي العجلية بالرياض شقيق العروس الجوهرة أنهما أديا مناسك العمرة حتى أصر أن يولم لهما يوم الجمعة ، وطلب من العريس حمد أن يبلغ والده السلمي ، أن الدعوة للوليمة موصولة له أيضا.

اعتذر السلمي لابنه عن مرافقته لوليمة زامل.

ذهب العروسان إلى حي العجلية ، سُكنى الصهر الجديد زامل مصطحبين معهما جميع أفراد الأسرة.

في ذلك اليوم قضى السلمي وقته في قراءة كتاب (الحبر أسود أسود) لناصر الدين النشاشيبي قرأه بتمعن ، عله يجد معلومة تساهم في إيضاح بعض الخوايف عن حياة المتسببين بالنكسة ، لم يثق بكل ما جاء به (دلو ماء دلو طين) مثل ينطبق على محتواه.

شمس الأصيل أفلت إذ بأفراد الأسرة يتقاطعون الأصوات في الصالة ، تقييم مفصل لأصناف الوليمة ، وملبوس المعازيم من النساء ، واستحضر لبعض الطرائف التي قيلت.

ظَهَر عليهم السلمي يستشف الأجواء العامة ، الجميع مبسوطون باستثناء العريس حمد ، وجهه مسود ويبدو كظيماً.

أذن لصلاة المغرب ذهباً للمسجد سوياً ، سألته عن سبب عدم انشراحه بعد عودته من العزيمة ، أجابه بلا تفصيل:

-الشرهة علي أن رحت لبيته مرة ثانية.

-ليش وانا أبوك، هذا يبي يصير خال عيالك مستقبلاً.

-خلل الله وريده، هذا ما في وجهه حيا ، المجلس صاك بأهل الشمع كلهم وأنا الوحيد ألي لابس غترة بيضاء، ويقول أهل الغتر كلهم ليبراليون وعلمانيون ويسعون إلى إفساد المجتمع.

وصلا إلى المسجد ، اقترح السلمي على ابنه ، أن ينتظر تعليقا منه على كلامه بعد أدائهم الصلاة.

بعد الصلاة، قصد السلمي أخذ الطريق الأبعد إلى البيت ليتمكن من تبيان الحجج الصحيحة للرد عل زامل ابن باتل الطهوري.

-اسمع وانا أبوك ، أما قوله ، إن أهل الغتر علمانيين بمفهومها اللاديني ، فهذه تهمة باطلة وافتراء عظيم على أهل الغتر ، فالرد عليه : حسبنا الله ونعم الوكيل ، إن أهل الغتر البيضاء ولله الحمد دينون بالفطره ولا يراؤون ، وإن كان ينعت أهل الغتر بالعلمانية بمفهوم الدنيوية ، فنيابة عن أهل الغتر أقول له ما جاء في مسند أحمد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث أنس قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتا ، فقال: «ما هذا ؟» قالوا: يلحقون النخل، فقال: «لو تركوه فلم يلحقوه لصلح»، فتركوه فلم يلحقوه فخرج شيصا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما لكم ؟» قالوا: تركوه لما قلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به فإذا كان من أمر دينكم فإلي» □

فأمور دنيانا لنا يا ولدي، أما الحرام والحلال المشتب فعلينا الالتزام بها لمرضاة الله ، أما ردي الآخر، على ما تطرق له زامل ابن باتل الطهوري في مجلسه العامر عن أن أهل الغتر البيضاء ليبراليون فأقول: نعم ليبراليون مسلمون، فترجمة كلمة ليبرالي باللغة العربية: الحرية ونحن أحرار، ألم يسمع ابن باتل مقولة الفاروق رضي الله عنه (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

¹ رواه الإمام أحمد (12086) باقي مسند المكثرين.

يا حمد بعض أهل الشمع هداهم الله يقعون في دائرة الشبهة ويدعون إلى
كهنوت بالإسلام وهم لا يشعرون ، سر يا حمد على ما أنت عليه .

بعد هذه الكلمات المنورة والدالة والمختصرة من والده انزاح حمل ثقيل من
على كاهل حمد.

وصلا الدار ، وقبل أن يفتح السلمي باب البيت الخارجي للدخول ، قَرُبَ من
أذن أبيه وبشره قائلاً:

-ابشرك يبه ، الجوهرة حامل.

ابتسم السلمي ورد بالحال:

-الله يبشرك بالخير ، ولكن يوم تعلمني باذني هو عندنا أحد يسمعنا ،
الشبهة والله على اللي يجوز البززان.

ضحكا ، انفتح الباب ودخلا.

- الجولة الخامسة والعشرون -

بدأت الأفراح ، والليالي الملاح ، تتلاحق على أهل الحارات جميعاً ، وبلا استثناء ، آخرها ما أعلن هذا اليوم في وسائل الإعلام المختلفة ، عن إنشاء مجلس الحارات ، وهو مجلس ينتخب أعضاؤه الثلاثة عشر بالاقتراع المباشر ، وهم يمثلون حارات الرياض كلها :

العود - المرقب - ثليم - القرينين - العجليه - الجرادية - السبالة - عليشه - العليا - منفوحة - الديرة - الشميسي - معكال.

يناقش هذا المجلس أحوال السكان والمساكن.

أصرت أسرة السلمي وألحت عليه ، بأهمية ترشيح نفسه للانتخابات ، يريدون الافتخار به أمام أهل الخب ، خاصة أن زامل الطهوري سوف يدخل الانتخابات ، وهو ليس أكفاً من والدهم.

استخار الله في تلك الليلة ، وقرر الدخول في هذه التجربة الجديدة ، ممثلاً لأهل الغتر البيضاء ، في مجلس الحارات ، خاصة أن نظام الانتخابات يعتمد العمل بانتخابات الدائرة الواحدة ، وهذا ما سيضاعف من أصوات مؤيديه من أهل الغتر المنتشرين في كل الحارات.

أكمل إجراءات التسجيل كمرشح عن حارة الشميسي فأهلها أهله ويعرفونه جميعاً ، حتى بعد أن هدم الجزء الأكبر من حلة الفحم لم يتغير شيء ، فحارة الشميسي شاسعة وتضم أكثر من حلة.

اضطر لشراء بيت طيني قديم بجوار مدرسة الحزم تنفيذاً لشرط لجنة الانتخابات التي تشترط أن يكون مرشح الحي أحد سكانه.

بدأ الاستعداد لتحديد موقع مخيمه الانتخابي ، بالتزامن مع التفكير في صياغة محاور برنامجه الانتخابي الذي سيعرضه على الناخبين لإقناعهم بالتصويت له.

قرر أن يكون موقع المخيم في ميدان طلعة الشميسي ، تقاطع شارع أم سليم مع شارع الشميسي القديم ، جنوب الطلعة ، اتخذ صور الغترة البيضاء الشعار الرسمي للحملة.

في كل ركن من أركان المخيم ، ثبت عامود خشبي ، في أعلاه غترة بيضاء ترفرف كالعلم.

نصبت الخيام ، وذبحت الخرفان ، وصدحت الميكرفونات بالقصائد ، وبعض التوضيحات ، عن توجهات المرشح سليمان حمد النباش ، المعروف بالسلمي.

طُبع برنامج السلمي الانتخابي وصار متاحاً للجميع ، برنامج بسيط جداً ، محاوره أربعة ، رتبت حسب الأهمية لدى الناخبين:

الأول: الحيوان، المحافظة عليه ، الرأفة به ، الصداقة معه.

الثاني: المرأة، حقوقها كاملة دون نقصان ، عملها في جميع القطاعات ومع الجميع دون استثناء ، بيع ، شراء ، سفر ، قيادة ، عدم الوصاية عليها.

ثالثاً: الأمن الوطني الاجتماعي، الحقوق الأسرية لكل فرد ، حرية التعبير للصغير قبل الكبير وللمرأة قبل الرجل.

رابعاً: السلوك الحضاري، التعامل السامي مع الآخرين ، في المنزل ، في الشارع ، في الوزارة ، في السوق    في المصنع ، في المستشفى ، في البنك ، وعند السفر ومع الأقوام الأخرى.

برنامج وجد صدى طيباً لدى الجميع ، صار أغلب سكان الحارات تتحدث عنه ، ما أثار حفيظة المرشحين الآخرين.

اجتمع أهل الشمع اجتماعاً طارئاً ، للتنسيق فيما بينهم ، لمواجهة هذا البرنامج المفسد ، وإيفاد ممثل متمكن للحضور عنهم في الافتتاح الرسمي لمخيم السلمي ، وتنفيذ جميع المحاور الأربعة التي طرحت بالبرنامج الانتخابي للمرشح السلمي ، عند عرضها أمام الجمهور.

خطوة يقصد من ورائها تعرية مرشح أهل الغتر البيضاء أمام جمهور أهل الشمع الأشاوس ، الحاضرين بكثرة لأكل الذبائح مع الرز ، في المخيمات كلها دون استثناء.

بعد عرض السلمي لبرنامجهِ ، سمح للجمهور بالتعليق أو الاستفسار عن أي لبس في أي محور من محاور البرنامج الانتخابي.

قام مندوب أهل الشمع المرشحين لعضوية مجلس الحارات ، المنافسين للسلمي المجادل رقم واحد عندهم المكنى بأبو الصدع ، والمدسوس بين جمهور مخيم السلمي كمصوت عادي، أمسك الميكرفون ، كان رجلاً بديناً ، فمه واسع ، وأنفه صغير ، سلم ، ثم قال:

-أنا أبو صدع ، من سكان الطويلة ، شمال شارع الشميسي القديم وشرق أم سليم ، عندي سؤالان للمرشح السلمي.

السؤال الأول: ما قصدك من قولك أن تعمل المرأة في جميع القطاعات ومع الجميع ، هل تقصد الاختلاط ؟ وهل تتادي بالاختلاط ؟

السؤال الثاني: ماذا تقصد بالصدقة مع الحيوان ؟ هل قصدت أن نربي كلاب ؟

قهقهه الجميع ، بما فيهم أبو صدع.

-أولا ، اشكر أبو صدع ، على حضوره مخيمنا ، وأقول: لو تسأل عشرة أسئلة ، لن تتصدع رؤوسنا منك.

قهقهه الجميع.

ثانياً ، للإجابة على سؤالك الأول:

نعم قصدت الاختلاط والاختلاط يا أبو صدع مصطلح وافد ، لم يُعرف في مدونات أهل العلم ، وللأسف أن هناك لبسا لدى العامة بين "الاختلاء" و "الاختلاط" ، فالاختلاء هو الضرر ، أما الاختلاط فموجود ونعيشه بيننا ، في السوق ، وفي المستشفيات ، وفي اجتماعاتنا ، وكشقاتنا ، إلا إذا تبون ننعزل عن أهلنا ، ونفترق عن بنات خالاتنا وبنات أخواننا ولا نسلم على بنات عماتنا وبنات أعمامنا ، صغيرهن وكبيرهن ، أين صلة الرحم يا أبو صدع ، في السابق نساfer سوياً ، ونكششت للبر جميعاً ، ونجلس مع بعض ، وهن يلبسن حجابهن.

يا أبو صدع هناك مشاهد في السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، لم تفرق المجتمع بين نساء ورجال ، في الحرب والسلام ، حتى في المسجد يا أبو صدع ، يصلون تحت قبة واحدة وبين جدران أربعة ، إذا سلم الإمام والتفت المأموم يرى أخته في الإسلام وراءه تسبح وهو يسبح ، يا أبو صدع لماذا التعقب على نساء المسلمين ، كفوا يا أبو صدع عن اعتبار نساء المسلمين مشروع فساد ، يُنفذ هذا المشروع عند أي اختلاط ، إن بعض الظن إثم ، ورجائي يا أبو صدع قبل أن نحلل ونحرم ، علينا أن نقرأ قول الله عز وجل:

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون).

وأخيراً أدلل على صحة طرحي في موضوع الاختلاط بما ثبت في الصحيح عن سهل بن سعد قال: دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأته يومئذ خادمهم، وهي العروس، قال سهل: «أتدرون ما سقت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أنقعت له تمرات من الليل، فلما أكل سقته». وفي رواية: «فما صنع لهم طعاماً، ولا قربته إليهم إلا امرأته أم أسيد»، وذكر أهل العلم في شرح هذا الحديث: جواز خدمة المرأة لزوجها ومن يدعوه، وجواز استخدام الرجل امرأته في مثل ذلك، قلت: ولا ننسى أن هذا كان موجوداً في مجتمعنا، ذلك المجتمع البريء البعيد كل البعد عن الظن السيئ، يا أبو صدع، كانت النيات طيبة، والمقاصد حميدة، والتشكيك أفسدها.

أما إجابتي على استفسارك الثاني، عن قلبي صداقة الحيوانات وهل أقصد أن نربي كلاب:

نعم أقصد الكلاب والحيوانات الأليفة كلها، ما نأكل منها وما لا نأكل فلو تعمقت يا أبو صدع لوجدت أن جميع الحيوانات بلا استثناء منها فائدة، وبعض الناس لا يستفيد منهم المجتمع، بل بالعكس يتضرر منهم، والكلب يا أبو صدع يحرسك عندما يحاول الآخرون سرقتك، ويصيد لك أرنباً عندما تجوع، وفياً لك عندما يغدر بك الآخرون وفاء بلا مقابل، ألا تعلم أن الكلب يضرب فيه المثل في الوفاء لدى أجدادك العرب، ألم تسمع الشاعر علي بن الجهم في مدحه للخليفة العباسي:

أنت كالكلب في وفائه

وكالتيس في قراع الخطوب

وأخيراً وليس آخراً يا أبو صدع أقول لك: (كلب صديق خير من صديق كلب).

قهقهه الجميع ، ونادى المنادي للعشاء ، وتسابق أهل الشمع الحمر إلى
الجلوس حول صحون المفاطيح ، بينما أهل الغترأتوا متأخرين إلى السفرة،
وأن تأتي متأخرا خير من أن لا تأتي أبدا.

-الضربة القاضية -

أصبحت الأجواء مشحونة ، كل مرشح يسلط الضوء على المرشح الآخر ، يخشى أن يأتي بما لم تأت به الأمم التي خلت فينجح ، يقلدون بعضهم بعضاً في كل شيء ، البرنامج الانتخابي بلا مصداقية ، الخيام اشترت من محل واحد ، وجبة العشاء نسخة طبق الأصل ، الشاي نفس الشيء ، هذا يعمل الشاي بتلقيمه يقوم الآخر بعمل الشاي تلقيمه ، إن غير ذلك شاي اليوم إلى ليبتون غير الآخر مثله ، تصميم مخيماتهم متشابه ، وضع الكراسي ، السجاد ، اللافتات الدعائية ، كل شيء.

كلف السلمي ابنه الأصغر وزيان ، صاحب الخمسة عشر ربيعاً بمهمة جمع المعلومات عن المرشحين الآخرين ، أسمائهم ، عناوين برامجهم الانتخابية ، مواقع مخيماتهم.

الابن الأكبر حمد غاب في هذه الأيام العصيبة ، عذره معه فزوجته تُصبح أو تُمسي ، فقد حان وقت ولادتها ولا بد أن تذهب إلى أمها في خبها العامر ، لتلد بين أحضانها ، سافر بها هذا الأسبوع ، كان يتمنى أن يكون بجانب والده ☐☐

على كل حال ، هو على اتصال مستمر ، ويتلقى الأخبار أولاً بأول.

حانت ساعة الصفر ، تلقى السلمي معلومات من مصادر خاصة بأن النتائج ستعلن في أخبار الساعة الثالثة عصراً هذا اليوم.

انتظر أمام التلفزيون هو والشقحا وسويّر ، غابت نويرة التي لم تخرج من الجامعة بعد ، وغاب وزيان الصغير لإحضار أخته من الجامعة ، فقيادة

الجمس عند الجامعة متعة المراهقين، سائقهم الخاص مرسل من قبل الشقحا لأمها هذا الصباح ، بناء على طلبها.

أعزائي المشاهدون ، صدرت نتائج انتخابات مجلس الحارات هذا اليوم ، وإليكم أسماء المرشحين الفائزين:

1 - أبو شديق عن حارة الطويلعه وكان عنوان برنامجه الانتخابي "العناية بالأرامل طريق الفلاح".

2 - أبو طحيشل عن حارة منفوحة وكان عنوان برنامجه الانتخابي "اللي ماله أول ماله تالي".

3 - الدكتور الشعبي أبو شهيبي عن حي معكال وكان عنوان برنامجه الانتخابي "الجن يدخلون بنا عندما يريدون ويخرجون عندما نريد نحن".

4 - مشذاب ولد أبو مشذاب عن حارة الديرة وكان عنوان برنامجه الانتخابي "الإقراض بطريقة أهل الجفرة بفائدة العشر خمسة عشر، خير من إقراض البنوك بفائدة 6 ٪". حسب رأي أصحاب الشمع الراهية.

5 - طقطق عن حارة عليشة وكان عنوان برنامجه الانتخابي "وراء كل عظيم امرأة".

6 - العائن صوير ابن صوير عن حارة السبالة وكان عنوان برنامجه الانتخابي "الحسد حقيقة وعليّ علاجه".

7 - زامل الطهوري عن حارة العجلية وكان عنوان برنامجه "الانتخابي الصلاح المطلق هاهنا".

8 - ولد متيح عن حارة العود وكان عنوان برنامجه "الانتخابي ما يضيع حق ووراه مطالب".

9 - أبو رزة عن حارة المرقب وكان عنوان برنامجه الانتخابي "لنا الرزدون العالمين أو القبر".

10 - ولد لعلع عن حارة ثليم وكان عنوان برنامجه الانتخابي "أنا أُلعلع إذن أنا موجود".

11 - ولد أبي المعزى عن حارة القرينين وكان عنوان برنامجه الانتخابي "الذهانة كاسيينها جدود عن جدود".

12 - أمان الخباز عن حارة العليا وكان عنوان برنامجه الانتخابي "خبز ، خبز ، خبز".

13 ضريس ولد أبو سنية عن حارة الشميسي وكان عنوان برنامجه الانتخابي "أخي جاوز الظالمون المدى".

وفي الختام نهني الإخوة الفائزين وحظ أوفر لمن لم يحالفهم الحظ في الانتخابات القادمة.

كلمات أسدل المذيع بها الستار على الانتخابات مالها وما عليها.

ارتفع السكر عند السلمي ، وزاد الضغط ، ليس لأنه لم يفز ، ولكن لان الفائزين يعرفهم حق المعرفة ، ليسوا الأكفأ ، ليسوا الأصلح ، ليسوا الأعلم ، ليسوا الأمناء ليسوا ، وليسوا ، وليسوا.

خيم جو من الخيبة والإحباط على الجميع ، سوّير دمة عينها.

-سقطت يا الشاطر ، لك سنين وانت تهاوش عيالي انجحوا ، انجحوا ،
ويوم جاء اختبارك انت تسقط ، الله يخلف على أم جابتك ، كلام ساخر
قالتة الشقحا بعد إعلان النتائج وهي تضحك.

-سوييييييير ، سوييييييير ، أبعدى أمك عن وجهي ، لا أضربها
ضرب ، يطلع حليب أمها اللي شربته ، تهديد من السلمي للشقحا وكان
يعني ما يقول.

فُض الاشتباك الكلامي بين الزوجين برنين جرس الهاتف ، أجابت
الشقحا عليه بسرعة تعويماً لتهديد السلمي:

-ألو ، يمة وين وزيان ما جاء ياخذني ؟ .

-بسم الله على ولدي عسى ما جاه شي رايح للجامعة له أكثر من ساعه.

-أجل قولني لعمي يجي يأخذني.

-لا يا بنيتي عمك ضايق صدره ما نجح بالانتخابات، انتظري السواق
يجي من جدتك وأجي أخذك.

-خلاص ، خلاص يمه ، هذي بنت جيرانا ما بعد راحت أبجي معها.

شعرت الشقحا بالقلق على ابنها الذي كان من المفترض وجوده عند باب
الجامعة في هذا الوقت ينتظر خروج أخته نوّير.

قلقت الأم على ابنها ، أين ذهب هذا الصغير؟

صارت تلوم نفسها ، الخطأ منا نحن، عمره خمسة عشر سنة ويقود
جمس ، لا بد من الانتظار.

السلمي مذهولا لا ينطق بشيء ، رسوب مشين أمام علية القوم القحاح ،
أصحاب الشمع الراسخة !!

ذهب إلى غرفة نومه وهو يدندن أغنية:

يا زمان العجايب وش بعد ما ظهر

كل ما قلت هانت جد علم جديد

إن حكينا ندمنا وإن سككتنا قهر

بين قلب عطيب وبين رأس عَنيد

استلقى على السرير بارتخاء تام ، عله يغفي ولو لدقائق ، فالسكر
والضغط ، ما زالا مرتفعين ، رغم تناوله العلاج.

فُتح باب الغرفة بهدوء:

-أبو حمد انت نمت ؟ قالتها الشقحا بصوت خائف.

ظنّ أنها أتت للاعتذار عن سخريتها منه لعدم نجاحه في الانتخابات ،
تصنّع أنه غارق في النوم.

أعادة الكرة مع إضافة ، قم ياسلمي ، وزيان ما ندري وينه ، راح
يجيب أخته من الجامعه ، وهاالحين المغرب قرّب وهو ما رجع .

جلس وسط السرير وهو يخفي قلقه على ابنه الاصغر ثم تساءل:

-و نوّير من جابها ؟

-جت مع بنت الجيران .

-لا تشغلين بالك يا الشقحا ، يبي يجي إن شاء الله.

ارتدى ملابسه وأذان المغرب يرفع ، مرّ من أمام سويّر وأمها في الصلاة وهو يقول:

-ابروح أصلي ، وبعدها عندي مشوار ، إذا اتصل عليكم وزيان علموني.

بالرغم من أن الضغط والسكر ما زالا مرتفعين توجه بعد الصلاة إلى قسم الحوادث في إدارة المرور.

الحمد لله ، لم يُبلّغ عن أي حادث ، يكون اسم وزيان فيه أو نوع سيارته.

اقترح عليه ضابط المرور ، أن يذهب إلى الجامعة ، ويسأل المسؤولين عن الأمن هناك ، عليهم يفيدوه.

توجه إلى الجامعة ، وجد شابين أسمرين تبدو على وجوهيهما البشاشة ، يحرسان بوابة الجامعة ، سألهما عن ابنه ، وهل رأياه أو رأيا سيارته ؟

أجاباه بإفادة غير سارة:

-ألقي القبض عليه عصر هذا اليوم عند بوابة الجامعة ، بتهمة مغازلة إحدى الطالبات والآن هو في المركز.

صدم ، فابنه على خلق ، وسنه لم يتجاوز الخامسة عشرة ، وبنات الجامعة من الثامنة عشرة وما فوق ، هل يجروّ على ذلك ؟ ممكن ولم لا.

توجه إلى المركز المعمور ، فلة من دورين ، وجدهم جميعاً في الصلاة الرئيسية المسؤولين والمحلفين يجلسون على موكيت لونه بلا ألوان ، يأكلون التمر ويشربون القهوة ، يقف قي نهاية الصلاة ثلاثة شبان ، اثنان

منهم يلبسان البنطال والقميص ، كل منهما مكبل بقميصه الذي تم خلع من على جسده لوجود كتابات عليه باللغة الأجنبية ، والشاب الثالث ابنه وزيان ، مكبلاً بفترته البيضاء.

سلم ، عرفهم بنفسه ، وبأنه والد هذا الصغير ، ويرغب في معرفة الموضوع ، وسبب احتجازه.

وقف رجل بدين أقرب إلى الطول منه إلى القصر ، يبدو أنه أمين سر المحلفين وقال:

-ولذلك يقول لإحدى الطالبات: وراك تأخرت تعالي من هنا ، السيارة بالموقف، والطالبة المستغيثة تدعى: سوسن بنت طقطق ، والشاهد في القضية وصيفتها وحاملة شنطتها وتدعى: حلا بنت كحلة ، نحن لا نحرص على إظهار معلومات البنات وأسمائهن في أي قضية لأننا نحب الستر ، بس علشان هالبشت اللي عليك.

صاح وزيان الصغير من بعيد:

-ياخي أحسبها اختي متغطية ، ما عرفتھا.

ابتسم أمين السر ابتسامة صفراء وقال:

-علينا ، علينا يا السرابيت ؟

استشاط السلمي غضباً من نعت ابنه بالسربوت ، وأمامه ، وصار يلوح بيده ويقول:

-هيه ، وش الألفاظ هذي ، أولادنا ليسوا سرابيت ، ثم التفت لبقية المحلفين وقال بغضب:

-اشهدوا عليه سوف اشتهكيه للقاضي ، بتهمة القذف بحق ابني.

رد أحد ظرفائهم:

-حنا شهدنا على ولدك يغازل ، ونشهد على وصف أمين السر له بالسريته ، وسوف نشهد على تنفيذ الجلد عليه الآن ، بس ترى ما نشهد بلاش ، أنتم يا التجار أهل البشوت والغتر البيض ، أراضيكم واجد ، نبي قطيعة أرض بالسويدي للمركز.

فهقهه الجميع على السخرية من السلمي.

-وشو جلده ، أنتم على كيفكم جلد بدون صدور حكم ؟

رد أمين السر

- لا ، لا ، حنا ما نسوي شي بدون حكم ، ولدك صدر عليه حكم من الرئيس "زاهب".

-كيف يصدر حكم بدون تحقيق ؟

رد أمين السر

- لا لا لا لا حنا ما نصدر حكم بدون تحقيق ، ولدك حقق معه الرئيس زاهب.

-لا تقل لي اللي يبي ينفذ الجلد رئيسكم زاهب ؟

-أصبت يا عماء ، نعم ، لا يؤتمن بالجلد الصحيح ، إلا الرئيس زاهب .

زاد ارتفاع الضغط والسكر عند السلمي عن ارتفاعه السابق وهو يرى الرئيس زاهب يلوح بالخيزرانة استعداداً لبدء عملية الجلد.

أمسك السلمي بشته بيمينه ، وصاح بالرئيس:

- سوف أجلسك عند القاضي إن أنت جلدت ابني.

ابتسم الرئيس وقال :

- اللي ما تطوله بيدك وصله برجلك.

-وش اسمك أنت ، وش اسمك ، قالها السلمي وأطرافه ترتجف.

رد الرئيس زاهب بكل تعال:

-سجل عندك اسمي: زاهب ولد أبو صاطي ، ثم أردف ، عطونا الصغير أبو غتيرة وابطحوه ، الأقربون أولى بالمعروف.

أصيب السلمي بدهشة شلت ردة فعله لثواني ، تساءل باستغراب:

-ولد أبو صاطي اللي بخب النباش ؟

أجابه ظريف القوم:

-نعم ولد أبو صاطي اللي بخب النباش ما تشوفه نبش ولدك النباش.

-لحظة ، لحظة ، مادام انك ولد أبو صاطي ، تعال وانا أبوك يا وزيان
نفذ الجلد ، أبوك قبلك جلده أبو هالرجال ظلماً وعدواناً وهاالحين
تأكدت انك مظلوم وانا أبوك ، ثم فرش مشلحه الغالي المطيب بالعود
لولده كي يجلد عليه وهمّ بالمغادرة وهو يقول لابنه: أنت محظوظ يا بني
جلدت على مشلح قيمته آلاف الريالات ، أما أبوك فجلد على الرمل ، ثم
غادر والسكر والضغط بارتفاع.

قبل أن يصل سيارته ، ناداه أحد المحلفين ، وقال:

-يقول أبو صاطي ، وش رأيك تتبادل البشوت انت واياه ، البشت أبو عشرة الاف ريال ، مقابل بشته أبو مئة وخمسين ريال ويزودك خمس جلدات تسقط عن ابنك ، فحكم التعزير يعطيه الحق في الزيادة والنقصان ، وش قلت ؟ قل تم يا رجّال ، بشته كله طوع ، وبشتك كله معاصي يا دافع البلا ، تراك أنت الربحان.

-اعطيه بشتي ويخلي بشته له ، بشرط أن يسقط كل الجلد عن ابني.

-لا ، يا أخي ، لن يوافق ، فتطهير ابنك من المعصية ضروري ، ولن يقبل بشتك عطية ، هو يريد التبادل ، ولكن دعني أعرض عليه.

دخل الوسيط للمفاوضة مع أبو صاطي ، انتظر السلمي ، علّ أبو صاطي يقبل العرض ، وينجو ابنه من الجلد ، ما هي إلا لحظات حتى خرج الوسيط ، رمى البشت في وجه السلمي وهو يردد:

-خذ بشتك المقصب ، أبو صاطي لا يريده ، كفانا الله من فتنته ، أما ابنك فقد ضاعفنا عدد الجلدات ، ليتطهر من أذية بنات المسلمين.

أخذ بشته بعد أن علا زريه المقصب شيء من الغبار ركب سيارته ، وهو يكاد أن يفقد وعيه ، الغيبوبة تحوم حوله ، لا يدري من أي الطرق يذهب إلى بيته ، دخل طريق مكة والسيارة تتمايل إلى اليسار وهو يجذبها إلى اليمين ، وهي لا تساعد ، رن هاتف السيارة :

-ألو .

-نعم .

-هلا بيه أبشرك جاني ولد.

-الله يبشرك بالخير .

-بس طلقت بنت الطهوري .

-صاحي انت يا حمد ، وش السالفة ؟

-تهاوشت انا واياها ييه ، تبي تسمي ولدي باتل على أبوها لبّاس الشماغ ، وانا سميته سليمان عليك ييه ، قالت إذا تسمي الولد على أبوك السلمي لبّاس الغترة طلقني ، طلقتها ، وعساها ما تعود ، هي وأبوها ، وأمها معها.

زاد دوار رأس السلمي وصار يتنفس بصعوبة ، تكلم بكلام متقطع:

-الشربة عليّ وانا أبوك ، يوم أجوزك بها السن ، ثم أقفل السماعة دون أن ينتظر تعليق ابنه حمد ، أدار المذياع على إذاعة القرآن عل الله أن يرأف بحاله هذا اليوم ، فشل في الانتخابات ، وإهانته للكرامات ، وتطبيق للأمهات ، ثلاث لم تتمكن علاجات السلمي بحبوبها وابرها من الصمود أمامها ، ارتفع الضغط والسكر بشكل جنوني ، اقتحمت الغيوبة ذلك العقل النير ، فقد على أثرها السيطرة على السيارة ، ارتطمت بعامود نور كان يضيء طريق مكة ، تلطخت غترته البيضاء بالدماء الحمراء ، مات السلمي في الحال نتيجة سقوط عامود النور على رأسه ، وكان القارئ يتلو من راديو السيارة ، الذي لم ينقطع بثه رغم الحادث ، الآية الكريمة: (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون) فرحين بما آتاهم الله من فضله).

- - - - - انتهى